

# هَذِهِ هِيَ الصُّوفِيَّةُ

تأليف

عبد الرحمن الوكيل

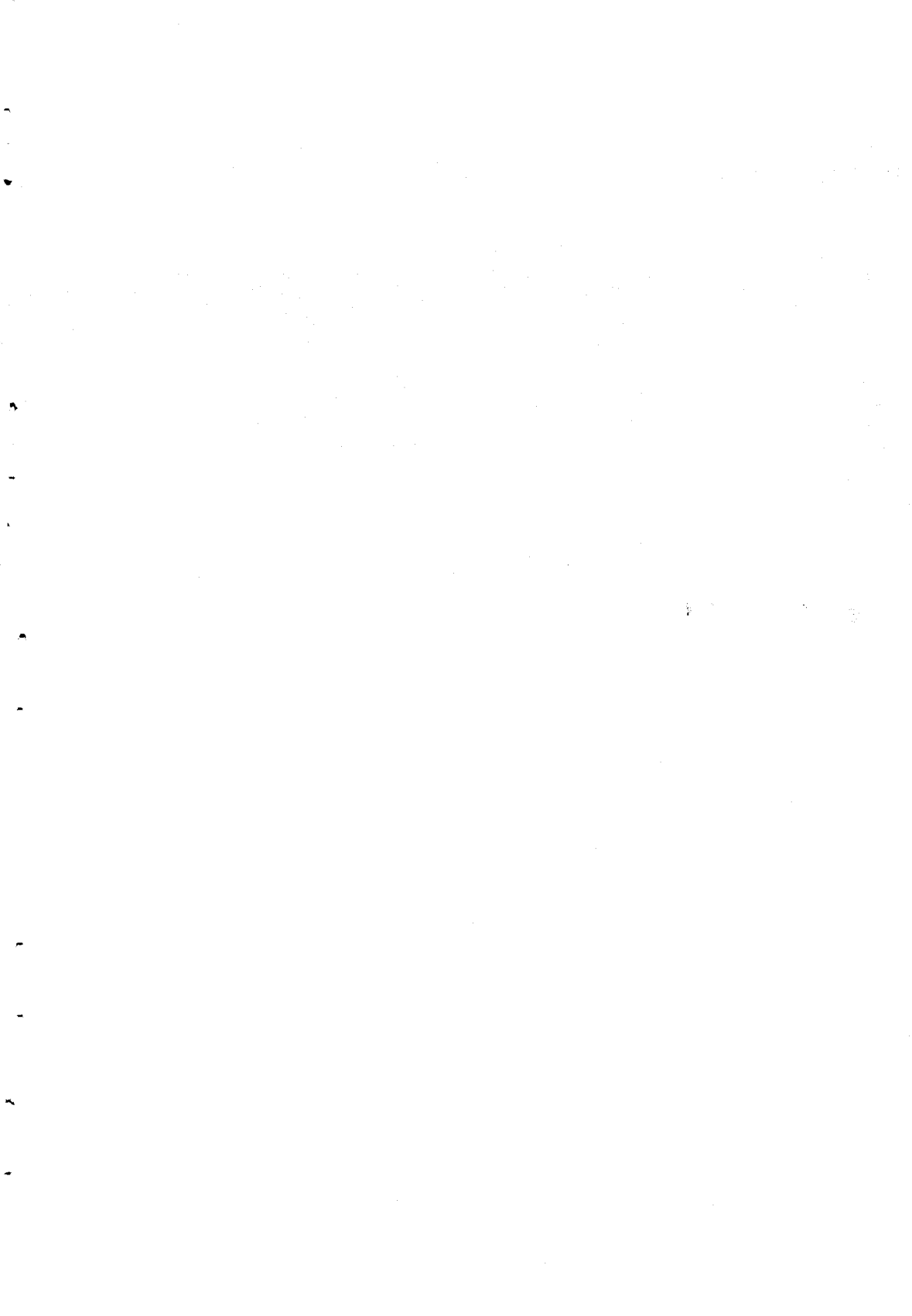


جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

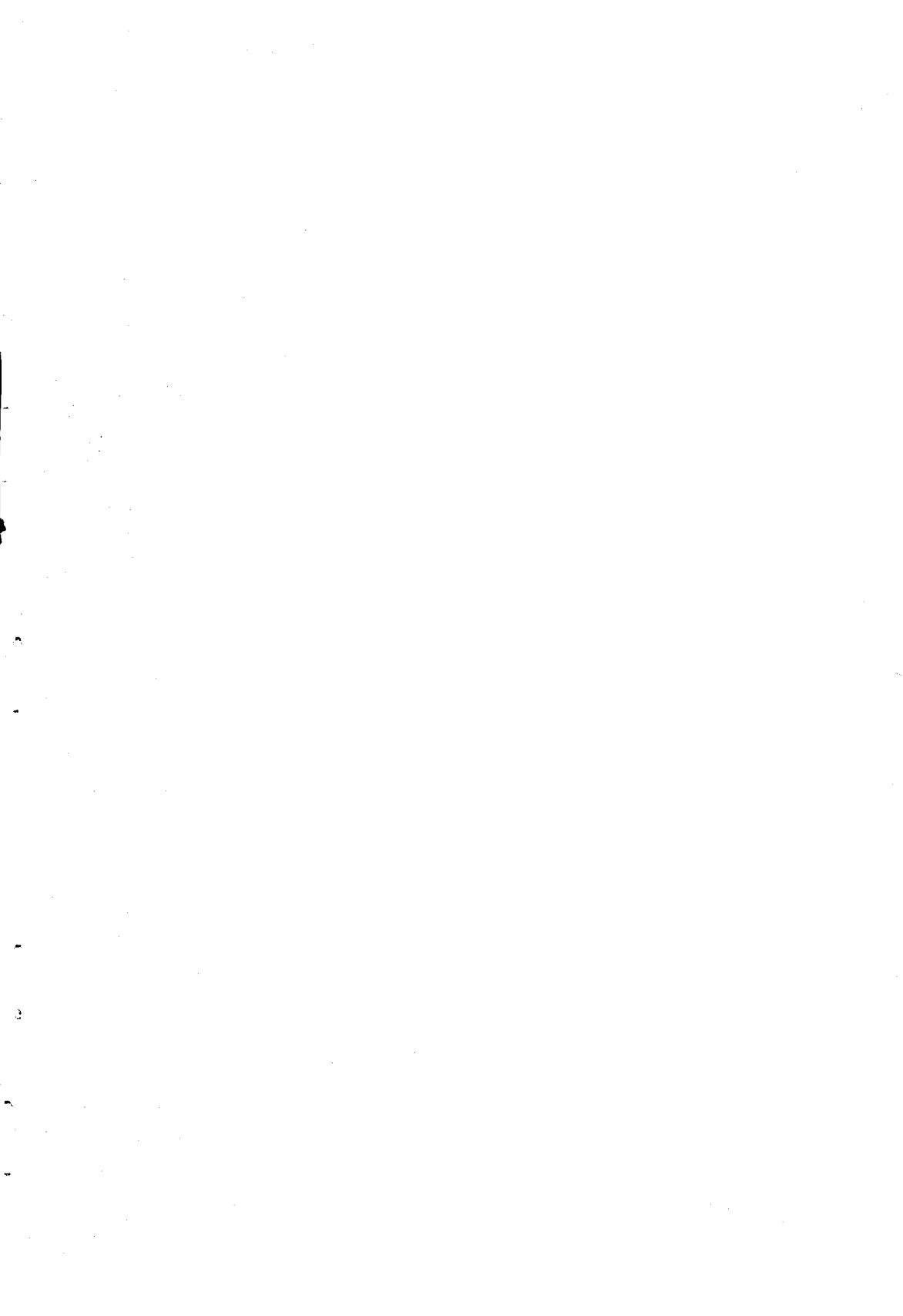
الطبعة الرابعة

١٩٨٤م

دار الكتب العلمية  
بيروت - لبنان



هذه هي الصوفية



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة الكتاب

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله محمد خاتم النبيين وسيد ولد آدم  
أجمعين .

« أما بعد » فما زلت أذكر ، وأنا طالب في معهد طنطا الديني ، ذلك الشيخ  
الشبية يقسم لنا - وعينه مَحْضَلَّتَانِ بالدموع ونَبْرَاتُ صوته أصداء عَمِيقَةٌ بعيدةُ  
النَّوْرِ من الشَّجْوِ الوَلْهَانِ ، والحنينِ الهائمِ ، والحرمانِ الجريحِ - يقسم لنا أن في  
ضريح عبد العال الجاور لضريح البدوي شعرةً من رأس الرسول ! ، وأنها معين  
حير ، وقيض بركة ويؤمن ، ومطافُ آمالٍ ، ومَهْوَى رجاء !! وأذكر أنني حين  
سمعت حديثه ، يؤكد بقسم غليظ ، شعرت قلبي ، وكأنما يود أن ينشق عنه  
الصدر ؛ ليهفو في صبايته الملهوفة إلى معبد الشعرة يقبلها ، ويكتمها في مهجته ، بل  
شعرت كأنما حملت الملائكة إلى بشرى الخلود !! .

وما زلت أذكر أيضاً أنني سألت الشيخ ؛ ليطمئن قلبي على هذا الأمل الخلو  
الساحر الفتنة ، عما جعلهم يوقنون بنسبة هذه الشعرة إلى رأس النبي الأعظم ؟  
فأجاب - تولاه الله بما قدّم - : لقد وضعناها في زجاجة ، وأقمنا حولها حلقة ذكر  
وإنشاد ، فإذا بالشعرة تذكر مع الذاكرين على دفيف الدفوف ، وحنّاتِ النايات ،  
والنغم المطرب المرقص من الأناشيد !! .

وأذكر أنني آمنت بهذه الأسطورة كأنما هي من الله برهان ساطع !! وأذكر  
أن الشيخ تداركنا - حتى يُحكِمَ القيد - بحجة أخرى ، فزعم أنهم وضعوا الشعرة  
تحت الشمس ، فلم يجدوا لها ظلاً !! وكان هذا الوهم الوثني الجديد حجة عندي  
تدحض كل ريبة !! .

وأذكر - ويارب غفرانك - أن خرافة الشيخ هذه غمرتني بنشوة سكرى

خِلْتُ فِيهَا أَنْتَى أَرَى الْجَنَّةَ ، أَوْ أَنْتَى مَحَابِي يَتْلُو عَلَيْهِ الرَّسُولَ وَحَىَّ اللَّهُ !! .  
فَكَنتُ أَهْفُو إِلَى هَيْكَلِ الشَّعْرَةِ خَاشِعِ الطَّرْفِ ، رَيَّانِ الْقَلْبِ بِالْوَلَاءِ ،  
أَصَلَّى لَهَا بِنَجَاوَى الْحُبِّ الْعَابِدِ ، وَأَلْتَمَّ خَشْبَ هَيْكَلِهَا وَحَجَّرَهُ فِي شَفْتِ نَائِرِ  
الْأَشْوَاقِ عَزِيدِ التَّلْهِفِ ، وَأَنْهَنِي بِالْأَرْوَاحِ الْعِطْرِيَّةِ - الَّتِي أَخَالَ أَنَّهَا تَنَاسَمِي  
مِنْهَا - دُمُوعِي الْمَسْكُوبَةِ لَوْعَةِ عَشْقٍ ، وَظُلْمًا غَرَامٍ !! .

وتعال معي أذكرك بأنني كنت أطوف حول صنم البدوي ، حتى إذا منلت  
أمام الكوفة الصغيرة في وثنه النحاسي البراق ، أنفذت منها يدي - في رعشة  
التقديس - حتى ألمس ستر القبر ، ثم أخرجها رويداً رويداً في حرص وحذر  
بالعين ، وقد ضمنت قبضتيهما على . . . ؟ على ماذا ؟ كنت أوقن حينذاك أنني  
أضمهما على بركات سماوية تفيض من روح الله على القبر<sup>(١)</sup> !! ثم أنبسط يدي في  
جيبى ، ثم أمسح بها وجهي ، رجاء أن أكون مُيسَّرَ الرزق ، داني قطوف  
النجاح ، مشرق الوجه بنور الله !! وتعال - ولا تسأم من ذكر ياتي ، فإنها عبرة  
ضحية ، وعظة مأساة - أذكرك بذلك الدويّ ترجف منه الأرض ، وترتعد جذر  
المعهد حين كانت تُوزَّعُ أسئلةُ اختبار آخر العام الدراسي . أتندري ماذا كان  
يحدث ؟ .

تهب هذه الآلاف المضطربة من الطلبة رافعة أكفها في ضراعة ناعقة بما  
لا يسمع ، ولا يبصر ، حتى ليبيح صوتها ، وتتمزق حناجرها إذ تنعق ضارعة :  
يا سيد !! ويا ويل السمع من طول « ياء النداء » !! . لقد كانت تطول ، وتطول ،  
حتى كي يخيل إليك أنها دخان مارد يحترق ، فيلمس دخانه قبة النجم ، ولعلمهم  
كانوا يفعلون ذلك ؛ لتصل أصداه ضراعتهم إلى حيث جثمت على الأرض في  
غيابة القبر جيفة من دَعَوِهِ !! .

---

(١) يزعم الصوفية أن فوق كل ضريح ولى نافذة مفتوحة في السماء ، يفيض الله  
منها بركاته على الطائفين حول الضريح !

ولعلك تسألني : وماذا كان يفعل بكم شيوخكم ؟ كانوا يرفعون في سكرة  
الْحُبُّ وذل الخشبية أيديهم المروقة ، يمسحون بها وجوههم ، أو يمشطون لحامهم ،  
ومن بين الشفاء الذوابل تنساب هذه الهمهمة : « رضى الله عنك ياسيد !! » ثم  
يلتفتون إلينا ، وعلى وجوههم ألقُ الرضى ناصحين في تأييد وإعجاب : « كفاية  
ماخلاًص سيمفكم السيد !! » .

وتعال - وناشدتك الله إلا ما أصفيت غير مال ولا كاره - أذكرك بذلك  
الشيخ الأكبر الذي كان يشرك الدهاء في يوم « الكذسة » وكان يمزق عمامة  
صنم البدوى ميزقاً ميزقاً ، ثم يهديها إلى مرديه بركة - في زعمه - من رَوْحِ الله  
التي يفرق صَيِّبُهَا ذِيَالِكَ الوتن !! .

لقد كان للشيخ الأكبر شيخٌ هو تاجر خيوط في المدينة ، وقد أعطاه العهد ،  
وألبسه « خِرْقَةَ التصوف » ، وكان التاجر على أُمِّيَّةٍ وجهالة ، بيد أنه كان خبيراً  
بزندقة الصوفية ، مؤمناً بها ، يثبها ، ويهوى بالهالكين في حَمَاتِهَا !! .

ولقد كنا نرى الشيخ الأكبر يخفض من رأسه عبودية للتاجر الصوفى !! ثم  
يلثم يديه في خشية ورهبة وإجلال !! وكنا نهتف إعجاباً بصنيع الشيخ ؟ إذ نراه  
دلائل قوية على إيمان عميق ، وتواضع كريم !! .

كذلك كنا نحرص كل الحرص على أن نتشئ بمشهد الشيخ ، وهو يطوف  
حول ضريح البدوى ، يتلمس نحاسه وستره ، حتى إذا بلغ فمه موضعاً منه ، راح  
يشويه بسعير القبل من شفثيه الناريتين !! ونحصر كل الحرص على أن نوفض  
من منازلنا سراعاً إلى « مولد » البدوى ؛ لنشهد سرادق الشيخ الأكبر المضروب  
على أبدٍ طويل عريض من الأرض احتفاءً بمولد الوثن الأكبر !! ولنطعم طعامه ،  
ونشرب شرابه ، ثم نخرج من السرادق الفخم الضخم مهرولين صَوَّبَ النَّصْبُ  
السكريز ، أو مايسميه الدراويش « العمود أو الصارى<sup>(١)</sup> » نقترف هذا ، لعلنا  
(١) هو عمود طويل من الخشب مفرط في الارتفاع مثبت في قاعدة من الأسمت

نصيب بركة من القطب العوث الذي قيل لنا : إنه لا يحرص على شيء كما يحرص على شهود الليلة الخاتمة « للمولد » هو والأقطاب الآخرون والأوتاد والأبدال والأنجاب !! ولعلنا نبصر واحداً منهم فيما تجسد فيه من صور<sup>(١)</sup> .

ثم تعال معي إلى الجامع الأحمدى الكبير ، أو هيكل الطاغوت الأكبر ؛ لترى هذه الحشود التي يمور ، ويموج بها الجامع من نساء ورجال وأطفال ، وفدوا إلى الصنم من كل فَجٍّ عميق ، وقد أشعلوا مواقدهم ، يطهون الطعام ، أو يصنعون « الشاي ، والقرفة » وأمام كل منهم « شوال » خبزه ، ووعاء « دَقَّتِهِ » وقد حبا على الأرض الأطفال يبولون ، أو يتبرزون !! .

وهنا ، وهناك حانات ذكر يرقص فيها « الدراويش » وَتَتَخَلَّعُ « الدرويشات »

\* \* \*

ويزور بي شيخ من أهلى - وأنا صغير - القاهرة ، فيجوب بي الصحراء ، ويجتاز الأودية ، ويسلك المفاوز ، ويتعثر في الجلاميد نشداناً لضريح ابن الفارض سعياً على القدم !! وهناك حيال الوثن الفارضى ، يغنى مرافقى قصيدة ابن الفارض : « نسخت بحبى آية العشق من قبلى » فتذرف عيناه وعيناي الدموع ، ويحترق قلبى وقلبه شجناً على هذا العاشق المحروم ، عصف به الغرام ، وأضناه الحرمان !! . كل هذا كان !! ثم ماذا ؟ ! .

---

(١) كان قد حدثني تقيب صوفى من قريتي عن القطب وأنه رآه . قال : « كنا بمولده البدوى مرة دون الصارى فسمعت من بعيد فيح مزمار ، فرأيت شيخى يهرول إلى باب السرادق ، ثم يكسر من قامته ، حتى لتكاد تمس رأسه الأرض ، ويرفع يديه في رعب شديد يحى بهما رجلا أشعث أغبر منتهك السواة ، ويده عكاز طويل ، يدب به على الأرض ، وقد تقدمه رجل مثله ينفض في « مزمار » ثم تنهد الرجل وهو يستعيد ذكرياته ، ثم قال : « وهكذا رأيت القطب ، فقد سألت شيخى عن الرجل الأول : أليس هو القطب ؟ وصاحب المزمار حاجبه ؟ ! فأجاب : بلى ، ولكن اكنتم السر !! »



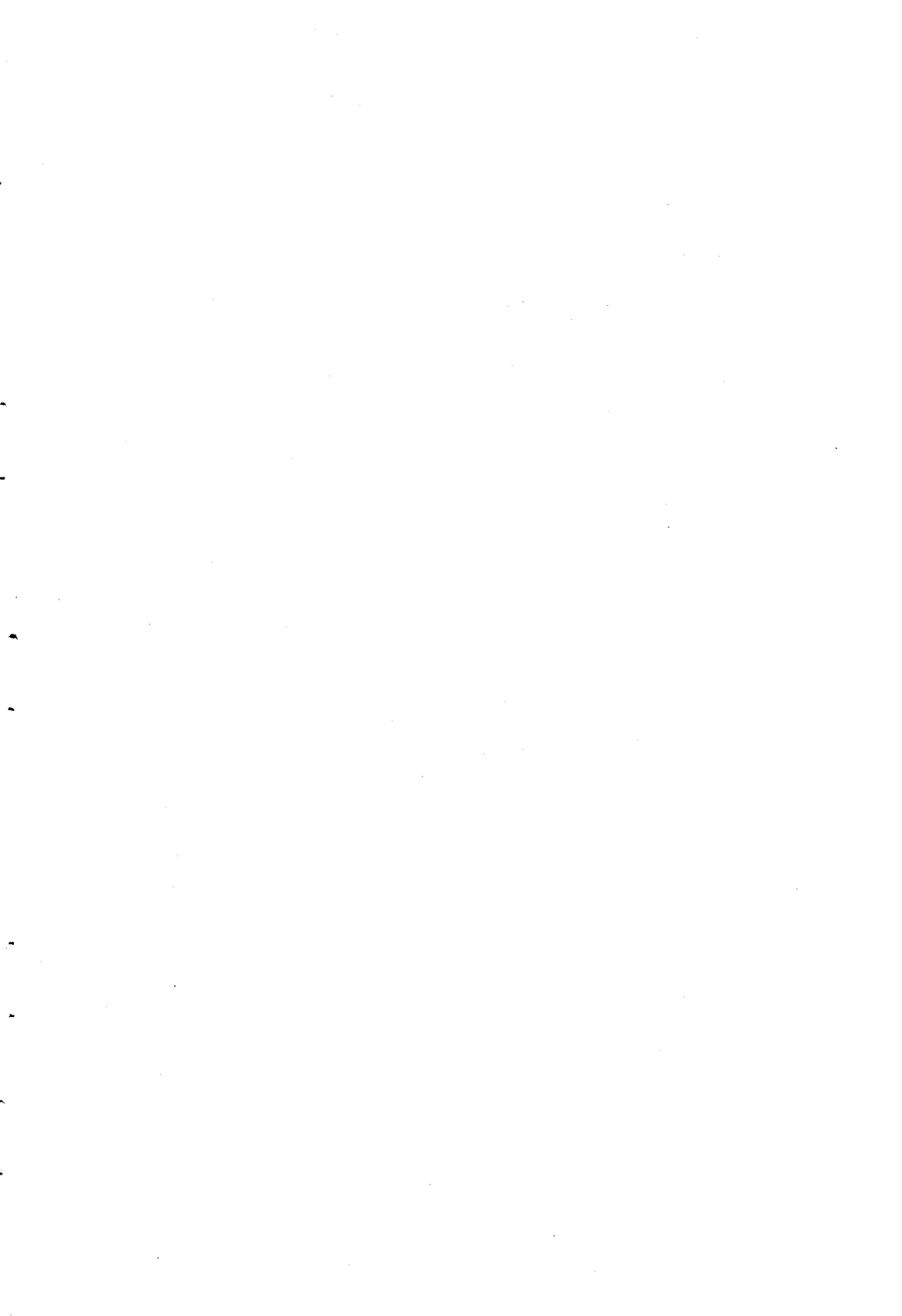
ثم هَدَانِي اللهُ سِوَاءَ سَبِيلِهِ ، وَسَلَكْتَ بِي رِعَايَتَهُ مَسَلَكَ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ ،  
فَمَاذَا حَدِثَ بَعْدَ ؟! تَطَلَّعْتَ نَفْسِي إِلَى الْمَاضِي الْوُثْنِيِّ - وَهِيَ نَهْبٌ حَسِرَةٌ حَزِينَةٌ  
الْمَأْسَاةُ ، وَخَمِيلُ أَفْرَاحٍ مَعْطَّرَةٌ - تَطَلَّعَ النَّاجِي مِنَ السَّعِيرِ مَا زَالَتْ فِي أَتُونِهِ الْمُنَاجِحِ  
ضَحَايَا تَعْسَةً مَنكُودَةً جَنَّتْ عَلَيْهَا الصُّوفِيَّةُ مَا جَنَّتْ عَلَيَّ ، وَتَطَلَّعْتَ إِلَى الرَّيْفِ  
الْحَزِينِ ، يَسْتَعْبِدُهُ شَيْوُخُ الطَّرِيقِ ، وَيَفْضَبُونَ أُنْتَامَهُ مَا يُؤَوِّصُونَ فِيهِمْ مِنْ  
رَمَقِ خَابِي الشَّمَاعِ ، وَأَرَامِلِهِ مَا هُنَّ فِي حَاجَةٍ مَلْهُوفَةٌ إِلَيْهِ لَيْسَ دُونَ خَلَّةٍ ، أَوْ يَسْتَرِنُ  
عُورَةَ ، وَمَا كَيْفَهُ حَتَّى الذَّبَالَةَ الْمُحْتَضِرَةَ مِنْ حَشَاشَتِهِمْ

تَطَلَّعْتَ إِلَى الرَّيْفِ الْوُدِيعِ تَجْعَلُ مِنْهُ الصُّوفِيَّةَ فِسَادَ عَقِيدَةٍ ، وَضَلَالَةَ فِكْرٍ ،  
وَذَلَّةَ وَمِهَانَةً فِي الْأَخْلَاقِ ، وَرَدَّغَةَ بَدْعٍ وَجَهَالَةَ وَخِرَافَةَ وَأَسَاطِيرَ ، وَعِبُودِيَّةَ خَانَةِ  
لَهْوَى الْأَحْبَارِ ، وَسَدَائَةَ يَعْكَفُ فِيهَا السَّدَنَةُ عَلَى بَغْيِ طَوَاغِيَتِهِمْ ، يَبْشُرُونَ  
بِسَاحَةِ بَرِّهِ . وَأُرِيحِيَّةَ رَحْمَتِهِ !! .

وَتَطَلَّعْتَ إِلَى الْمَدِينَةِ يَعْبَثُ فِي أَرْجَائِهَا الصُّوفِيَّةُ ، فَتَحِيلُ أَهْلَهَا - حَتَّى الْكَثِيرَ  
مِنَ الْمُتَّقِينَ مِنْهُمْ - عِبِيدَ قُبُورٍ ، وَعُجْبَادَ جَيْفٍ ، وَأَحْلَاسَ مُنْكَرٍ وَزُورٍ ، وَمَوَالِي  
أَذِلَّاءَ لِكُلِّ طَاغِيَّةٍ بَاطِنَةٍ !! .

تَطَلَّعْتَ إِلَى هَوْلَاءِ وَأَوْلَئِكَ ، وَذَكَرْتَ مَا كَابَدْتَهُ ، فَصَرَخْتَ مُوجِعًا مِنْ  
هَوْلِ الْفَاجِعَةِ أَحْوَالَ إِنْقَاذِ الضَّحَايَا التَّعْسَةِ . الْمُغِيدَةُ الشَّرِيَّ وَرَاءَ الذَّنَابِ الصُّوَارِي  
مِنَ الصُّوفِيَّةِ !! .

وَأَكْتُبُ مَا أَكْتُبُ ، ضَارِعًا إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ أَنْ يَمُدَّ بِالْمَعُونَةِ - فَمَنْهُ وَحْدَهُ  
يُسْتَمَدُّ - وَأَنْ يَتَّبِعِينَ لِتِلْكَ الضَّحَايَا الْمَسْكِينَةِ أَنْهَا تَتَجَرَّعُ الْفُسْلِينَ تَحْسِبُهُ رَحِيمًا ،  
وَتَطْعَمُ الْوَزِينَ تَطْنُهُ فَكَهْمَةُ الْخَلْدِ ، وَتَدِينُ بَوْتِيَّةً - هِيَ شَرُّ مَا بَدَعَ الشَّيْطَانُ  
لَأَوْلِيَائِهِ مِنْ وَثْنِيَّاتٍ ، وَتَخَالُهَا تَوْحِيدًا مُطَيَّبًا بِرُوحِ اللَّهِ !! .



## هذا الكتاب

هذا الكتاب . لهذا الكتاب الذى نصدره بهذه المقدمة قصة . فن أعوام  
خلت شكا سماحة شيخ الصوفية إخواناً لى من أنصار السنة ، بدعوى أنهم ينالون  
من كرامة الصوفية ، فكان أن رجوت وكيل النائب العام أن أقف وحدى موقف  
المتهم ، فلم يجد المحقق ما يأخذنا به ، وقد قدمنا له الأدلة الدامغة من كتب الصوفية  
على مادمنامم به ، وعلى صفحات « مجلة الهدى النبوى » نشرت - بعد التحقيق

معى - خطاباً مفتوحاً إلى سماحة الشيخ ، فيه ما فيه من حق يصعق باطلا ، وتوحيد يقضى على وثنية ؛ ليعلم الشيخ ومن خلفه ، أنهم مهما كادوا لنا ، أو مكروا بنا ، فإننا لن نسكت عن أساطيرهم ، ولأحقه ، فيضرب بكل سهم في جمعته ، فتكون فرصة أهتلبها ، لكشف خفايا الصوفية أمام كل جهة يشكو إليها منى ، وألح إخواننا أنصار السنة هنا وفي السودان العزيز وغيره في طبع الخطاب . فطبعت منه آلاف النسخ ، فكان أن صودر في السودان بأمر الحاكم العام السابق ولسان نفدت نسخة طبعه إخواننا في سوريا الشقيقة<sup>(١)</sup> قد ترجم إلى الأندونيسية . -

وألح إخواننا في طبعه مرة أخرى ، فعدت إلى الكتاب أكتبه من جديد وأزیده كثيراً من النصوص ، وموضوعات جديدة لم تكن في طبعته الأولى ، حتى أربى الكتاب على ضعفى حجمه الأول ، فليس افتئاتا على التاريخ أن أسميه : « هذه هي الصوفية » بدلا من اسمه الأول « صوفيات<sup>(٢)</sup> » وسيرى القراء كما

---

(١) طبع هناك تحت إشراف الأخ الكريم الأستاذ « محمد نسيب الرفاعى » عن جماعة الصراط المستقيم بحلب عام ١٩٥٢ م وقد جاء في مقدمته الرائعة التي قدم له بها الأخ الكريم ما يأتى : « إن بوادر خاتمة أولياء الشيطان قد لاحت ، وبشائر انتصار الحق على الباطل قد دقت ، وإن هذه البوادر والبشائر لاحت جميعها من هذا الكتاب - صوفيات - هذا الكتاب الذى ساوم المبطلون الضالون صاحب المطبعة التي طبع فيها على إعطائه أجره الطبع ، وقيمة الورق مقابل تسليم الكتاب لهم ليحرقوه .. هونا أيها القوم ، ما يغنيكم إحراق كتاب الصوفيات ؟ أليس مأخوذاً عن كتبكم ورسائلكم ؟ إن كل تهمة موجهة إليكم فيه إنما هي منقولة بالحرف الواحد من مجلدات تحداكم أن تقولوا إنها ليست لسادتكم وكبرائكم » .

(٢) رد عليه كاتب في السودان بكتيب سماه « الجياد الصافات في الرد على صوفيات » ورد عليه كاتب في سوريا بكتاب سماه « نسف الصوفيات » فكان ردهما أبلغ دليل على أن الصوفية وثنية عفنة ، وحجة على أنهم في ضلال مادمنهم به .

عودتهم ، أننى لم أرم الصوفية بغير ما به تدين ، وأنا لم نعتد بقول أحد فى الصوفية ، وإنما اعتدنا بنقل نصوص كثيرة من كتب الصوفية بينة الدلالة على معتقدهم ، مقارنين بينها وبين بعض آيات القرآن الكريم ، وأحاديث خاتم النبیین صلى الله عليه وسلم ، هذا لكيلا يفترى صوفى أننا نرميهم بغير ما يفترون على الله . كنا نستطيع أن نضع صنيع بعض نقدة الصوفية قديماً وحديثاً ، فنأتى بفتاوى أئمة المسلمين فى شأن الصوفية ، أو ننقل ما نقلوه عن الصوفية من نصوص ، بيّد أنى رأيت أن يكون للعدل والحق والتحقق الرعاية الأولى ، فنقلت دين الصوفية من كتبهم التى يؤمنون بها ذا كرا اسم الكتاب ، وتاريخ ومكان طبعه ، ورقم الصفحة التى عنها نقلت ؛ لأرمى الظن والريب باليقين الواضح ؛ ولأبعد كل شبهة تتوهم أننا نفتات عليهم ، أو نهتهم ؛ وليكون كل قارىء مفتياً لنفسه بالحق ، وحكما بين الحق وباطلهم .

وقد يعيب علينا بعض من سحرتهم طقوس الصوفية ، وشاعريتها السكهنوتية العُنفَ فى الحاجة ، لسكنتنا لهؤلاء نقول : رويدكم !! فإنما نسى الأشياء بأسمائها ، ونصفها بصفاتهما ، فلا نقول عن الزقوم : إنه تفاح الجنة ، ولا عن الفِلسين : إنه رحيق الفردوس ، ولا عن الشرك : إنه توحيد ، بل لانحب أن ندهن النفاق فزعم أن شرك الصوفية خطأ ، فحسب ، كما يوافق بعض الشيوخ الذين مرّوا على النفاق ، ومرنوا على الحادعة والمداجاة ؛ ليحسبوا مع الكافرين ، ومع المؤمنين !! وعجب مُغربٍ فى العجب ، أن نغضب ، بل نرتجف من الحنقِ إذا دُعينا نحن بغير أسمائنا ، ونحقر من ينتسب إلى غير أهله ، ثم لا نغضب من نعت الباطل بأنه حق !! وعجب ذاهل الدهشة أن نرمى بالعمى والجهالة من بسم الليل : بأنه نهار شمس ، أو من يقول عن المر : إنه حلو ، أو من يقول عن الثلاثة : إنها واحد !! أو من ينسب إلى مذهب رأى مذهب آخر ، أو من يخطئ فى حقيقة تاريخية ،

أو جغرافية ، أو مادة قانونية ، ثم لانزى بهما - بالعمى والجهالة - من ينضت الصوفية بأنها إسلام صحيح ، ومن يقول عن الطائفتين حول القبور ، اللاتذنين بأبحارها العم : إنهم مسلمون !! ثم يكثر ؛ ليحسب مع المسلمين ، فيقول عن أولئك : ولسكنهم مخطئون !!

عجب أن نكفر من ينسب إلى محمد صلى الله عليه وسلم حديثاً موضوعاً ، والقائلين بأن الله ثالث ثلاثة ، ثم نحكم بالإيمان الحق لمن ينسبون إلى النبي أنه الصوفى الأول ، وأنه الموحى بدين الصوفية !! من يقولون : إن الله عين كل شيء . وأنه مليون ملايين !! نحكم بإيمان هؤلاء ، لالشيء سوى أن لهم أسماء تشاكل أسماء المسلمين !! .

إن الحق والدفاع عنه يحتمان علينا أن نسمى كل شيء باسمه ، ونصفه بصفاته ، وإلا افترينا عليه ، وجعلنا للباطل السُّورَةَ والصولة ، وداجيننا في الإيمان . أما هذه النعمة والطرارة والرخاوة المُنْتَهَى في الازياء والعجز المهين !! قولوا عنا أما ذلك فشر أنواع الجبانة الذليلة ، والخذاع والزياء والعجز المهين !! قولوا عنا ماشتم ، فإن للحق صولة تجتاح كل صولة أخرى ، ولن ينال منها أن ترموا بعض جنده بالعنف في البيان والمحاجة . وعجيب أن نرمى بالعنف ، أو ينتقد علينا هذا في الدفاع عن أعظم مقدسات الدين والفضيلة ، والله يقول ( ٧٣ : ٩ ) يأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين ، واغلظ عليهم ، ومأواهم جهنم ، وبئس المصير ) .

قولوا ماشتم ، فليس بنافع ماتقولون به في الازياء عن الصوفية أو الإبقاء على رمقها الشاحب المحتضر !! بل ستبقى رغم ماتقولون به تلك الحقائق الصاعقة العاصفة المدمرة تلك هياكل الصوفية . ستبقى شاهد عدل وحق ساطع البرهان على أن الصوفية عدو الإسلام الألد الخصام ، بيد أن هذا العدو يسحرك بفزل

التقييل ، ويسرك بخمرة العناق ، حتى إذا أغمضت عينيك النشوة الحاملة ،  
أنفذ إلى صميم قلبك خنجره المسموم .

وما نشترى بما نكتب رضا الناس ، وإنما نبتغي به رضا الله ، فله ما بذلت  
من جهد ، وأضرع إليه سبحانه أن يدخره لى جهدا فى سبيله ، وألاً يضيعه بذنب  
منا نقترفه ، وهو مولانا ونم النصير .

عبد الرحمن عبد الوهاب الوكيل

القاهرة

١١ من ربيع الآخر سنة ١٣٧٥

٢٦ من نوفمبر سنة ١٩٥٥

---

## الفصل الأول

### مقدمة

#### معذور

شكوت إلى النياية يا سماحة الشيخ<sup>(١)</sup>؛ لِنَتَنَصِّفَ لك من إنسان يدعوك إلى الحق، وإلى الإيمان به.

ولا تثرِب عليك!! قَهْتِكُ القناع السَّخْرِيَّ عن الصوفية حرمانٌ لِكَهْنَتِهَا من السُّنْتِ يُجْبَى باسم الأوثان. ولم لا؟! .

وسيراها الناس ثَمَّتَ أمشاجاً من اليهودية الباغية، والمجوسية اللاجنة، والوثنية المستغرقة في الجحود!! سيرون الصوفية الفزَلِيَّةَ الفتون حَمَاءً من الشرك الخاتل تَمِضُ على شفتيه بسات الغانية المُتَبَرِّجَةِ؛ لتفتك، وتقتل!! .

أرأيتَ إلى من شكوته، كيف يَفْتَرِي لك العذر، ويتسم إشفاقاً عليك من ثورتك العارمة عليه؟! وما تَنْقِم من هذا المسلم سوى أنه يبصرك بجناية هذه الجماعة التي قال الله فيها (٣٦: ٦٠) ألم أعهد إليكم يا بني آدمَ أن لا تعبدوا الشيطان، إنه لكم عدو مبين؟! (يُبَصِّرُكُ بجنابيتها الظالمة على الدين الحق وقيمه الروحية. على الفكر الملهَم، والأخلاق التي تَسْتَوْحِي السماءَ النورَ والسموَّ والهداية. على المُثُل العليا للجماعة الإسلامية.

#### أملنا في الشيخ

ولقد كنا نأمل - والشيخ من كبار علماء الأزهر - أن يقود هذه الجماعة الضالَّةَ الخَيْرِيَّ إلى هدى الله، وأن يحول بينهم، وبين تَدْمِير ما للجماعة الإسلامية من مَقَوِّمات، وما لديها من قِيم، وما زال الأمل يُغريني طيفه الشاعرُ أنك يا سماحة

(١) المقصود سماحة شيخ الطرق الصوفية فأليه يوجه الخطاب.



الشيخ استفعل ذلك للمالك في ماضيك من سوابق خير ، وأوقن أنك لو فعلت ،  
لكنت ليث بطولة فادية ، تهتف بها الأحقاب في إعجاب ، وتُرثَلُ الثناء عليها  
مزاميرُ القرون !! .

### ضحية

هذا رجاء شاب مسلم أغوى صباه الغريرَ سحرُ الصوفية ، فَجَرَّعته زُعافها  
يحسبه خمرة الجنة تدهق كثوسها الملائكة ، وغَسَلينها يخاله رحيقاً تُزويه به  
الخورُ النواعم ، ثم أشرقت على روحه المظلم أشعة الهدى من كتاب الله ، فنظر ،  
فماذا رأى ؟ .

رأى ماضيه الصوفيَّ شيطان كفرٍ مارِدٍ يفتال إيمانه ، وشركٍ يعصف بالرمقِ  
الشاحب من توحيدِه ، فياحَرَ قلبه !! كان الفتى اليتيم الروح يأمل أن يمشی  
على الماء ، وأن يُحلق بجناحيه فوق قبة النجوم ، وأن يتخذ بالروح الإلهيِّ الأعظم ،  
وأن يهتك - كالشهاب الثاقب - حُجُبَ «السَّوِيَّةِ وَالْفَتْرِيَّةِ»<sup>(١)</sup> ؛ ليشهد حقيقة  
الوحدة الكُبرى ، ووحدة الوجود ، ويسعد بها ، وقد تحققت في ذاته !! كان  
يأمل ذلك كله ، فبكل هذه الأساطير المحوسية وعدته الصوفية . ولكن !!  
وآه مما بعدها من أدمع وجراح !! .

أملت أن أمشي على الماء ، فكانت الحُممُ المدمدماة من سقر !! .  
أملت أن أحلق بجناحي فوق الأفق ، فإذا هي مأساة المشرك التي قصَّها الله  
في كتابه ( ٢٢ : ٣١ ) ومن يُشْرِكْ بالله ، فكأما خرَّ من السماء ، فتخطفه الطيرُ ،  
أو تهوى به الريح في مكان سحيق ) .

فَمِنْ ذروة القمة الحاملة الخيال هويت - يدُكُئي الصخر الأَصمُّ الناقئ -  
إلى غَوْرٍ سحيق سحيق !! .

(١) اصطلاحان صوفيان مأخوذان من كلمتي «سوى وغير» والصوفي الحق في  
دين الصوفية من يوقن أنه لا «سوى ولا غير» أي يرى الكل عيناً واحدة !!

وهناك على الصخور الحدياء بقيت منى أشلاء متناثرة ، تروى لك عبرتى  
الحزينة المفجوعة !! .

وهنا فى القلب الدامى جراحٌ نازفةٌ تنوح بين يديك بمأساتى الدامية !! .  
أملت الاتحاد بالروح الإلهى ، فلم أجد غير الشيطان ينفث فى دمي فتونه ،  
ويتلظى فى غرائزى غيًّا يتعشَّق كل ساجية !! .  
أملت شهود الوحدة الكبرى !! .

وآه من هذه الأسطورة الناعسة الفتنة ، المكحولة الآثام !! .  
فقد وعدتنى الصوفية أن هذه الأسطورة ستجعل منى إلهًا تاتر الرغبات ،  
عاصف الشهوات ، يجمِّحُ به هواه إلى امتهان ألوهيته فى سبيل مثل هذه الرغابِ  
التي تشهَّها الحرمان من شاعر ظامى الجسد .

آه يا يوم التلاقى ليتنى كنت إلهًا  
لأبَحْتُ الناسَ لنا من خدودها وشفاهها

وعدتنى بالرؤية تتجلى في بصورة بشرية ، فأصرف الوجودَ بقدرى القاهر ،  
وقضائى الذى لا مرَدَّ له ، وأسخر السماء والأرض ، والعواصف والجن ، والملائك  
والحور ، أسخرهم لصبواتِ شبابى ، ونزواتِ هواى !! .

ألم يُبَيِّحْ كاهن الصوفية التلمسنى فى دينه الأم والأخت ، ويرمى من محرماها  
على الابن والأخ بأنه محجوب ؟ !<sup>(١)</sup> .

ألم يؤكد طاغوت الصوفية الأكبر «ابن عربى»<sup>(٢)</sup> أن الربَّ الأعظم غانيةٌ  
هَلُوكَ تحترق الشفاهُ على ثمرها قبلا دنسة ملتبهة !! وأن هذا الربَّ لا يبلغ كمال  
تجليه الأعظم إلا حين يتجسد فى صورة أنثى تبتاح أنوثتها خطيئة كل عزيز  
فى غيابة الليل !! قد يتجلى هذا الربُّ فى صورة مَلَكٍ أو رجلٍ ، بيد أن تجليته

(١) ص ١٧٧ ج ١ مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية .

(٢) هو محمد بن على بن محمد الحاتمى الطائى الأندلسى مات سنة ٦٣٨ هـ .

في صورة ماجنة تُعْمَلُ بالشهوة ، وتصرخ بالرغبة ، وتَتَقَتَّلُ بالمفانن ، وتغازل بالإثم - تجليه في تلك الصورة أحلى وأجمل ، وأتم وأكمل !! .

إذ يتجلى في الرجل بصورة فاعل ، أما في المرأة فيتجلى في صورة فاعل ، وصورة منفعل ، وصورة فاعل منفعل معاً في مجلّي واحد<sup>(١)</sup> !! .

تثليث آخر !! غير أن وراءه شهوة متمرده تنزّو به !! عُدْرَاكُ إن جَحَّتْ بي رغبتى في الذياد عن الحق إلى ذكر خطايا صوفية ، يذمى منها حتى الخزى ، وتثير الحياء في صفاقة وجه البغى !! . عُدْرَاكُ فإنما نجاهد لتدمير الطاغوت الأكبر ، وشيخ الصوفية يشكو منا إلى النياحة ، لأننا نكشف لهم ما افتراه الشيطان من أديان وثنية ، فتن بها الآبقين من الخلق ، وسَمَّأها لهم صوفية !! .

فضى الكهان يبشرون بها على أنها توحيد يشع منه وحده الحق ، وإيمان سماوى الروح ، عُدْرِيُّ الحب ، فكان خطرهما الناجم الدام ، هو القاصمة ، بل كانت أشد خطراً على المسلمين من المجوسية ، فهذه مُسْتَعْلِنَةُ البَغْيِ لها من قلنسوتها آية . أما الصوفية ، فَبَسَمَاتُ حلوة خُأوب ، ونجاوى ناعمة شَفَّ رَقَّتْها عشق محروم ، ونفثات عِدَابٍ أسرة ، وعمائم منتفخة كالبطون المُتَخِمة من الحرام ، ولِحَى بيض مُرْسَلَةٌ على قلوب سود ، يعيث فيها مشط مُوسِس ، ومسبحات بألوان الطيف مسحورة الهَيْنَمَةِ ، لاتمل من الترتيل ، مَوْشَاةُ الذوائب ، مُنَمَّمةُ الأنامل ، تصطفق حَبَّاتِها في رعونة نائرة !! .

### واجب الشيخ

كان واجب الشيخ - وقد ذكرته بهدى الله - دعوة أتباعه إلى الإسلام ، يؤمنون بالكتاب والسنة ، ويكفرون بالصوفية ، وراثتها الوثنى ، فإن لم يرض أتباعه بالله وحده رباً ، وبكتابه - فحَسْبُ - إماماً ، ورسوله الحق وحده أسوة

(٣) سيأتيك نصه بلفظه .

وقدوة . ، كان حقاً على الشيخ أن يفر إلى الله نُحْبَتاً مؤمناً ، وأن يترك - رَضِيَّ النفس - هذا المنصب وأصنامهُ ، ترجمهما لعنة الله !! .

### لماذا أكتب للشيخ؟

في خيالي الكليلِ شَفَقٌ خابٍ من حسن الظن بالشيخ ، وأطيف شاحبة الصور نُحْيَلُ إِلَى أن الشيخ على جهالة بدين الصوفية . وبما تطفح به كتبها من وثنية ، ومن أعماق نفسى الخانية ينبعث دعاء نائر الإلحاح في بَرِّ وإشفاق ، يدعوني إلى أن أنشر بين يدى الشيخ ، وصَوَّبَ فكره وعينه كتاب الصوفية ليرى فيه صور أربابها - وتعالى جَدُّ ربنا الحق - ، ورسولها - وبرأ الله خاتم النبيين من بهتانها - ، وأوليائها - وحاشا أولياء الرحمن أن تمسهم صوفية - ، فلعل الشيخ حين يرى هذه الصور التى تفجع النفس والضمير والخلق الكريم والفكر البصير ، يهب بها على الجاهلية الصوفية ثورة حَقِّ قوى لطمه باطلٌ ، وعزم مشبوبٍ أحقنه ظلمٌ خاتل . وهناك يروى التاريخ عنه للأباد الواعية قصة البطولة الفادية ، وتزخر القلوبُ المؤمنة بمشاعر الإعجاب به آيةً حب عميق ، ودليل أخوة فى الله . أتراك تفعل يا سماحة الشيخ ؟ !

وإلا فسَنظَل - بعون الله - نُلْهَبُ بسياط الحق ظهورَ الآبقين ، ونَدْكُ بمعاوله - غير هَيَابَةٍ ولا واهنة - معابد الأصنام ، حتى تخر على سدتها وعبيدها ، ولن يحول بيننا - بتوفيق الله - وبين التذكير بماهدى الله إليه ، وفرض علينا الجِلَادَ المُسْتَلَمِ دونه ، عواصفٍ شَرِّ تثيرها علينا أحقاد الصوفية المُسْتَعْرَةِ ، فما لقلب المؤمن أن يهربَ فى الحق إلا من فطره ، ولا أن يرغب إلا فى رضا ( ٩ : ١٢٩ فإن تَوَلَّوْا ، فقل حَسْبِيَ اللهُ ، لا إله إلا هو . عليه توكلت ، وهو رب العرش العظيم ) .

## دين الصوفية

للسوفية مدد من كل نحلة ودين إلا دين الإسلام ، اللهم إلا حين نظن أن للباطل اللثيم مدداً من الحق الكريم ، وأن للكفر الدنس روحاً من الإيمان الطهور . والصوفية نفسها تبرأ إلا من دين طواغيتها مؤمنة بأنه هو الحق الخالص . يقول التلمساني - وهو من كُهان الصوفية - « القرآن كله شِرْكٌ ، وإنما التوحيد في كلامنا <sup>(١)</sup> » وابن عربي يزعم أن رسول الله أعطاه كتاب فصوص الحكم - وهو دين زندقته - وقال له : « اخرج به إلى الناس ينتفعون به - ويقول : حققت الأمنية كما حدّه لي رسول الله بلا زيادة ولا نقصان » ثم يقول :

فمن الله ، فاسمعوا وإلى الله فارجعوا <sup>(٢)</sup>

على حين يذكر الحق وتاريخه الصادق أن الصوفية تنتسب إلى كل نحلة مارقة ، وتنتهب منها أخبث ما تدين به ، ثم تفتريه لنفسها ، مؤمنة به ، وتحمل على الإيمان به كل فراشة تطيف بجحيمه ، وإلا فهل من الإسلام أسطورة وحدة الوجود ، وخرافة وحدة الأديان ؟ ! فتلك تزعم أن الله سبحانه عين خلقه ، عينهم في الذات والصفات والأسماء والأفعال ، تزعم أن واهب الحياة ، وخالق الوجود عين الصخر الأصم ، والرمة العفنة ! ! ووحدة الأديان تزعم أن كفر الكافر ، وخطيئة الفاجر عين إيمان المؤمن ، وصالحة الناسك ، تزعم أن دين الخليل هو دين أبيه آزر ، وأن إيمان موسى عين كفر فرعون ، وأن وثنية أبي جهل عين توحيد محمد ، فكُلُّ رب الدين ورسوله ! ! كل تعين للذات الإلهية ، غير أنها سميت في تعينٍ بمحمد ، وفي آخر بأبي جهل ، وهي هي في مظهرها ، أو اسمها ! ! تزعم أن دين إبليس وإيمانه عين دين أمين الوحي ، وروح إيمانه ، بل زادت

(١) ص ١٤٥ ج ١ مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية .

(٢) ص ١٠٥ فصوص الحكم بشرح بالي ط ١٣٠٩ هـ

الخطيئة فجوراً ، فزعمت أن إبليس أعظم معرفة بآداب الحضرة الإلهية من أمين الوحي ، وأسمى مقاماً !! .

أفمن دين الإسلام هذه الخطايا الكافرة ؟ ! .

افتراء على دين الله

ولكن ما بالي أسرف في الحجاج ؛ لأثبت ما ليس في حاجة إلى دليل يثبتته ، بل ما الصوفية - نفسها - تقرر مؤمنة به ؟ ! .

سلوها لم انتبذت من المسلمين مكاناً قصياً تسمى فيه المدنسين برجسها صوفيين ، لاسلمين ، والاسمان متقابلان تقابل الظلام الجائر ، والضوء الباهر ؟ سلوها لم تمت ماسمى به الله من يعبدونه على بصيرة ، وتجنح إلى اسم ماله من دلالة إلا على كفر أو مذلة ؟ سلوها من هم كهان دينها ، وأحبار طقوسها ؟ سلوها لم تُوِّرَتْ أحقاد طواغيتها على الكتاب والسنة ؟ سلوها لم تفتن الأغرار عن دين الحق ، فتزعم لهم أن الإسلام شريعة وحقيقة ، تعنى بالشريعة ما أوحاه الله إلى رسوله ، وبالأخرى وساوس الأبالسة النافثين لبدع الصوفية . سلوها ، وسلوها ؟ ولكن لا تكفوا أنفسكم ، فهذا ابن عجيبة الفاطمي الهوي ، الصوفي الدين يلهمكم جواب ما عنده تسألون ، فإليكم ما افتراه : « وأما واضع هذا العلم « يعني التصوف » فهو النبي صلى الله عليه وسلم علمه الله بالوحي والإلهام ، فنزل جبريل أولاً بالشرعية فلما تقررت ، نزل ثانياً بالحقيقة ، فخص بها بعضاً دون بعض ، وأول من تكلم فيه ، وأظهره سيدنا على كرم الله وجهه ، وأخذه عنه الحسن البصري<sup>(١)</sup> » وإنها لفريضة جائزة الإفاك على رسول الله ، وبهت له بجريرة ملعونة ، جريرة كتمان العلم ، وأى علم ؟ إنه علم الحقيقة في دين الصوفية !! أفيحكم الرسول الحق وعلمه ودلائله ،

---

(١) ص ٥ إيقاف الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة ج ١ ط ١٩١٣ م . وفي قوله ذلك دليل الصلة الوثيقة بين الصوفية وبين الشيعة التي تؤله أئمتها .

وقد توعد كاتم العلم بعقاب شديد من الله « من كتم علماً يعلمه الله إياه ، أجم يوم القيامة بلجام من نار<sup>(١)</sup> » ثم وراء هذا البهتان اتهام صريح لأبي بكر وعمر وعثمان ، ومعهم خيار الصحابة من السابقين ، بأنهم كانوا أنصاءً ضلالة وجهالة بما يعرج بالروح إلى محبة الله ، ورائه محاولة حقوقاً مصممة على تجريد الجماعة الإسلامية من خيار سلفها وخيار خلفها من صفة الإيمان الحق . وحسب الصوفية أن تبوء هي وحدها بما تهبت به الصديقين والشهداء .

### وسيلة المعرفة عند الصوفية

ويدين الصوفية ببهتان آخر يدمنها بالمروق عن الإسلام ، ذلك هو اعتقادها أن الذوق الفردى<sup>(٢)</sup> - لا الشرع ، ولا العقل - هو وحده وسيلة المعرفة ومصدرها . معرفة الله وصفاته ، وما يجب له<sup>(٣)</sup> ، فهو - أى الذوق - الذى يَقُومُ حقائق الأشياء ، ويحكم عليها بالخيرية أو الشرية ، بالحسن أو القبح ، بأنها حق أو باطل ، فلا جرم أن تدين الصوفية بعدد عديد من أرباب وآلهة ، ولا عجب أن ترى النحلة منها تعبد وتناً بغير ماتعبده به أخرى ، أو تمنع لصنم يكفر به سواها من النحل الصوفية ، لاعتجب من ذلك كله . مادامت تجمل « الذوق » الفردى حاكماً وقياً على المسميات وأسمائها ، فيضع للشيء معناه مرة ، ثم ينسخه بنقيضه مرة أخرى . هذه الحدة فى توتر التناقض صبغة الصوفية دائماً فى منطقة المخبول ، ولقد ضربت الصوفيين أهواء أحبارهم بالخيرة والفرقة ، فخالوا طرائق قديداً ، تؤلّه كل طريقة منها ما ارتضاه كاهنها صنماً له ، وتعبد به بما يفتره هواه من خرافات!!

---

(١) أبو داود والترمذى وابن حبان والحاكم وصححه من طريق أبي هريرة وقال الترمذى : حسن صحيح .

(٢) يعنى به الذوق الخاص بكل إنسان .

(٣) لم نقل : وما يستحيل عليه . لأن الصوفية تؤمن بأنه سبحانه يجب له كل شيء ، لأنه عين كل شيء ، فلا يستحيل عليه نقص ولا عجز .

على حين يجمعهم على الوحدة هوى واحدٌ ، وغايةً واحدة ، هي القضاء على الإسلام والجماعة الإسلامية .

وما إخالك ياسماحة الشيخ تترى فيما ذكرته لك ، فأنت به خبير ، وإلّا فقيم هذه الشَّيْعُ المتطاحنة<sup>(١)</sup> ، وفيم هذه المشيخات المتنازدة ، كما دخلت واحدة منها عليك لعنت أختها ، بل فيم هذه الحرب التي يثيرونها عليك في مكر دنىء ورياء ما كر؛ إذ جلست على عرشهم دون أن تكون لك قدم ثابتة في التصوف ، ودون أن تُنصَّبَ شيخ طريقة من قبل !!؟ قلها صريحة الجرأة ياسماحة الشيخ ، يهب الله لك هداه ، ومقام الصّديقين ، وإنه للخَيْرُ الذي تنشده نفس كل مؤمن

## الفصل الثاني

### آلهة الصوفية

يفترى الصوفية - فالهم من سجية غير ذلك - أنهم الذين يعرفون الله معرفة لا يمس يقينها ريب ، ولا يشوب جلال الحق فيها شبهة ، ويصمّون المسلمين بعمى البصيرة<sup>(٢)</sup> ، وعمه العقل ، وخطَل الفكر ، وجمود العاطفة ، وفساد الذوق ، وخمود جذوة الحياة في الشعور ، والإغراق العميق السحيق في المادية الصماء ، والجمود الأحق على عبادة التاريخ ، وما زالت تلك دعواهم . فما الرب الذي يعبدونه وإذا شئت إحكام الدقة ، فسلهم : ما الرب الذي اختلقوه ، ثم عبده ؟  
ناشدتك الله - إن مسك فيما أقول وهم ريبة ، أو فتتك منهم عن الحق

---

(١) يقول رويم البغدادي : « لا يزال الصوفية بخير ماتنا فروا ، فإن اصطلحوا ، هلكوا » ص ١٨١ طبقات الصوفية للسلي ، فليتنافر المسلمون ، وليتطاحنوا ، فهذا دين الصوفية .

(٢) يقول نيكلسون « والصوفية لا يفتشون يعلنون أنهم أمة الله المختارة » ص ١١٧ الصوفية في الإسلام ترجمة نور الدين شريعة .



غزل ابتسامة ، أو ترنيمة عاشقة بتسبيحة أو دعاء ، ناشدتك الله إلا ما قرأت شيئاً من كتبهم ، لتعرف رب الصوفية الأعظم . اقرأ من الفتوحات ، أو الفصوص ، أو ترجمان الأشواق ، أو عنقاء مغرب ، أو مواقع النجوم ، وكلها لابن عربي . اقرأ من الإنسان الكامل للجلي ، اقرأ من تائية ابن الفارض وشرحها للنابلسي أو القاشاني ، اقرأ من الطبقات والجواهر والكبريت الأحمر للشعراني ، اقرأ من الإبريز للديباغ ، اقرأ من كتاب الجواهر ، والرماح وهما للتيجانية ، وروض القلوب المستطاب لحسن رضوان ، بل اقرأ حتى مجموع الأوراد الذي يتبعون به الآن ودلائل الخيرات ، « وأحزاب » الكهنة منهم في العشايا والأسحار .

إن الصوفية تنعت ابن عربي بأنه « الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر » وتخر له ساجدة ، والجلي بأنه « العارف الرباني والمعدن الصمداني » وابن الفارض بأنه « سلطان العاشقين » والشعراني بأنه « الهيكل الصمداني والقطب الرباني » فما أدعوك إذن إلى تلاوة كتب تنعم منها الصوفية دلائل الحق ، وإشراق الهدى ، بل إلى كتب تقدسها الصوفية على اختلاف نوازعهم ، وتباين أهوائهم ، ويجلوها - ولا أعدو الصدق إذا قلت يعبدونها - ويرونها الأفق الأسمى لنور التوحيد ، والمنيع الساسل لفيوض الربانية !! فإن قرأت شيئاً من تلك الكتب ، فتدبر بعده آية واحدة من كتاب الله ، واقذف بنور الحق الإلهي على دياجير الباطل الصوفي ، وامت يروعك ، ويستفز الغضب الثوائر من لعناتك أن تجد الصوفية تدين ربّ يتجسّد في أحقر الصور ، وتمتّعين « هُوَيْتُهُ وَإِنِّيْتُهُ »<sup>(١)</sup> في أنتن الجيف ، وتمثل حقيقته الوجودية صوراً أوهام في الذهن الكليل ، وظنون حيرى في الفكر الضليل ، وتهاويل أسطورية في الخيال . ألم تؤله الصوفية في دين كاهنها

---

(١) الهوية عندهم هي الحقيقة الباطنة للذات الإلهية ، والإنية هي حقيقتها

التلمساني رمة كلب تقزز من صديدها الدود<sup>(١)</sup>؟!!

ومعذرة بإسماحة الشيخ ، فوالذي هدى المسلمين إلى دينه الحق ، وأوجب الجهاد  
دونه ، ماقلت إلا الحق للحق ، وما رميت إلا بالحق ، وإن شئت فمرحبا بموعد  
نلتقى فيه للمحاجة ، فاختر ماشئت من أمكنة ، وإن يكن قبة البدوى !!

وهالك من النصوص مايكشف لك في جلاء عن معتقدات الصوفية ، وسأختار  
من النصوص مالا يكثر به التأويل ، من كتب تتخذها الصوفية شرعة لها ومنهاجا  
في الدين ، وتجمل أوثان من افتروها مطافات تستروح عندها - كما تزعم - نسائم  
الجنة ، وعبير الخلود ، وروح الله ، وتضرع إلى جلاميدها الصم أن تهب للروح  
السكينة ، وللقلب اليقين المطمئن ، وأن تمد الوجود بالحياة الفياضة بالخير واليمن  
والبركة ، وأن تكشف لعبادها حقيقة الربوبية والإلهية ليعرجوا إلى الاتحاد بها ،  
وترجو ماينخر في عظامها من سوس ، وينهش لحومها من دود ، أن يصرف  
كهان الصوفية في أقدار الله ، وأن يجعل لهم السلطان على قضائه ، وأن يخلق بهم  
فوق الدرى السامقات من أقداس الربانية !!

إله ابن الفارض<sup>(٢)</sup>

يؤمن هذا الصوفى ببدء الاتحاد ، أو الوحدة سمها بما شئت . بصيرورة العبد

(١) مر التلمساني على كلب أجرب ميت في الطريق ، فقال له رفيق له - وكان  
التلمساني يحدثه عن وحدة الوجود - : أهذا أيضاً هو ذات الله ؟ مشيراً إلى جثة  
الكلب . فقال التلمساني : نعم . الجميع ذاته ، فإمن شيء خارج عنها ، انظر ص ١٤٥  
مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية .

(٢) هو عمر بن أبي الحسين على بن المرشد بن على شرف الدين الحموى الأصل  
المصرى المولد توفى سنة ٦٣٢ هـ ، ولم تحدث عن سبقه من الصوفية كالحلاج أو  
البيضاوى مثلاً ، لأننى اخترت أن أنقل عن يجمع الصوفية جميعاً سلفاً وخلقاً على  
تقديمهم ، أما الحلاج وغيره فيظن فيه رياء ونفاقاً بعض الصوفية فتركته ، حتى  
لا يكون لهم رياء معذرة .

ربا ، والمخلوق خلاقا ، والعدم الذاتى الصِّرف وجوداً واجبا ، وإذا شئت الحق فى صريح من القول ، فقل : هو مؤمن ببدعة الوحدة ، تلك الأسطورة التى يؤمن كهنتها بأن الرب الصوفى تَعَيَّن بذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله فى صور مادية ، أو ذهنية ، فكان حيوانا وجمادا وإنسا وجمنا وأصناما وأوثانا . وكان وهما وظنا وخيالا ، وكانت صفاته وأسماؤه وأفعاله ، عين ما لتلك الأشياء من صفات وأسماء وأفعال ؛ لأنها هى هو فى ماهيته ووجوده المطلق أو المقيد ، وكل ما يقتضيه البُغاة من خطايا ، وما تنهش الضاريات من لحوم ، أو تعرق من عظام ، فهو فعل الرب الصوفى ، وخطيئته وجرمه !!

وإخلاك الآن تود لو تُسَوَّى بى الأرضُ ، أو تدهمنى - على غِرَّةِ صاعقة ؛ إذ يجرى على لسان الحق ذكرُ ابن الفارض منعوتا بالزندقة وتعجب أن يكون سلطان العشق الصوفى زنديقا !!

وما على - برحة الله - ممتود ، ولن يمنعى محبك فى ذهوله من أن أحكم على ابن الفارض بما ارتضاه هو ديناً له وتدبر ماسأقل لك عنه من تائبته ، فلعل يزول محبك ، وينفئ غضبك .

جَلَّتْ فى تجليها الوجودَ لناظرى فى كلِّ مَرْتَبَةٍ أراها بروية يزعم أن الذات الإلهية هتكت عنه حُجَبَ الغَيْرِيَّةِ ، وجَلَّتْ له الحقُّ المُعْتَبَرُ ، فرأى حقيقة الله مُتَعَيِّنَةً بذاتها فى كل مظاهر الوجود ، رأى هذا السكون المادى بكل ما يدب عليه ، أو يفتل الحياة والأعراض فى غياهب ليله السَّاجِى ، ومَعَاوِرِهِ المظلمة ، رآه هو عَيْنَ الله وما هَيْئَتَهُ ، ورأى وجوده عين وجوده ، فائتمَّ من شىء عند ابن الفارض إلا وهو الله ، بل مال للرب - رب ابن الفارض - وجود سوى وجود تلك الصور المادية ، أو الذَّهْنِيَّةِ المنطبعة عن شىء متحقق ، أو مُتَوَمِّمٌ ، أو مُتَحَيِّلٌ . أمَّا وقد نَعَقَ بهذا البهتان ، فَلَتَيْفَتِ لِنَفْسِهِ ما يترتب على الإيمان به ؛ لهذا راح يزعم أنه بذاته اتحد بذات ربه ، فكانت الثنائية فى الاسم ،

وكانت الوحدة في الحقيقة والوجود، وأنه في جلوة تلك الوحدة يشهد في ذاته وصفاته وأفعاله ذات الله وصفاته وأفعاله، وعن هذا يعبر .

وأشهدتُ غيبي، إذ بدت، فوجدتني هنالك إياها بجلوة خلوتي  
شهد «هوية» الوجود الإلهي، أو باطنه، و«إنيّة» وجوده هو، أو ظاهره،  
فلم يجد للرب وجوداً سوى وجوده ولا لذاته كياناً متقوماً غير كيانه، فهتف في  
جدل البشري: أنا الله !!

بيد أنه خشي أن يتوهم أحد أن هذا الشهود وهم طارىء، أو حال عارض  
أو صورة من حلم أسبل لها فكره وعينه، خشي هذا، فقال :

ففي الصحو بعد المَحْوِ لم أك غيرها وذاتي بذاتي، إذ تحلّت، تجلّت  
والصحو في دين الصوفية هو رجوع العارف إلى الإحساس بعد سكرته  
بوراد قوى، وفيه يشهد العارف المعايرة بين الذات الإلهية ومظاهرها أو صفاتها،  
يشهد أن السكون ليس هو الذات الإلهية، وإنما هو تجليات أسماؤها وصفاتها،  
ومجال لأفعالها. أما المحو في دينها فهو انحسار الكثرة والتغيرية، والخلقية المتنوعة  
المتعددة. وفناء السوية، وتجلي الوحدة المطلقة، فيرى الصوفي الخلق عين الحق،  
والمربوب عين الرب .

فتمت إذن فرق عند الصوفية بين الصحو والمحو، ولكن ابن الفارض أبي  
أن يؤمن بهذا الفرق المُبتدع، فهتك الستر، ومزق القناع؛ ليكشف لك في  
قول صريح عن حقيقة معتقد الصوفية، ومضى مسرعاً يلهث؛ ليدرك فكرك قبل  
أن يؤمن بذلك الفرق بين الصحو وبين المحو !! وليؤكّد لك أن دين الصوفية  
قائمٌ من أول أمره على الإيمان بأن الله سبحانه هو عين خلقه !! على نفي كل  
مغايرة - مطلقة، أو مقيدة، إضافية، أو نسبية - بين الخالق والخلق، سواء في  
ذلك حال الصوفي في الصحو، وحاله في المحو، وهكذا صرّح ابن الفارض في

جرأة شَرُود بما يرمز عنه سواه من مناقى الصوفية ، حين يفجؤهم برهان الحق ،  
ولذا يقول .

إلى كم أوأخى الستر ، هاقد هتكتُه وحل أوأخى الحُجْبِ فى عقد بَيْعَتِي  
يعنى أنه عاهد الحق حين بايعه على أن يهتك كل ستر ، ويحل كل  
أنشوطه ، حتى يرى كل ذى بصر أن الله يتمثل دائماً فى صور الخلق ، وتتعين  
ذاته بذواتهم !!

وتدبر هذه الصراحة الصارخة الجرأة فى قول ابن الفارض : « وذاتى بذاتى ،  
إذ تَحَلَّتْ تَحَلَّتْ » تدبر تجد الزنديق ، يأبى أن يثبت لربه ذاتا ، ويتعالى أن  
يجعل وجوده هو فيض وجود ربه ، فلم يقل : « وذاتى بذاته » أو « ذاته بذاتى »  
وإنما قال ؛ ليحكم بالعدم الصوفى على رب الوجود الحق ، وخالقه : « وذاتى بذاتى »  
فليس تمت إلا ذاته هو فى الحالين !! ألا تمس الجحود طاغى البغى ؟!

ماتمَّ عند ابن الفارض من رب ، ولا مر بوب . إلا وهو ابن الفارض  
إنه الخلاق . وإنه هو الوجود ، وواهب الوجود ، وما الربُّ الأَكْبَرُ إلا أثر من  
آثار قدرته ، أو جزئى تائه حيران من كُليِّه !! هذا دين ابن الفارض . فبماذا  
تحمك عليه ؟!

فَوْضَيْتِي ، إذ لم تدع بائنين وَضْفُهَا وهَيْتُهَا - إذ واحدٌ نحن - هَيْتِي  
يزعم أن كل ما وصف به الله نَفْسَهُ ، فاللوصوف به على الحقيقة هو ابن  
الفارض ؛ لأنه الوجود الإلهي الحق ، فى أَرْزَلِيَّتِهِ ، وَأَبْدِيَّتِهِ ، وديموميته ،  
وَسَرْمَدِيَّتِهِ .

فإن دُعِيَتْ كُنْتُ الحَيِّبَ ، وإن أكن  
منادى أجابت من دعانى ، ولبَّتْ  
إن دُعِيَ اللهُ أجاب ابن الفارض ؛ لأنه عينه ، وإن دعى ابن الفارض

لجى الله ، لأنه اسمه ومُسمَّاه ! ولكن أتلح الكبر جائر العُتُوِّ من ابن الفارض على خالقه ؟ إذ يزعم أنه إن دُعِيَ الربُّ ، فما يفعل ابنُ الفارض شيئاً سوى أن يجيب ، أما إننا دُعِيَ ابن الفارض ، فما يكفى الربُّ أن يجيبَ ، وإنما يهزول ملهوفاً إلى التلبية !! .

ما كفاه زعمه أنه هو الله ، فأكد أن الربَّ الأكبر ماهو إلا صورة شاحبة منه ، وظلَّ حيرانُ له !! .

فقد رُفِعَتْ <sup>(١)</sup> تاء الخطاب بيننا وفي رَفْعِهَا عن فُرْقَةِ الفَرْقِ رفعتي الخطاب يستلزم الاثنيَّية ، إذ لا بدَّ له من طرفين متقابلين مُحَاطَبٍ ومُخَاطَبٍ ، ولهذا يكفر ابن الفارض بما يؤكد الخطاب في آيات الله ، أوفى دعاء الداعى من دلالة على المعايرة بين المتخاطبين !! وينفى صدور خطابٍ أو دعاء منه إلى « غَيْرِ ما » فائمه « غَيْرٌ » حتى يخاطبه ، أو يدعوه !! .

فإذا ما صدر منه خطاب ، أو دعاء إلى الله ، فلا تحسبن أنه يخاطب غيره ؛ إذ الخطاب صادر منه إليه ، والدعاء متوجَّه به من نفسه إلى نفسه .  
لقد كان يقول من قبل أن يُكشَفَ عنه الغطاء : أنت أنت ، فلما تجلَّت له الحقيقة صار يقول : « أنا أنا » فما « أنت » تلك إلا « أنا » ذاتاً ووجوداً !! .  
ويرى ابنُ الفارض أن إثبات الربوبية الخلاقة وحدها لنفسه شيء دون مقامه الأكبر ، فيفتري أن له الربوبية بوحدايتها وصفاتها وأسمائها وأفعالها ، بملكها وملكوتهما ، بِرَحْمَانِيَّتِهَا وجبروتها ، بقدرتها القهارة ، وعلمها المحيط الشامل ، بما أبدعت من خلق ، ومنحت من حياة .

(١) يصح أن يكون معناه أن الخطاب رفع بينه وبين غيره ، لعدم وجود غير .  
ويصح أن يكون معناه أن « الفتحة » من تاء الخطاب في مثل « بس » ، بفتح التاء تحولت إلى ضمة وهى علامة رفع ، فصارت « خلقت » بضم التاء لا فتحها أى صارت تاء الخطاب بفتح الطاء عين تاء التكلم .

وَلَا فَلَكَ إِلَّا وَمِنْ نُّورِ بَاطِنِي بِهِ مَلَكَ يَهْدِي الْهَدَى بِمَشِيَّتِي <sup>(١)</sup>  
وَلَا قَطْرًا إِلَّا حَلًّا مِنْ فَيْضِ ظَاهِرِي  
به قطرة عنها السحاب سحبت  
ولولاي لم يوجد وجود، ولم يكن شهود، ولم تُعهد عهد بذمة  
فلا حتى إلا من حياتي حياته وطوع مرادى كل نفس مريدة <sup>(٢)</sup>  
فبإذا يحكم المؤمن على زنديق يفترى أن ملكوت كل شيء بيده، وأن  
الوجود كله قطرة فيض من جوده ووجوده، وأن الإرادة البشرية كلها  
طوع هواه .

وكلُّ الجهات الست نحوى توجهت بما تم من نُسكٍ وحجٍّ وعمرة  
لها صلواتي بالمقام ، أقيمها وأشهد فيها أنها لي صلّت  
هذه الصلوات يقيمها الناسك في قدس المحاريب ، وهذه الضراعات يتبتّل  
بها القديسون ، وهذه الدعوات يتمجّد بها العبّاد تحت سجات الليل ، وهذه  
المناسك ينسكها الحجاج والمعتمرون . إنها لا تُرفع في الحقيقة إلى الله ، وإنما تتوجه  
بها القلوب إلى ابن الفارض رجاء رحته ، وابتغاء رضاه ! .  
وهؤلاء المصلّون يؤلّون وجوههم شطر المسجد الحرام . إنهم يؤلّونها شطر  
هيكل ابن الفارض . وهذه النذور يحفد بها الملهوفون ، إنها قرابين العبودية  
منهم ، يبتغون بها وجه ابن الفارض ! .

والله جل شأنه يقول : ( ٢ : ١١٥ ) وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ، فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَمِ  
وَجْهُ اللَّهِ ) غير أن ابن الفارض يرفع في وجه الحق باطله ، فيفترى أنه ماتم  
إلا وجهه هو ، وأن الكون كله ما يؤلّي بجهاته الست وجهه إلا إليه ! .

(١) يقول تعالى لنبيه الأعظم (٥٦:٢٨) إنك لا تهدي من أحببت ، ولكن الله  
يهدي من يشاء ) فجعل ابن الفارض نفسه أعظم من محمد ، وقريناً مساوياً لله !!  
(٢) أيقول هذه مسلم ؟ إنها لله وحده ، فنسبها ابن الفارض إلى نفسه !!

وذلك الرب الصوفي الهَيَّان في ملكوت ابن الفارض ! أيعيش عاطلاً  
بلا عمل ؟ أَيْخَالِفُ عن أمر ابن الفارض ؟ كلا فقد أرغمه ابن الفارض على أن  
يَرْتَسِمَ خاشعَ الذل في المعابد صلى لابن الفارض ، ويرجو رحمته .  
أرأيت إلى سلطان العاشقين : كيف يفترى في شعره الوثني كل هذه  
الخطايا المحوسية ؟ !

ويهفو ابن الفارض لاهث الأنفاس ؛ ليفترى لك مرة أخرى . أنه هو الله .  
كلانا مُصَلِّ واحدٌ ساجدٌ إلى حقيقته بالجمع <sup>(١)</sup> في كل سجدة  
ولكن « كلانا » هذه دلالتها الحتمية على وجود اثنين أو تحقق وجودين  
يغاير أحدهما الآخر . لهذا كَرَّرَ ابن الفارض يعدو في لهفة مجنونة ؛ ليستدرك على  
« كلانا » بما ينسخ ماثوهمه ، فقال :

وما كان لي صليّ سواي ، ولم تكن صلاتي لغيري في أدا كلِّ سجدة

### عبادة الأنوثة

ولست أدري لم يُغَرِّم الصوفية دائماً بنعوت المرأة يحملونها على ربهم ،  
فيزعمون أن ربهم يتجلى - غَزَلِيَّ الجلال - في صورة أنثى عاشقة ملهوفة تَتَقَتَّلُ  
بفتون أنوثتها الميم لحيوان يراودها عن نفسها . إن هذا الإلحاح الجسدي في  
عبادة الأنوثة يدفعنا إلى محاولة اكتِنَاهِ مَا يَغْتَلِجُ به من شعور يتلظى بالنزوات  
الملتهبات والشهوات العرايب ؛ لتدرك علة ذلك التَمَجُّسِ الصوفي الذي يؤلِّه نار  
الجسد . أتري حين استبد بالصوفية عشقُ الأنثى ، ولوَّعهم بالحرمان ، أراقوا  
الغَزَلَ في هوى المعشوقة ، فلم تُند أنوثتها منهم غليلاً ، ولم تُبِح لحمها للنايب  
الملتوف ، أترام حين احترقوا تلهفاً حتى إلى ظلي أنثى مبدولة ، فلم ينالوا ، صور  
لهم ما يُؤجُّ في غرائزهم من سعير أن الأنثى ليست - إذن - إلا ربات عال كبرياؤه ،  
وتسامى عرشه ؟

(١) الجمع عند الصوفية هو « شهود الحق » أي الله « بلا خلق » .



أم ترام - والأثومة تعاطيهم صَهْبَاءَ لِمَعْمَا - أبوا إلا أن يترعوا الدَّنَّ كله ،  
فراحوا يمدونها في النوى ، فزعموا لها أن الحقيقة الإلهية ليست إلا أنى مشتهاة  
مشتهاة ، وأن حقائق الوجود كله أنومة تشرب الشهوات خمر جسدها المَعْتَق ؟  
يمثل ابن عربي الطائفة الأولى ، وستأتيك أنباؤه ، أما ابن الفارض <sup>(١)</sup> فاسمع إليه  
يقول :

ففي النشأة الأولى تراءت لآدم بمظهر حَوَا قبل حُكْم البُنُوَّة  
وتظهر للعشاق في كل مظهر من اللبس في أشكال حُسْنٍ بديعة  
ففي مرة «لُبْنِي» وأخرى «بئينة» وآونة تُدعى «بِعِزَّة» عَزَّت  
يزعم أن ربه ظهر لآدم في صورة حواء ، و «لَقَيْسِي» في صورة «لُبْنِي»  
و «لجليل» في صورة «بئينة» و «لِكُثَيْر» في صورة «عِزَّة» . فما حواء أ.  
البشر إلا الحقيقة الإلهية ، وما أولئك العشاق سَكِرَتْ على شفاهن خطايا القبل  
الحرمة ، وتهاوت بهن الالهفة الجسدية الثائرة تحت شهوات العشاق ، ما أولئك جميعاً

---

(١) يصور لنا أحد أتباع ابن الفارض لونا من ألوان مجون سلطان العاشقين  
فيقول : « دفع إلى دراهم ، وقال : اشتر لنا بها شيئاً للأكل ، فاشتريت ومشينا إلى  
الساحل ، فنزلنا في مركب ، حتى طلع البهنا ، فطرق باباً ، فنزل شخص فقال :  
باسم الله ، وطلع الشيخ ، فطلعت معه ، وإذا بنسوة بأيديهن الدفوف والشبابات ،  
وهم يغنون له ، فرقص الشيخ إلى أن انتهى ، وفرغ وزلنا ، وسافرنا حتى جئنا إلى  
مصر ، فبقى في نفسى شيء ، فلما كان في هذه الساعة جاءه الشخص الذي فتح له  
الباب ، فقال له : ياسيدي فلانة ماتت - وذكر واحدة من أولئك الجوارى - فقال :  
اطلبوا الدلال ، وقال : اشتر لي جارية تغنى بدلها ، ثم أمسك أذني ، فقال : لا تنكر  
على الفقراء !! » ص ٣١٩ ج ٤ لسان الميزان لابن حجر العسقلاني طبع الهند  
١٢٣٠ هـ . هذا هو ابن الفارض القديس يرقص ويفنى والنسوة يرقصن معه ويضربن  
له الدفوف !! ومع هذا يحرم على تابعه أن ينتقده !! وهكذا كل الشيوخ

سوى رب الصوفية تجسد في صور عَوَانٍ تطيش بهُدَاهُنَّ نَزْوَةَ وَلَهْنِي ، أو نَشْوَةَ  
سَكْرِي ، أو رغبة تَتَأَخَّطِي في عين عاشق !! .

ويسرف ابن الفارض في توكيد أنوثته ربه ، وتجليه أبداً في صورة جد  
امرأة يَزَلُّ بها موعد الليل ، فيقول :

وَلَسَنَ سِوَاهَا ، لا ، ولا كُنَّ غَيْرَهَا وما إن لها في حسنهما من شريكة  
خشى ابن الفارض أن يتوهم أحد في ربه أنه يغاير حقيقته ، أو تتباين  
صفاته ، وهو يتجلى مرة بعد مرة في صورة غانية ، أو أن يظنَّ أن هؤلاء الغانيات  
« لبني ، بثينة ، عزة » تغاير حقائقهن حقيقة ربه في شيء ما ، خشى ابن الفارض  
ذلك ، فاستدرك على الأوهام بما يحياها يقيناً ثابتاً في أنوثته ربه ، فقال : « ولسن  
سواها ، لا ، ولا كُنَّ غَيْرَهَا » وهكذا صدق فيهم قول الله (٤ : ١١٧) إن يدعون  
من دونه إلا إناثاً ، وإن يدعون إلا شيطاناً مَرِيداً ( ماذا يحدث للشباب المسلم ،  
ومنه لو أنه آمن بهذه الصوفية ؟ ! .

فإيفهم كل عاشق يطويه الليل على خاطئة أنه حين يقترف الخطيئة مع أنثاه ،  
وتعربد في جسدها الرخص أنيابه وأظفاره ، ليفهم كل عاشق أن أنثاه هذه  
التي يعرق أنوثتها ليست إلا رب الصوفية الأعظم !! .

وَلْيَصْحَحْ مَوْخُو الأَدب تاريخه ، فإن الفارض يؤكد أن أولئك العشاق  
« قيس ، جميل ، كثير » وكل شعراء العشق لم يُرِيقُوا خُمُور الغزل إلا للذات  
الإلهية متجسدة في صور عشيقاتهم القواتل !! .

أَوْعَيْتِ إِذْنِ علة إطلاق الصوفية على أربابهم أسماء نسوة (١) جُئِهِنَّ عواطل  
من الفضيلة ، عوارٍ عن الشرف ؟ ! .

وعلة عبادتهم لأجساد تلظي فيها الشيطان ، وعربد بخطاياها ؟ ! ذلك لأن  
(١) أنصت إلى المنشدين اليوم في حلق الرقص الصوفي أو الذكر كما يزعمون  
تجدهم يرقصون الذاكرين على مناجاة « ليلي وسعاد » وغيرها !!

كهان الصوفية أوحوا إليهم أن أربابهم تتجلى دائماً في صور إناث تَجَرَّدَنَ  
لخطايا العشق ، وآثام الليل في حان الغرام !! .

ومعذرة إلى من يقرءون للهدى عما أثمرته في نفوسهم من غثيان بذكر هذا  
القيء القذر من الكفر الصوفي ، وعما يحسونه بنقل تلك الأبيات من حَرَجٍ  
تختنق فيه العاطفة ، ويتعلَّى الضمير .

لمن كان سجدوا للملائكة ؟

ولا يمل ابن الفارض من تكرار إفكك الوثني يزعم فيه أنه هو الله ، فيضيف  
إليه أنه عين رسل الله أيضاً ، وعين آدم الأب الأول للبشرية ، وعين الملائكة  
الذين سجدوا لآدم .

وفيَّ شهدت الساجدين لمظْهري<sup>(١)</sup> فَحَقَّقْتُ أَنِي كُنْتُ آدَمَ سَجَدْتِي

وإليك شرح القاشاني - وهو كاهن صوفي - هذا البيت : « أي عاينت  
في نفسي الملائكة الساجدين لمظْهري ، فعلت حقيقةً أنني كنتُ في سجدتي  
آدمَ تلك السجدة ، وأن الملائكة يسجدون لي - والملائكةُ صفةٌ من  
صفاي<sup>(٢)</sup> - فالساجد صفة مني تسجد لذاتي<sup>(٣)</sup> » أ رأيت إلى شرح القاشاني ؟  
لقد نقلته لك بلفظه مثلاً لما يشرح به الصوفية أساطير دينهم ؛ لتؤمن أني لم أمِلْ  
مع الهوى فيما شرحت لك به أبيات ابن الفارض ، وأظنني ما بلغت مبلغ  
القاشاني في الشرح ، فهو صوفي يدين بالتائبة .

وحسبنا هذا من سلطان عشاق الصوفية !! .

(١) يعني به آدم عليه السلام ، فهو في دينه تجسد للذات الإلهية التي هي ابن الفارض  
(٢) فسر الملائكة بأنها صفات ، لیتی القول بالغيرية والتعدد ، ولكيلا يعترض  
عليه بمثل هذا : مادمت تتحدث عن ساجدين وعن مسجود له فقد قلت بذوات  
كثيرة ، وأغيار عديدة . . لا يمترض عليه بمثل هذا لأنه يزعم أن الملائكة ليست  
ذوات . وإنما هي صفات للذات الإلهية والصفات عند عين الذات ، فالتعدد ، ولا غيرية !!

(٣) ص ٨٩ ج ٢ كشف الوجوه الفرع على هامش شرح الديوان طبع ١٣١٠ هـ

٣٢ - هذه هي الصوفية

## إله ابن عربي

أما هذا الطاغوت الأكبر ، فقد افترى للصوفية رباً عجيباً يجمع بين النقيضين المتوترين في ذاته ، وبين الضدين الحقيقيين في صفاته ، فهو الوجود الحق ، وهو العدم الصرف ، هو الخلاق ، وهو الخلق ، هو عين كل كائن ، وصفاته عين صفات كل موجود وكل معدوم ، هو الحق الكريم والباطل اللئيم ، هو الفكرة العبقريّة ، والخرافة الحقاء ، هو الخاطرة الملهمة ، والوهم الذاهل ، والخيال الحيران ، والمستحيل الذي لا يتصور فيه العقل أبداً أن يخطر حتى مرة واحدة في بال الإمكان ، والممكن الذي يرى فيه الفكر أجلى معاني الإمكان ، والذي لا يتوهم فيه العقل وهم استحالة . هو المؤمن ، وهو الكافر ، هو الموحد الخالص التوحيد ، وهو الشرك الأصم الوثنية . هو الجاد الغليظ ، وهو الحيوان ذو المشاعر المرهقة ، والحساسية المتوقدة ، هو الملاك الساجد تحت العرش ، وهو الشيطان الذي يصطرخ في سقر ، هو التديس الناسك يذوب قلبه في دموع التسايح ، وهو العرييد يفضج الماخور من بغى خطاياها ، هو الراهبة التي تحيا على محبة الله وتقواه ، وهو الغانية التي تحيا للجسد المبدول ، وتعيش على ثمنه ، هو النور يغمر الوجود بمباهجه ، وهو الظلام موار الكهوف بالفرع والرهبة ، تلك هي بعض ذاتيات رب ابن عربي ، وبعض خصائص الإله الصوفي !! .

ولهذا يؤمن الطاغوت بأن اليهود عبّاد العجل ناجون ، بل يؤمن بأنهم كانوا على علم بحقيقة الألوهية ، لم ينعم موسى ولا هرون بلمحة من تجلياته ، ولا ببارقة من انكشاف الأسرار الإلهية المغيبة له !! لأنهم ما قصرُوا العبادة على فكرة مجردة خاوية كموسى ، وإنما عبدوا الرب متجلياً في صورة عجل ، فأدركوا من حقيقة الأمر ما لم يدركه هرون ، وهو أن الذات الإلهية لا تعبد إلا حين تتجلى في صور خلقية !! .

ويؤمن ابن عربي بقدمية عبدة الأصنام ، ويمجد صدق إيمانهم وإخلاص

توحيدهم ، يؤمن بالصابئة عباداً يوحدون الله ، ويخلصون له الدين ، يؤمن بسمو  
إيمان الذين عبدوا ثلاثة آلهة غير أنه يعيب عليهم قصورهم عن إدراك الحقيقة كاملة ؛  
إذ عبدوا الله في ثلاثة أقاليم ، على حين كان الواجب أن يعبدوه في كل شيء ،  
فليس الرب عنده هو تلك الأقاليم فحسب ، وإنما هو عين ما يرى أو يُحس ،  
وعين ما لا يرى ، وما لا يُحس ، فأصحاب الثالث عنده مخطئون ؛ لأنهم عبدوا  
بعض مظاهر الرب ، أو بعض تعييناته وكان واجباً أن يعبدوه في الكل ؛ لأنه  
هو ذلك الكل فيما ظهر منه ، وفيما بطن !<sup>(١)</sup> .

### ربوية كل شيء

واسمع إليه يؤكد لك أن كل شيء هو الله سبحانه : « سبحان من أظهر  
الأشياء ، وهو عَيْنُهَا<sup>(٢)</sup> » « إن العارف من يرى الحق ( الله ) في كل شيء ،  
بل يراه عين كل شيء<sup>(٣)</sup> » وكلمة « شيء » في دين الطاغوت تُطلق حتى على  
الصور الذهنية والوهمية وعلى العدميات ، فوق إطلاقتها على كل موجود له كيانه  
المادى المستقل المتقوم بذاتيته وخصائصه . فابن عربي كما ترى أصرح الدعاء إلى  
وحدة الوجود ، بل هو كاهنها الأكبر ! ! .

### الربُّ إنسان كبير

واسمع إليه يحكم على ربه بأنه يجب أن يوصف بما يوصف به الخلق ، حتى  
بما فيهم من نقص وعجز وحقى وجهالة ، ويُحدَّ بما يُحدَّ به كلُّ كائن على حدة :

(١) اقرأ الفص « العيسوى » و « المحمدى » من فصوص الحكم لابن عربي

(٢) ص ٦٠٤ ج ٢ الفتوحات المكية لابن عربي .

(٣) ص ٣٧٤ فصوص بشرح بالي ، ص ٣٨٢ بشرح قاشانز . و

ص ١٩٢ ج ١ بتحقيق الدكتور عفيفي .

« فما يُحدِّثُ شيءٌ إلا وهو حدٌّ <sup>(١)</sup> الحق ، فهو الساري في مُسمَّى المخلوقات والمبدعات فهو الشاهد من الشاهد ، والمشهود من المشهود ، فالعالم صورته ، وهو روح العالم المدبر له ، فهو الإنسان الكبير <sup>(٢)</sup> » .

### الرب هو صور العالم

واسمع إليه يؤكد لك أن ربه هو كل ما ترى من صور العالم : « هي ظاهر الحق ؛ إذ هو الظاهر ، وهو باطنها ؛ إذ هو الباطن ، وهو الأَوَّل ؛ إذ كان ، ولا هي ، وهو الآخر ؛ إذ كان عينها عند ظهورها <sup>(٣)</sup> » وتدبر تعريف ابن عربي لربه بقوله : « هو عين ما ظهر ، وهو عين ما بطن في حال ظهوره ، وما ثمَّ من يراه غيره <sup>(٤)</sup> ، وما ثمَّ من يبطن عنه ، فهو ظاهر لنفسه ، باطن عنه ، وهو المسمَّى أبا سعيد الخراز <sup>(٥)</sup> ، وغير ذلك من أسماء المرثيات <sup>(٦)</sup> » والعارف الحق بالله عند ابن عربي هو من يرى « سريان الحق ( الله ) في الصور الطبيعية والعنصرية ، وما بقيت له صورة إلا ويرى عين الحق فيها <sup>(٧)</sup> » .

(١) الحد هو أتم أنواع التعريف ، فإذا عرفت الصنم مثلاً بحد ما ، فهذا التعريف صادق على الرب الصوفي ، لأنه هو ذلك الصنم نفسه .

(٢) ص ١١١ فصوص الحكم ط الحلبي .

(٣) ص ١١٢ فصوص ط الحلبي .

(٤) يعني أنك إذا رأيت إنساناً ، أو حجراً ، فقد رأيت الرب الصوفي ، بل الرائي والمرئي هما عين ذلك الرب .

(٥) هو أحمد بن عيسى ممن تكلم في إلقاء الصوفي توفي سنة ٢٧٩

(٦) ص ٧٧ ج ١ فصوص ط الحلبي .

(٧) ص ١٨١ للصدر السابق .

## صفات الرب صفات الخلق

ويحكم ابن عربي على ربه ، ويصفه بالعجز الذليل ، والنقص المشين ، والسفد والحقاقة ، وبأنه مناط مذمة وتحقير ومهانة . فيقول : « ألا ترى الحق يظهر بصفات المحدثات ، وأخبر بذلك عن نفسه ، وبصفات النقص ، وبصفات الذم؟! ألا ترى المخلوق يظهر بصفات الحق من أولها إلى آخرها - وكلها حق له - كما هي صفات المحدثات حق للحق<sup>(١)</sup> » .

لقد خشى ابن عربي أن يتوهم فيه إنسان أنه يطلق صفات الخلق على الله سبحانه إطلاقاً مجازياً ، أو يطلق صفات الله على خلقه كذلك . خشى هذا ، فحاشا توهم المجاز عن الأولى بقوله : « كما هي صفات المحدثات حق للحق » فلا تتوهم مجازاً مما فيما يحكم به ابن عربي على ربه ، أو فيما يصفه به من ذم ونقص وعجز . ومحا عن الأخرى بقوله : « وكلها - أي صفات الله من ربوبية وإلهية وخالقية ورزقية ، وسواها مما هو من صفات الله وحده - حق له » ، أي للمخلوق ، فالخلق يوصف بصفات الله على الحقيقة لا على المجاز !! ذلك دين ابن عربي .

## رب الصوفية وجود وعدم

ورب الصوفية في دين ابن عربي يستغرق كل نسبة عدمية ، أو وجودية « فأعلى لنفسه ، هو الذي يكون له الكمال الذي يستغرق به جميع الأمور الوجودية ، والنسب العدمية ، بحيث لا يمكن أن يفوته نعت منها وسواء كانت محمودة عرفاً وعقلاً وشرعاً ، أو مذمومة عرفاً وعقلاً وشرعاً ، وليس ذلك إلا لمسمى الله تعالى خاصة<sup>(٢)</sup> »

فأي رب هذا الذي يعينه وجود ، ويفنيه عدم ؟ أي رب هذا الذي

(١) ص ٨٠ فتموه وراجع ما كتبت في « دعوة الحق » ص ٣٠ وما بعدها .

(٢) ص ٧٩ تفصيص .

يكون مناظر الذم من الشرع والعقل والعرف؟ لقد نعت ابن عربي ربه بكل مذمة، فلماذا لا يذمه الشرع والعقل والعرف؟! .

### كل شيء رب للصوفية

لقد كفرت الصابئة؛ لأنهم عبدوا الكواكب، وكفرت اليهود؛ لأنهم عبدوا العجل، وكفرت النصارى؛ لأنهم عبدوا ثلاثة أقانيم، وكفرت الجاهلية؛ لأنهم عبدوا أصناماً أقاموها لمن مات من أوليائهم، لتكون مقصد الرجاء، ومطاف الآمال، كما كان أصحابها، وهم ناعمون بالحياة. فماذا تقول في الصوفية، أو بماذا تحمك عليها، وهي تدعو إلى عبادة كل شيء؟! ألا يقول الجليلي: «إن الحق تعالى من حيث ذاته، يقتضى ألا يظهر في شيء، إلا ويُعبَد ذلك الشيء، وقد ظهر في ذرات الوجود<sup>(١)</sup>؟!» ويزيد ابن عربي القرية جلاء بقوله: «والعارف المكمل من رأى كَلَّ معبود تجلّى للحق يُعبَد فيه، ولذلك سموه كلهم إلهاً، مع اسمه الخاص بحجر، أو شجر، أو حيوان، أو إنسان، أو كوكب، أو ملك»<sup>(٢)</sup>.

فهل ترانى جَنَحْتُ إلى غُلُوِّ مَا حِين قَلتْ لَكَ: إن الصوفية استمدت من كل كفر، ودانت بكل مادان به الكافرون من قبل، فكانت هي وحدها تاريخ الوثنية كلها، وحاتها منذ ابتدئها إبليس ليضل الكافرين؟! .

ألا ترى ابن عربي حَفِيَّ القلب والشعور والعاطفة بعبادة الحجر والشجر «آلهة الجاهلية» وعبادة الحيوان «آلهة الفرعونية واليهودية» وعبادة الإنسان «إله النصرانية والشيعة» وعبادة الكوكب والملك «أى آلهة الصابئة»؟! .

---

(١) ص ٨٣ ج ٢ الإنسان الكامل للجيلي .

(٢) ص ١٩٥ ج ١ فصوص، وقد عدد في هذا النص آلهة الذين كفروا من قبل، فعبدوا الحجر والشجر والحيوان والإنسان والكوكب والملك، يعنى الصابئة واليهود والنصارى والذين أشركوا. و صوب عبادتهم، إذ كل ما عبده في دينه ليس إلا رباً تجلّى في صورة ذلك المعبود .



فالصوفية هي كل ذلك الكفر ، ثم تحته وفوقه ، وعن شماله ويمينه ومن خلفه ومن قدامه كفرها الخاص بها !! وفيما ذكر ابن عربي ما يثبت اليقين في قلبك بما أقول .

### التجسد في النساء

وكما عبد ابن الفارض جسد الأنثى ، عبده كذلك ابن عربي ، بيد أن الأول عبد المرأة مستباحة العفة له ، وعبدها الآخر مستعصية الشرف عن أهوانه .  
وإليك نصاً واحداً من فصوصه يكشف لك عن مدى إيغال ابن عربي في عبادة الأنثى « ولما أحبَّ الرجلُ المرأةَ ، طلب الوصلة<sup>(١)</sup> ، أي غاية الوصلة التي تكون في المحبة ، فلم يكن في صورة النشأة العنصرية أعظم وصلة من النكاح<sup>(٢)</sup> ، ولهذا تم الشهوة أجزائه كلها ، ولذلك أمر بالاعتزال منه - فعمت الطهارة ، كاعم الفناء فيها - عند حصول الشهوة ، فإن الحق غيور على عبده أن يعتقد أنه يلتذ بغيره ، فطهره بالغسل<sup>(٣)</sup> ؛ ليرجع بالنظر إليه فيمن فنى فيه ، إذ لا يكون إلا ذلك ، فإذا شاهد الرجل الحق<sup>(٤)</sup> في المرأة ، كان شهوداً في منفعل ، وإذا شاهده في نفسه - من حيث ظهور المرأة عنه - شاهده في فاعل ، وإذا شاهده في نفسه من غير استحضار صورة ماتكون عنه ، كان شهوده في منفعل عن الحق بلا واسطة ، فشهوده للحق في المرأة أنم وأكمل ؛ لأنه يشاهد الحق من حيث هو فاعل منفعل ، ومن نفسه من حيث هو منفعل خاصة ؛ فلهذا أحب صلى الله عليه وسلم النساء ؛ لسكمال

(١) يقصد بها ما يحدث بين الذكر والأنثى .

(٢) يقصد به ماله من معنى في أذهان العامة بدليل ما ذكره بعده . لا يريد الزواج بل شيئاً آخر .

(٣) يزعم أن الله لم يأمر بالغسل إلا ليتطهر العبد مما توهمه من أنه كان مع امرأة ، على حين كان هو مع الربة الصوفية جسداً وخطيئة !!

(٤) الحق في دين الصوفية هو الذات الإلهية في وجودها المطلق !!

شهود الحق فيهن<sup>(١)</sup> ، إذ لا يشاهد الحق مجرداً عن المواد أبداً ، فشهود الحق في النساء أعظم الشهود وأكمله ، وأعظم الوصاة النكاح<sup>(٢)</sup> .

وتستطيع أن تلخص ، وتستخلص من هذا النص وحده دين ابن عربي كله . إنه يعتقد أن رب الصوفية يتجلى أعظم تجل له في صورة أنثى يهصر جسدها المستسلم حيواناً ناثراً الجسد . يعتقد أن العاشقين يتهبان خطايا الليل ، هارب الصوفية !! ويلحف على العشاق عربدت بهم خمرة الأجساد من دنان الإثم أن يدينوا بأنهم كانوا مع الرب الصوفي ليلاً وخطيئة وغريزة وئدة !! ، فما استغرقوا في المذة بأثى ، بل بالرب المتجسد الخطايا في أنوثة عصفت بها الرذيلة !! ثم ينحدر ابن عربي في سرعة مجنونة إلى أعماق الأغوار السحبية من المادية ، فيؤكد لنا : أن الرب الصوفي شيء مادي ، وأنه لا يرى أبداً إلا في مادة !! هذه هي روحانية الصوفية يأمن عنها تذودون !! روحانية يفترى كاهنها الأكبر هذه القرية الكبرى فيقول : « لا يشاهد الحق ( الله ) مجرداً عن المواد أبداً » ويقول : « وهو من حيث الوجود عين الموجودات ، فالسمى مُحدثات هي العلية لذاتها ، ونست

الإله<sup>(٣)</sup> :

وما ينبغى - احتراماً لعقلك بإسماحة الشيخ - أن أدلك على أساطير الزندقة في تلك النصوص الصوفية ، فإنها تكاد تنشب مخالبها في العين نترها !! أتري تخزك الندامة على أنك شكوتنا ، فنكأت لك الجراح ، أم تراها تخزك لما ظامت به من يود لك الخير ، ويدعوك إليه ، ولأنك في مكانك هذا تحمل أوزار الصوفية كلها على ظهرك !! .

(١) يزعم ابن عربي أن علة حب الرسول صلى الله عليه وسلم للنساء هي اعتقاده أنهم الله في أجمل صور تعيناته وتجلياته ، ورغبته في الالتذاذ الجسدي المتنوع بربه !!

(٢) ص ٢١٧ فصوص ج ١ ط الحلبي ، ص ٣٧ ؛ ط استامبول بشرح القاشاني ، ص ٤٢٠ بشرح بالي ط ١٣٠٩ هـ

(٣) ص ٧٦ ج ٢ فصوص لابن عربي ط الحلبي .

## التجسد المسيحي ، والتجسد الصوفي

وتلوذ بي عازفة من إشفاق تحملني على ألا أزيد جرحك انتكاساً بذكر  
نصوص آخر ، غير أنني أود تذكير الشيخ بأن المسيحية حين نسبتها الصوفية  
رشدتها وهداها ، وقداسة الروحانية فيها ، فرغت بها عن التوحيد الخالص إلى  
الشرك ؛ بعبادة ثلاثة آلهة !! إن المسيحية حين استعبدتها غواية الصوفية أبت أن  
تحبط وراءها في كل مهلكة ، فلم تؤمن بتجسد الذات الإلهية في كل شيء ، وإنما  
اختارت جسداً طيباً طاهراً ، شرف الله صاحبه بالرسالة ، وآمنت بأنه التجسد  
الأعظم لله !! ومع هذا لم تنل من الله إلا لعنة الأبد ، وغضب الأبد ، وسعير جهنم  
يصلونها ، وبئس المصير .

أما شيخكم الأكبر ، فقد هوى به الكفر ، أو هوى هو بالكفر ، إلى أبعد  
أعماق الهاوية الساحقة الماحقة ، وانحدر به إلى كل منحدر ، فأمن بتجسد ربه في  
أجساد تقيحت من الدنس ، آمن بتجسد ربه في الخيف ، وفي الأوثان ، وعجل  
السامري ، وفرعون موسى ، ثم هفت به غمته الآتمة ، فكشفت عن دخينة نفسه  
الآبقة تعبد ربا تتلظى غرائزه ، وتتسعر شهواته ، وتشتهى مفاته حين يتجسد في  
أشي طاحت بها نزواتها لئى تحت رغبة كل عابر يراود خضيئة !! .

### لماذا عبد ابن عربي المرأة ؟

إن كبير يتكم الأحمر هذا أحب امرأة ذات مرة ، هي ابنة الشيخ سكين  
الدين . وأين ؟ في مكة !! .

وهذا العاشق المدلّه يتامس جسد المرأة ، وسبيل أنيابه إليها ، راح يتوكل  
إليها أن تتجرد له ، وأن تبوح قدس عرضها لخطيئته ، فأبت العذراء ، يتلهب حياؤها  
كرامة أن يبلغ في شرفها ذنب !! .

لقد أرادته للقلب الطاهر، وأرادها هو للجسد النائر، أرادته للطهر والمعبود وأرادها هو للدنس والماخور، فتمنعت الفتاة عن نابه الطحون، فنظم فيها ديوانه « ترجمان الأشواق » قُرْبَانًا من شهواته إلى جسدها الفَوَّاح العطر والفتنة، لعلها تنحدر معه إلى الهاوية، فتهب له من جسدها مضغة، أو من دمها رَشْفَةً، فزادته الفتاة عن حَرَمٍ مخدعها الوَرْدِيّ، ولَجَّت في إبانها النبيل الكريم، وأبت إلا أن تكون عذراء متألقة العرض، روحانية العاطفة، مُنَمَّعة العفة والشرف، ترى، هل أراب اليأس منها عشق ابن عربي؟ كلا، فقد استغرق نفسه، ووجوده، وملاً عليه دنياه فتنة ولهفة وقلقاً عاصفاً، فلم يَعْرِه اليأس، ولا ميساً لهبه خموداً، فعاد إلى ديوانه يشرحه بدين الصوفية، يؤكد لهذه الجميلة النافرة الأبيّة أنها هي الرب متجسداً في صورة أنثى جميلة، وأنه ما أحبّها إلا لأنها أجمل تعيّنات الحقيقة الإلهية، وأنه - إذ يتشكّها - فإنما يتشهى فيها أنوثة ربه، وجسده الفائر!! فأبت المرأة إلا أن تكون أنثى شريفة، لاربتاً صوفياً يحتسى الآثام!! ومضى ابن عربي وراء الأسطورة موغلاً في التيه الموحش، والدغل الزهيب، مضى وراءها يمجدها، ويهتف بها حتى صارت الأسطورة حقيقة صوفية صريحة، منحها ابن عربي وجوداً حَيًّا صريحاً، وأمدّها مثله الأحبار الزنادقة معه ومن بعده وهكذا تغزل الصوفية في « ليل وبثينة وسعاد »!!

وتسألهم، فيزمون الشفاه تهكماً من حماقة جهلك!! ويرمقونك بالنظر الشّرر، وكأنما يقولون لك: مسكين!! ما زال يجهل أن ربنا أنثى جميلة!! ضليل!! لم يهتد إلى أن الغانية اللعوب الهلوك هي الأفق الأعظم لتجليات الربوبية والإلهية، وإلى أن جسدها المنهوم الجائع إلى الآثام جسدُ ربنا الأعظم!! وأنها هي هو جسداً فاتنا، ورذيلة سوداء!!

## فقر الإله الصوفي إلى الخلق

الله سبحانه يقول : ( ٣٥ : ١٥ ) يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ، وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ( غير أن الصوفية تؤمن بإله هو الفقير إلى الخلق . فقير إليهم في وجوده فقير إليهم في علمه ، فقير إليهم في بقاءه ، فقير إليهم في طعامه وشرابه ، فقير إليهم في كل شيء . يهب له الظهور بعد الخفاء ، والوجود بعد العدم ، ويحول بينه ، وبين الفناء .

يقول ابن عربي : « فوجودنا وجوده ، ونحن مفتقرون إليه من حيث وجودنا ، وهو مفتقر إلينا من حيث ظهوره لنفسه » ويقول : « فأت غداؤه بالأحكام <sup>(١)</sup> ، وهو غداؤك بالوجود ، فتعين عليه ما تعين عليك ، والأمر منه إليك ، ومنك إليه ، غير أنك تسمى : مكلفًا ، وما كلفك إلا بما قلت له : كلفني بحالك ، وبما أنت عليه - ولا يُسمى مكلفًا .

فيحمدني ، وأحمده ويعبدي وأعبده <sup>(٢)</sup> »

ذلك هو رب الصوفية الذي افتراه لها ابن عربي ، وبه يدين أقطابها ، وله يسجدون !!

## إله الجيلي <sup>(٣)</sup>

وهذا الكاهن الوثني الأكبر يدين بدين صنميه ابن الفارض وابن عربي ، غير أن اللون الفاضح الصارخ في زندقته هو اعتقاده أن الله ما هو إلا إنسان

---

(١) أي أسماؤك اسماءه ، وصفاتك صفاته ، وأفعالك أفعاله ، فلولاك ما سمى ولا وصف ، ولا حكم عليه بحكم لأنك عينه وذاته .

(٢) ص ٨٣ ج ١ فصوص ط الحلبي .

(٣) هو عبد الكريم بن إبراهيم الجيلاني أو الجيلي توفي نحو سنة ٨٣٠ هـ

كامل<sup>(١)</sup>، وأن الإنسان الكامل ما هو إلا الرب الأكبر الجامع بين الحق والخلق في وحدة، وأقد سبقه بهذا الإلحاد ابن عربي، ولكن الجليلي كان حَفِيًّا به أكثر، مديراً حول محوره زندقته، ولقد رأى الجليلي ألاَّ يمين بهذه المرتبة على أحد قبله، فمضى يؤكد القول أن إنسانيته هي أفق الربوبية والألوهية الأسمى.

### ادعاء الجليلي الربوبية العظمى

«لى الملك فى الدارين، لم أر فىهما سوى، فأرجو فضله، أو فأخشاه وقد حُزْتُ أنواعَ الكمال، وإبنى جمالُ جلالِ الكل، ما أنا إلا هو»  
هذا قول الجليلي. والله يقول: (٣ : ١٨٩) والله ملك السموات والأرض والله على كل شىء قدير) ولكن الجليلي يفترى أن له وحده ملك الدنيا والآخرة وأنه ليس للوجود رب سواه، ولا ليوم الدين ملك غيره، وأنه الفنى بذاته، فلا تنفع قلبه رغبة فى نعمة من أحد؛ لأنه الوهاب للنعم. ولا تلفح نفسه رهبة من سلطان؛ لأنه ملك الكل ومالكهم!! ولم يكتف الجليلي بهذا، بل مضى يمدد أنواع الخلق، وصور الوجود المادى والحسى والروحى والمعنوى؛ ليزعم بعدها أنه هو عينها ذاتاً ووجوداً، فلا يتوهم وأهم أن شيئاً ما فى الوجود يغير الجليلي، أو يخرج عن حقيقة ذاته، فقال:

«فهما ترى من معدن ونباته وحيوانه منع إنسه وسجاياه  
ومهما ترى من أبحر وقفاره ومن شجر، أو شاهق طال أعلاه  
وسها ترى من صورة معنوية ومن مشهد للعين طاب محياه  
ومهما ترى من هيئة ملكية ومن منظر إبليس قد كان معناه

(١) يقول السكسرخانى « الإنسان الكامل المتحقق بحقيقة البرزخية الكبرى عين الله وعين العالم » ص ١١١ جامع الأصول فى الأولياء .

ومهما ترى من شهوة بشرية      لَطْبِيعَ ، وإيثارٍ لِحَقِّي تعاطاه  
ومهما ترى من عرشه ومحيطه      وكرسیه ، أو رَفْرَفِ عَزِّ نَجْلَاه  
فإنَّ ذاك الكُلَّ ، والنكلَ مَشْهَدِي      أنا المُتَجَلِّي في حقيقته ، لا هُو  
وإنَّ ربَّ للأنامِ وسيد      جميع الوری إسمِ ، وذاتِ مُسَمَّاه (١) «  
أرأيت إلى الجليلي بأية وثنية ينطق ؟ وبأية مجوسية يدين ؟ أرأيت إليه  
في قوله : « أنا المتجلى في حقيقته لا هو ؟ » يا للجيلي ! ! يحكم على الوجود الحق  
بالعدم الصرف ! !

أرأيت إليه في زعمه أنه « رب للأنام وسيد » ؟ !  
أرأيت إليه - وقد حُجِّتْ شهوة الزندقة فيه - يفترى أن الشهوات إحدى  
مُتَمَوِّمات الوجود الإلهي ، وأنها في دنسها عين وجوده ؟ ! وأن إبليس في غيِّه  
وتمرده هو عين الرب الأعظم ؟ ! وأن كل اسم في الوجود هو اسم لله سبحانه ،  
لأنه عين كل مسمى . وأن كل صفة لكائن ما ، هي لله صفة ، لأنه عين الموصوف  
بها ؟ فعلام يدل كل هذا ، أو إثارة واحدة منه ؟

أسأل الله بإسماحة الشيخ أن يشرق في قلبك شعاع من هدى الله ، لتبصر  
على نوره هذا الكيد الدنيء للإسلام ، توجع أحقاد الصوفية ، وتورث أضعافه  
في خبث خاتل ، ودهاء بفتنك بالسمات العذاب ، يتربق الفرصة لاطعنة النجلاء .  
وإن تعجب ، فعجب تقديس الصوفية للجيلي ، وتبرئة ساحته مما يحكم به  
الحق والعدل عليه ! ! إنها محاولة الرياء الجبان انتهك ستره ، فيلوذ بالبراءة حتى  
من نفسه ، لتسبح له الفرصة مرة أخرى ، فيجهز على الضحية .

إن تلك الزندقة الجيلية يتوارثها صوفي عن صوفي ، فحق عليهم قول الله  
(٥٣ : ٥١ أتواصوا به ؟! بل هم قوم طاغون) .

كيف يجعله الصوفية قطبا عرجت روحه إلى الحق تستلهمه الوحي ، وهو القائل؟! :

«لى الملكُ والملسكوتُ نسجى وصنعتى لى الغيبُ. والجبروتُ منى منشاه<sup>(١)</sup>»

### رب الصوفية تقيضان وضدان

دانت الصوفية كما رأيت رب هو عين كل شىء ، وعين كل ما يطيف بالذهن من صور ، ومن الأشياء ضدان ، ومن الصور تقيضان ، ورغم هذا لم يحجم الصوفية عن وصف ربهم بأنه يجمع فى ذاته بين الشىء وضده ، وبين الصفة وتقيضها . يقول الجيلى : « اعلم أن الله تعالى لما خلق النفس المحمدية من ذاته - وذات الحق جامعة للضدين - خلق الملائكة العالمين من حيث صفات الجمال والنور والهدى من نفس محمد ، وخلق إبليس وأتباعه من حيث صفات الجلال والظلمة من نفس محمد<sup>(٢)</sup> » ويقول : « اعلم أن الوجود والعدم متقابلان وفلك الألوهية محيط بهما ؛ لأن الألوهية تجمع الضدين من القديم والحديث ، والحق والخلق والوجود والعدم ، فيظهر فيها الواجب مستحيلا بعد ظهوره واجبا ، ويظهر فيها المستحيل واجبا بعد ظهوره فيها مستحيلا ، ويظهر الحق فيها بصورة الخلق<sup>(٣)</sup> ، ويظهر الخلق بصورة الحق<sup>(٤)</sup> » « الألوهية فى نفسها تقتضى شمول التقيضين وجمع الضدين<sup>(٥)</sup> » .

(١) ص ٢٣ ج ١ الإنسان الكامل .

(٢) ص ٤١ ج ٢ المصدر السابق . وتأمل زعمه أن إبليس خلق من نفس محمد !! لقد رمانا الصوفية بالكفر ، لأننا دعوناهم إلى الصلاة على رسول الله بما شرعه الله . فماذا يقولون فى الجيلى ؟

(٣) الحق والخلق وجهان أو وصفان للذات الإلهية فالأول باعتبار باطنها ، والآخر باعتبار ظاهرها .

(٤) ص ٢٧ ج ١ المصدر السابق . (٥) ص ٦٩ ج ١ نفس المصدر ،



«تجمعت الأضدادُ في واحدٍ البها وفيه تلاشت فَنوعنهن ساطع<sup>(١)</sup>»

هذا رب عجيب لم يبتدعه غير خيال الصوفية المخبول . رب موجود معدوم واجب مستحيل ، قديم حديث ، ينعم بالحياة ، ويهلك الموت ، فهو حي ميت في آن معاً !! هذا هو رب الصوفية الذي اختلقه الجبلي ، وبه تدين الصوفية ، وإيَّاه يعبدون !!

### إِلَه الغزالي<sup>(٢)</sup>

ولعل مما يقلق دهشتك ، ويشير نأثرتك أن يُقرن بأولئك هذا الذي افترى له الصوفية أضخم لقب في التاريخ ، وهو «حجة الإسلام» ليفتكوا بهذا اللقب الخادع بما بقي من ومضات النور الشاحبة في قلوب المسلمين . فاسمع إلى كاهن الصوفية - لا حجة الإسلام - يتحدث عن التوحيد ومراتبه «للتوحيد أربع مراتب . . . والثانية : أن يصدق بمعنى اللفظ قلبه ، كما صدق به عموم المسلمين ، وهو اعتقاد العوام!!<sup>(٣)</sup> . والثالثة : أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق ، وهو مقام المقربين ، وذلك بأن يرى أشياء كثيرة ، ولكن يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار<sup>(٤)</sup> . والرابعة : ألا يرى في الوجود إلا واحداً<sup>(٥)</sup>» وهي مشاهدة الصِّدِّيقين ، وتسميه الصوفية : الغناء في التوحيد ، لأنه من حيث

(١) ص ٣٣ ج ١ المصدر السابق .

(٢) محمد بن محمد بن أحمد الطوسي أبو حامد الغزالي مات سنة ٥٠٥ هـ

(٣) تدبر وصفه لعموم المسلمين بأنهم عوام في الاعتقاد !!

(٤) في هذه المرتبة يقرر وحدة الفاعل ، بدليل ما سيقره بعد ، وهو أنه لا يشاهد إلا فاعلاً واحداً ، فيلزمه نسبة فعل المجرم إلى ذلك الفاعل الواحد .

(٥) قرر فيما سبق وحدة الفاعل ولكنه لم ينف وجود غيره ، أما في هذه ، فيقرر وحدة الموجود أي وحدة الوجود ، يقرر أن الذوات على كثرتها هي في الحقيقة ذات واحدة .

لا يرى إلا واحداً ، فلا يرى نفسه أيضاً ، وإذا لم ير نفسه ؛ لسكونه مستغرقاً بالتوحيد ، كان فانياً عن نفسه في توحيده ، بمعنى أنه قنى عن رؤية نفسه والمخلق » ثم يمدنا الغزالي عن مقامات الموحدين في كل مرتبة ، فيصف صاحب المرتبة الرابعة من التوحيد بقوله : « والرابع موحد بمعنى أنه لم يحضر في شهوده غير الواحد ، فلا يرى الكل من حيث إنه كثير ، بل من حيث إنه واحد ، وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد . فإن قلت . كيف يتصور ألا يشاهد إلا واحداً ، وهو يشاهد السماء والأرض وسائر الأجسام المحسوسة ، وهي كثيرة ؟ فكيف يكون الكثير واحداً ؟ فاعلم أن هذه غاية علوم المكاشفات<sup>(١)</sup> ، وأسرار هذا العلم لا يجوز أن تُسَطَّرَ في كتاب<sup>(٢)</sup> ، فقد قال العارفون : إفشاء سر الربوبية كفر<sup>(٣)</sup> » ثم يضرب لنا مثلاً عن شهوة الوحدة في الكثرة بقوله : « كما أن الإنسان كثير إن التفتَّ إلى روحه وجسده وأطرافه وعروقه وعظامه وأحشائه ، وهو باعتبار آخر ومشاهدة أخرى واحد .. فكذلك كل ماني الوجود من الخالق

---

(١) يكل المعرفة بأسمى مراتب التوحيد إلى علوم المكاشفات ، فما تلك العلوم ؟ إنها قطعاً شيء آخر غير الكتاب والسنة ، إنها أساطير الصوفية التي استمدوها من « أذواقهم ومواجيدهم » ثم سجلوها في كتبهم ، فكان القرآن وسنة الرسول ليس فيهما ما يصل بالقلب إلى قدس الحق من التوحيد الخالص ، فتدبر تجمد الغزالي يهدف إلى صرف المسلمين عن هدى ربهم إلى خرافات الصوفية وضلالاتهم .

(٢) اقرأ بعد هذا يقول الله تعالى « ما فرطنا في الكتاب من شيء » وأهم شيء هو توحيد الله في ربوبيته وإلهيته ، ولكن الغزالي يزعم أن حقيقة التوحيد الحق لا يجوز أن تسطر في كتاب ، وهذا معناه أنها ليست في كتاب الله ، وأنه لا يعرفها أحد إلا الصوفية أرباب الكشف !!

(٣) هذا معناه أنه هو وأمثاله من الصوفية يعرفون أسرار الربوبية ، غير أنهم يرضون بها على الكتب ، وأن المسلمين جميعاً لا يعرفون حقيقة التوحيد !! ومعناه مرة أخرى : أن كتاب الله ليس فيه الحق من التوحيد !!

والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة فهو باعتبار من الاعتبارات واحد ،  
وباعتبارات آخر سواء كثير ومثاله الإنسان ، وإن كان لا يطابق الغرض ،  
ولكنه ينبه في الجملة على كيفية مصير الكثرة في حكم المشاهدة واحداً ، ويستبين  
بهذا الكلام ترك الإنكار والجحود لمقام لم تبلغه ، وتؤمن إيمان تصديق<sup>(١)</sup> ،  
وإلى هذا أشار الحُسَيْن بن منصور الحلّاج<sup>(٢)</sup> حيث رأى الخواص يدور في الأسفار  
فقال : فيأذا أنت ؟ فقال : أدور في الأسفار ؛ لأصحح حالتي في التوكل ، فقال  
الحسين : قد أفنيت عمرك في عمران باطنك ، فأين الفناء في التوحيد ؟ فكأن  
الخواص<sup>(٣)</sup> كان في تصحيح المقام الثالث ، فطالبه بالمقام الرابع<sup>(٤)</sup> «

(١) بهذا المرء يستدل الغزالي على الوحدة بين الخلق والخالق ، ويحتم علينا  
الإيمان به !! كنا نحب أن يأتينا بآية من كتاب الله ، أو إثارة من فكر صحيح  
وبرهان عقلي . بيد أنه لجأ إلى الخيال السقيم يشبه الوحدة بين الله وعباده بالوحدة  
بين الإنسان وأعضائه !!

(٢) صلب سنة ٣٠٩ هـ ثبوت زندقته .

(٣) إبراهيم بن إسماعيل أبو إسحاق الخواص مات سنة ٢٩١ هـ

(٤) كل النصوص التي ذكرتها من كتاب الإحياء للغزالي ج ٤ من ص ٢١٢  
وما بعدها ط دار الكتب العربية . وعجيب أن يمجّد الغزالي الحلّاج ، وهو يعلم أنه  
قائل هذه الأبيات :

سبحان من أظهر ناسوته سر سنا لاهوته الثاقب  
ثم بدا في خلقه ظاهراً في صورة الآكل والشارب  
حتى لقد عاينه خلقه كلحظة الحاجب بالحاجب

\* \* \*

مزجت روحك في روحي كما تمزج الحمرة بالماء الزلال  
فإذا مسك شيء مسني فإذا أنت أنا في كل حال

الطواسين للحلاج ص ١٣٠ ، ١٣٢ . عجيب أن يمجّد الغزالي صوفياً يزعم أن  
الله آكل شارب ، يحب الحياة ويخاف الموت ، ويمحقه العدم ويقتله الحزن ، وتزل =

أرأيت إلى من صنمته الصوفية باللقب الفخم الضخم ؛ لتفتن به المسلمين عن هدى الله ؟! أرأيت إلى الغزالي يدين بوحدة الوجود ، أو الشهود ؟! سمها بما شئت ، فعند الكفر تلتقي الأسطورتان ، لاتقل : إن وحدة الوجود أنشودة من البداية ، ووحدة الشهود أغرودة عند النهاية ، فكلتاها بدعة صوفية بيد أنها غارت بين الاسمين ، وخالفت بين اللونين ، ولكن البصر البصير لا يخذعه اسم الشهد سمي به السم الناقع !!

كلتاها زعاف الرقطاء ، غير أن واحدة منهما في كأس من زجاج ، والأخرى في كأس من ذهب !!

ولقد فضح الغزالي سره حين تمثل في إعجاب بتوحيد الحلّاج . وهذا وحده كاف في إدانة الغزالي بالحلاجية ، ولقد علمت ماهي !!

### رأى في الغزالي

ولقد فطن إلى حقيقة دين الغزالي المستشرق نيكلسون ، وإلى أنه الثالث لجرثومة الصوفية ، فقال : « إن الغزالي أوسع المجال لبعض صوفية وحدة الوجود أمثال ابن عربي وغير هؤلاء من طوائف الصوفية الذين كانوا إخوانا في ذلك الدين الحر بكل ما للكلمة الدين الحر من معنى <sup>(١)</sup> » ولقد كنا نحب أن يفطن إلى ذلك بعض من يمجدون الغزالي ، كما فطن إليه ذلك المستشرق المسيحي <sup>(٢)</sup> !!

== به الشهوات ، لأنه عين خلقه !! ألم يجد الغزالي من المؤمنين من يتمثل به في بلوغ أسمي مراتب التوحيد ؟ ألم يعطفه توحيد أبي بكر وعمر ، فينصرف عنهما إلى تعجيد زندقة الحلّاج ؟!

(١) ص ١٠٤ « في التصوف الإسلامي » ترجمة الدكتور عفيفي .

(٢) سبقه إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رضى الله عنه ، فكشف كسفاً صريحاً مؤيداً بالنصوص القاطعة عن صوفية الغزالي وإن كان لم يستشهد بتلك النصوص التي نقلتها من الإحياء فيما قرأت لشيخ الإسلام .

ويقول جولديز بهر : « ابن عربي الذي أشرنا من قبل إلى تأثره بالغزالي يخضع تفسيره الذي نحافيه منحي التأويل إخضاعاً تاماً لوجهة النظر التي أخذ بها الغزالي<sup>(١)</sup>! » ويقول : « خلص الغزالي الصوفية من عزلتها التي ألفاها عليها ، وأنقذها من انفصالها عن الديانة الرسمية ، وجعل منها عنصراً مألوفاً في الحياة الدينية ، وفي الإسلام ، ورجب في الاستعانة بالآراء والتعاليم المتعلقة بالتصوف ، لكي ينفث في المظاهر الدينية الجامدة « كذا !! » . . قوة روحية<sup>(٢)</sup> » . ويقول : « إن الغزالي رفع من شأن الآراء الصوفية ، وجعلها من العوامل الفعالة في الحياة الدينية في الإسلام<sup>(٣)</sup> » وهكذا لم يعمل الغزالي للإسلام بل للصوفية ، وبعد أن كان المسلمون على حذر من سبها ، وفي انفصال تام عنها حملهم بسحر بيانه على أن يعتنقوا أساطيرها . ويقول كارل بكر « ولقد سادت روح « الغنوص » فرق صدر الإسلام كلها ، ثم سادت التصوف الذي كان يعد في البدء بدعة خارجة عن الدين ، ولكنه أصبح بفضل الغزالي خالياً من السم معترفاً به من أهل السنة<sup>(٤)</sup> » هذا هو خطر الغزالي !! صور التصوف للمسلمين رحيقاً خالياً من السم ، فترشفوه ، ففتك بهم رأى في خطر وحدة الوجود

يقول « نيكلسون » : « إن الإسلام يفقد كل معناه ، ويصبح اسماً على غير مسمى ، لو أن عقيدة التوحيد المعبر عنها بـ « لا إله إلا الله » أصبح المراد بها : لاموجود - على الحقيقة إلا الله . وواضح أن الاعتراف بوحدة الوجود في صورتها المجردة قضاء تام على كل معالم الدين المنزل ، ونحو هذه المعالم نحواً كاملاً »

(١) ص ٢٥٩ مذاهب التفسير لجولد زيهر .

(٢) ص ١٥٩ العقيدة والشريعة لجولد زيهر .

(٣) ص ١٦١ نفس المصدر .

(٤) ص ١٠ التراث اليوناني ترجمة الدكتور بدوي .

حقيقة ساطعة ، يقرها مسيحي ، ويكفر بها شيوخ كبار يزعمون أنهم أحبار الدين وأئمة !! وهل المقام الرابع للتوحيد في دين الغزالي إلا مقام القائلين « لا موجود إلا الله » ؟ بل إنها لتسيحة الصوفية في العشايا والأبكار !! وإني لعلى بينة من أنى بهذا الحق الذى أشهد به ، أثير نائرة الكبار من الشيوخ ، فكتاب « الإحياء » قرآنهم الأول . وبما يهرف الغزالي فيه ، يؤولون كتاب الله ، ويحرفون آياته . وفي وجه الحق من هدى الله يرفعون ضلالة الأساطير من « الإحياء » وخرافة الأوهام من « المشكاة » !!

ولكنى أصرخ بالحق في وجوه الثائرين : رُوَيْدُكُمْ !! فما نُوِّلَهُ من دون الله أحداً ، وما تتخذ كتاباً يهدينا غير كتابه ، ولا قدوة غير رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا نسجد لصنم ، ولا ننعق بطاغوت ، وإن يكن هو الغزالي ، أو كتبه<sup>(١)</sup> !!

### دَنْدَنَةُ الغزالي بوحدة الوجود

يقول : « العارفون بعد العروج إلى سماء الحقيقة ، انفقوا على أنهم لم يروا في الوجود إلا الواحد الحق ، ولكن منهم من كان له هذه الحالة عرفانا علمياً<sup>(٢)</sup> ومنهم من صار له ذوقاً وحالاً<sup>(٣)</sup> ، وانتفت عنهم الكثرة بالكافية ، واستغرقوا بالقرْدَانِيَّةِ المحضة ، فلم يبق عندهم إلا الله ، فسكروا سكرأ ، وقع دونه سلطان

(١) يحاول السبكي في كتابه طبقات الشافعية تبرئة ساحة الغزالي بزعمه أنه اشتغل في أخريات أيامه بالكتاب والسنة ، ونحن نسأل الله أن يكون ذلك حقاً ، ولكن لا بد من تحذير المسلمين جميعاً من تراث الغزالي ، فكل ماله من كتب في أيديهم تراث صوفي ، ولم يترك لنا في أخريات أيامه كتاباً يدل على أنه اشتغل بالكتاب والسنة .

(٢) أى وصل إليها عن طريق الدليل والبرهان .

(٣) أى وصل إليها عن طريق الكشف والإلهام .

عقولهم ، فقال بعضهم : أنا الحق<sup>(١)</sup> ! . وقال الآخر : سبحانه ! . ما أعظم شأنى<sup>(٢)</sup> !  
وقال الآخر : ما فى الجبة إلا الله<sup>(٣)</sup> وكلام العاشق فى حال السكر ، يُطوى ،  
ولا يُحكى<sup>(٤)</sup> ! . فلما خف عنهم سكرهم ، وردوا إلى سلطان العقل ، عرفوا أن  
ذلك لم يكن حقيقة الاتحاد ، بل يشبه الاتحاد ، مثل قول العاشق فى حال فرط العشق :  
أنا من أهوى ، ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدننا<sup>(٥)</sup>

وتسمى هذه الحالة بالإضافة إلى المستغرق فيها باسان الحجاز : اتحادا ، ولسان  
الحقيقة توحيداً . ووراء هذه الحقائق أسرار لايجوز الخوض فيها<sup>(٦)</sup> «توحيد من؟؟  
أتوحيد الرسول صلى الله عليه وسلم ، أم توحيد البررة الأخيار من أصحابه ؟ أجبوا  
ياخمايا الغزالي وسدنة الأصنام من كتبه ؟

(١) قائلها طيفور البسطامى .

(٢) قائلها البسطامى .

(٣) قائلها الحلاج .

(٤) يصف الغزالي هذه المحوسية الصوفية بأنها هتفات أرواح سكرت بعشق الله ،  
ولم يجد الغزالي مايقصد به هذه الصوفية - إن عدده تقدماً - سوى قوله : وكلام  
العاشق يطوى ولا يحكى !! ولكن ماحكم الله ياغزالي ؟ لايجيب !! ، ولكنه حكم  
من قبل بأن ذلك أسمى مراتب التوحيد !!

(٥) البيت للحلاج وانظر ص ٣٤ طواسين ، والبيت الذى بعده .

فإذا أبصرتى ، أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنا

والغزالي يعرف أن ذلك للحلاج غير أنه يتستر على شيطان وحيه ، والحلاج  
حلولى يؤمن بنائية الحقيقة الإلهية ، فيزعم أن الإله : له وجهان ، أو طبيقتان هما :  
اللاهوت والناسوت ، وقد حل الأول فى الآخر . فروح الإنسان هى لاهوت الحقيقة  
الإلهية ، وبدنه ناسوته . فإذا كان الغزالي قد رفض القول بالاتحاد ، ودان بما  
يشبهه ، فقد آمن بما هو أخبث منه ، وهو الحلول . بدليل استشهاده بالبيت الذى عبر  
به الحلاج عن حلوليته !!

(٦) ص ١٢٢ مشكاة الأنوار للغزالي ط ١٩٣٤ م

## زَمَزَمَاتُ بِالْوَحْدَةِ

وأصيخ إلى زمزومات الغزالي بأسطورة الوحدة : « السكل من نوره ، بل هو لا هُوِيَّةٌ<sup>(١)</sup> لغيره إلا بالمجاز ، فإذا ن لا نور إلا هو ، وسائر الأنوار أنوار من الوجه الذي تليه ، لا من ذاتها ، فَوَجْهُ كُلِّ مَوْجِهٍ إليه ومَوْلٍ شطره (أينا تَوَلَّوْا ، فَتَمَّ وجه الله ) ، فإذا لا إله إلا هو ، فإن الإله عبارة عما الوجوه مولية نحوه بالعبادة ، والتأليه ، أعنى وجوه القلوب ، فإنها الأنوار والأرواح ، بل كما لا إله إلا هو ، فلا هو إلا هو ، فإن هو : عبارة عما إليه الإشارة ، وكيفما كان ، فلا إشارة إلا إليه ، بل كلما أشرت ، فهو بالحقيقة الإشارة إليه<sup>(٢)</sup> » يفترى أن كل هوية في الوجود ، هي عين هوية الله سبحانه ، أى حقيقته ! . ولذا لا يمكن أن تقع إشارة ما إلا عليه ! . فإن أشرت إلى صنم ، أو ميت ، فكلمتا إشارتيك واقعة على رب الغزالي ، ولم لا ؟ وماهية الصنم أو حقيقته هي عين ماهية الرب الغزالي .

تلك هي الأسطورة التي ابتدعها الغزالي ، ووصى بها كهنة الصوفية من بعده !! وإليك هيمنة الموبدان بخرافة الوحدة مرة أخرى : « لا إله إلا الله توحيد العوام ! ولا هو إلا هو توحيد الخواص<sup>(٣)</sup> ! لأن ذلك أعم ، وهذا أخص

(١) الهوية عند الصوفية هي : الحقيقة الباطنة للذات الإلهية ، أو هي الذات قبل التعيين في مادة ، يزعم بهذا أن كل ما تحقق من إثبات الوجود ، فباطنها هوية الله !!  
(٢) ص ١٢٤ مشكاة الأنوار للغزالي . وتلك هي الطامة الغزالية ؛ إذ يزعم أنك مهما أشرت إلى شيء ما ، فأشارتك في الحقيقة واقعة على الله ؛ لأنه عين ذلك الشيء المشار إليه !!

(٣) يزعم أن الإيمان بما توجهه كلمة التوحيد « لا إله إلا الله » هو توحيد العوام !! لأنه يثبت لله وحده الربوبية والإلهية ، وينفيهما عن غيره . ويثبت بالتالي وجود خلاق وخلق ، وفي هذا ، أى في إثبات وجودين ، أو موجودين يغاير أحدهما الآخر ثنائية تناقض صرافة الوحدة ، وهذا شرك عند الصوفية وكاهنهم . ولذا يهت « لا إله إلا الله » بأنها توحيد العوام . يهتها بذلك ، وهي توحيد الرسل جميعاً !! =



وأشمل وأحق وأدق ، وأدخل بصاحبه في الفردانية المحضة والوحدانية الصرفة .  
ومنتهى معراج الخلائق مملكة الفردانية ، فليس وراء ذلك مِرْقَاة ! إذ الرق  
لا يُتَصَوَّرُ إلا بكثرة ، فإنه نوع إضافة يستدعي مامنه الارتقاء ، وما إليه الارتقاء ،  
وإذا ارتفعت الكثرة ، حققت الوحدة ، وبطلت الإضافة ، وطاحت الإشارة ،  
فلم يبق علو ، ولا سفل <sup>(١)</sup> ، ولا نازل ، ولا مرتفع ، فاستحال الترقّي ، واستحال  
العروج ، فليس وراء الأعلى علوٌ ولا مع الوحدة كثرة ، ولا مع انتفاء الكثرة  
عروج ، فإن كان ثم تغيير من حال ، فالنزول إلى السماء الدنيا ، أعنى بالإشراق  
من علو إلى أسفل ، لأن الأعلى - وإن لم يكن له أعلى - فله أسفل ، وهو من  
العالم الذي هو كنهه المكنون الذي لا يعلمه إلا العلماء بالله ، فإذا نطقوا به ، لم  
ينكره إلا أهل الغرّة بالله <sup>(٢)</sup> .

== أما توحيد الخواص عنده ، فكأتمه « لاهو إلا هو » لأنها تثبت وجوداً واحداً ،  
وتنفي الغيرية والكثرة والتعدد ، تثبت موجوداً واحداً تنوعت مظاهره ، فسميت  
خلقاً ، وتنفي المغايرة بين من نسيمهم الخلق وبين من نسيه الخلاق !! وتثبت أن  
وجود الأول عين وجود الثاني ، فكما أنه لا وجود إلا وجوده ، فكذلك لا ذات  
إلا ذاته ، أما تلك الكثرة الوهمية في الذوات ، فيؤمن بها عمى القلوب !! هذا  
دين الغزالي .

(١) استعمل نفس هذا التعبير العطار الصوفي في تذكرة الأولياء ، ج ٢ ص ٢١٦  
(٢) ص ١٢٥ المصدر السابق ، وأقول : إن الله سبحانه أخبر أنه استوى على  
عرشه ، وأن الملائكة تعرج إليه ، وأن العمل الصالح يرفعه إليه ولكن الغزالي أبي  
إلا أن يرفع في وجه الحق وفي حرمة أصنامهم هو ، فزعم استحالة العروج ، ونفاه نفيّاً  
باتاً ، لكيلا يتناقض مع ما يدين به من الوحدة المحضة ، فالقول بعروج أحد إلى الله  
إثبات للتعدد أو للكثرة أو للغيرية ، إذ يستلزم وجود من منه العروج ووجود من  
إليه العروج ، وهذه ثنائية تنقض أو تناقض الوحدة التي يؤمن بها الغزالي ، وحدة  
الوجود ، فإذا قيل بعروج ما ، فالقول به مجازي محض ، إذ العروج ، هو من الذوات  
الإلهية نفسها بنفسها إلى نفسها ، فالذي منه العروج عين من إليه العروج ، وإذا ==

ثم يتابع الغزالي الحديث عن الله ، فيقول : « له نزول إلى سماء الدنيا وأن ذلك هو نزوله إلى استعمال الحواس ، وتحريك الأعضاء ، وإليه الإشارة بقوله عليه الصلاة والسلام : « صرت سمعه ... الحديث » فهو السامع والباصر والناطق بإذن لا غيره <sup>(١)</sup> » والجملة الأخيرة وحدها صريحة في الكشف عن إيمان الغزالي بالوحدة بين الحق والخلق . إذ يقرر أن كل سامع وباصر وناطق هو الله ! وما إخال مسلماً يلح إيماضة من الحق في تلك الأوهام ، ولا شعاعة من التوحيد في تلك الأمتاج الغزالية ، وإنما يحس بِيَحْمُومِ الوحدة الصوفية ، يطغى بسواده هنا ، وهناك ، وينخق الأنفاس حتى تحتضر ! ولقد شعر الغزالي بما في مفترياته من شطط متجانف لإثم ، فحاف على باطله أن يقذف عليه بالحق أهله ، فوصف المنكرين لأساطيره بأنهم : أهل غرة ! وَمَنْ أهل الغرة ؟ إتهم الذين يدينون دين الحق من القرآن ، ويكفرون بأساطير الغزالي ! ليكن يا كاهن الصوفية ! فما أنت الذي نعرف منه فيصل التفرقة بين الكفر والزندقة - كما سميت كتاباً لك - وإنما نعرف ذلك من كتاب الله الذي يدينك ، ويحكم عليك بما يصعق عابديك وكهان دينك <sup>(٢)</sup> !

== ماقيل : نازل أو صاعد ، فالنازل هو الصاعد إذ هما ذات واحدة ، والنزول عين الصعود ، إذ هما وصفان متحدان في الحقيقة ؛ مختلفان بالاعتبار ، توصف بهما ذات واحدة في حال واحدة في آن واحد هي الذات الإلهية . فللملائكة الذين يرجون إلى الله ( ٧٠ : ٤ : تعرج الملائكة والروح إليه ) هم عين الذات الإلهية في أسماء آخر لها . والعمل الصالح الذي يرفعه الله إليه ، هو عين الذات الإلهية في وصف آخر لها ، وإلا قلت بالكثرة والتعدد ، وبأن الله غير الخلق !! هذا دين الغزالي فتدبره ، وثمت يلقاك ابن عربي بما تعرفه منه ، ولكن باسم جديد ، وزى ساحر ، ولقب كبير خادع .

(١) ص ١٢٥ المصدر السابق .

(٢) لاتعجب حين ترى الغزالي يجنح في دهاء إلى السلفية في بعض ما كتب ، فللغزالي وجوه عدة كان يرأى بها صنوف الناس في عصره ، فهو أشعري . لأن نظام الملك صاحب المدرسة النظامية أراده على ذلك ، وهو عدو للفلسفة ، لأن الجماهير ==

## أصنام صغيرة

إله ابن عامر البصرى (١)

ولكيلا ترتاب في أن ما ذكرته لك هو دين الصوفية جميعاً من سلفهم إلى خلفهم ومعاصريهم . أذكر لك دين بعض أصنامهم الصغيرة ، فاسمع إلى ابن عامر في تائيبته التي عارض بها تائية ابن الفارض ، وزنا وقافية ، ولطخها بنفس الزندقة لغراضية !

تجلى لي المحبوب من كل وجهة فشاهدته في كل معنى وصورة  
وخطبني مني بكشف سرائر تعالت عن الأغيار (٢) لطفاً، وجلت  
فقال : أتدرى من أنا ؟ قلت : أنت يا

منادى أنا ؛ إذ كنت أنت حقيقتي

بهذا بدأ ابن عامر قصيدته ، فكان صريح الزندقة فيها !

نظرت، فلم أبصر سوى محض وحدة بغير شريك ، قد تقطت بكثرة  
تكثرت الأشياء، والكل واحد صفات وذات ضمناً في هوية

ويظل الصوفي يهوى حتى يبلغ القرار السحيق من وحدة الوجود .

== على تلك المداوة ، وهو متكلم ، ولكنه يترأى بعداوته للكلاميين اتقاء غضب الخنايلة ، أما هو في كتيبه « المضمون بها على غير أهلها » فصوفي إشراقي من قمة رأسه إلى أخمص قدميه ، وفي كتيبه الأخرى تجسده أشعرياً تارة ، وسلفياً مشوباً بأشعرية تارة أخرى . وهكذا كان يلقي كل فريق بالوجه الذي يعرف أنهم يحبونه . لا يهمه أكان وجه حق ، أم وجه باطل !!

(١) عامر بن عامر أبو الفضل عز الدين توفي غالباً في أواخر القرن الثامن

الهجري .

(٢) قول المسلم : تعالى الله عن شريك . أما قول الصوفي : تعالى الله عن الأغيار

أى ما ثم غير له ، إذ هو عين كل شيء !!

فأنت أنا ! لا ، بل : أنا أنت <sup>(١)</sup> . وحدة

مُنزَّهة عن كل غير وشركة <sup>(٢)</sup>

إله الصدر القونوى <sup>(٣)</sup>

يقول في كتابه " راتب الوجود " : « فالإنسان هو الحق ، وهو الذات ، وهو الصفات ، وهو العرش ، وهو الكرسي ، وهو اللوح ، وهو القلم ، وهو الملك ، وهو الجن ، وهو السموات وكواكبها ، وهو الأرضون وما فيها ، وهو العالم الدنياوى ، وهو العالم الأخراوى ، وهو الوجود ، وما حواه ، وهو الحق <sup>(٤)</sup> ، وهو الخلق ، وهو القديم ، وهو الحادث <sup>(٥)</sup> » وإخال أنى أنتقص من فكرك ، إن حاولت أنا أن أدلك على خطايا الوثنية في بذاء القونوى .

إله النابلسى <sup>(٦)</sup>

يقول معقبا على قوله تعالى : ( ٤٨ : ١٠ ) إن الذين يبايعونك ، إنما يبايعون الله ) يقول : « أخبر تعالى أن نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم هو الله تعالى وتقدس وبيعته بيعة الله ، ويده التي مدت للبيعة هي يد الله » ويفسر قول الله لموسى :

(١) يقول لربه : أنا أنت وأنت أنا ، وإبليس فى عتو جحوده وكفره قال لربه : « ١٥ : ٣٦ رب فأنظرنى إلى يوم يبعثون » فلم يكفر اللعين كفر الصوفية ، إذ أقر بربوية الله . أما هم ، فيبهتون ربوية الله بأنها عبودية شائنة .

(٢) تائية ابن عامر بتحقيق الشيخ المغربى ط دمشق سنة ١٩٤٨ م

(٣) محمد بن إسحاق توفى سنة ٦٧٣ هـ

(٤) أذكرك بأن الصوفية يعنون بالحق الله سبحانه ، أو هو الحقيقة الإلهية قبل تجليها فى صور خلقية .

(٥) من كتاب مراتب الوجود مخطوط بالظاهرية بدمشق رقم ٥٨٩٥ عام

« تقلا عن الإنسان الكامل ص ١١٥ للدكتور بدوى » .

(٦) عبد الغنى بن إسماعيل النابلسى توفى سنة ١١٤٣ هـ

(٢٠ : ١٣ وأنا اخترتك ) بقوله : « بأن تكون أنا ، وأكون أنا أنت ، فاستمع لما يوحى إليك منى ، وهذا نظير حديث الإنسان الغافل لنفسه ، يحدثها ويحدثه »  
ويفسر قوله سبحانه لموسى ( ٢٠ : ٣٩ وألقيت عليك محبة منى ، ولتصنع على عيني ) بقوله : « أى ذاتى فأظهر بك ، وتقريب أنت ، وتظهر أنت ، وأغيب أنا ، وما هما اثنان ، بل عين واحدة <sup>(١)</sup> » وما ألمس من بهتان مُسِفٍ في فجور الزور ، وقحة التكذب ؛ كبهتان النابلسى يزعم أن الصوفية تعمد بالكتاب والسنة في إيمانهم بوحدة الوجود ؛ إذ يقول « إن عمدتنا وعدتنا هو التمسك بالقرآن العظيم وسنة نبيه الكريم فى معرفتنا بربنا وإطلاق ما أطلقه على نفسه فى كلامه القديم ، وما أطلقه عليه نبيه البر الرحيم <sup>(٢)</sup> » لم يقنع بالكفر السفیه وحده ، فأضاف إليه بهتاناً دينياً ؛ إذ يزعم أن كتاب الله هو عدته فى التمسك بوحدة الوجود ، ويقينى أنك لو قرأت الفقرة الأخيرة ، وأنت غافل عن عقيدة النابلسى ، لأيقنت أنه مؤمن فاض بنور الحق قلبه ، وهكذا كل صوفى يلبس لكل حال لبوسها ، ويعطيك جانباً منه برضيك ، حتى إذا سكنت إليه ختلك ، فقتلك !

(١) عن رسالة اسمها « حكم شطح الولى » للنابلسى مخطوطة بالظاهرية بدمشق رقم ٤٠٠٨ تقرأ عن كتاب « شطحات الصوفية ص ١٥٣ للدكتور بدوى »  
(٢) نفس المصدر وبمثل هذا الرياء يخدع الصوفية المسلمين عن دينهم ، إذ يلونون الباطل بلون من الحق ، ليمكروا به ، وحق ما يقول جولد زيهير : « كان التصوف خصوصاً هو الذى عنى بتصوير كثير من الأفكار الإفلاطونية المحدثة والغنوصية فى صورة إسلامية ، فعن دوائر التصوف صدر الكثير من الأحاديث الموضوعية التى قصد بها إلى تبرير قواعد التصوف » ويقول : « كل تيار فكرى فى مجرى التاريخ الإسلامى زاول الاتجاه إلى تصحيح نفسه على النص المقدس واتخاذ هذا النص سنداً له على موافقته للإسلام ومطابقته لما جاء به الرسول ، وبهذا وحده كان يستطيع أن يدعى لنفسه مقاماً وسط هذا النظام الدينى وأن يحتفظ بهذا المقام » انظر ص ٢١٨ التراث اليونانى لبدوى و ص ٣ مذاهب التفسير لجولد زيهير .

بل هكذا كل نحلة تثير على كتاب الله حرب أضغانها ، فهي لا تستطن بتكذيب الله في وحيه ، وإنما تزعم - لفتن الناس عن دينهم الحق - أنها تقدسه ولكنها - ومن مقنعة بالاهداف بريائها الخاتل - تضع لألفاظ القرآن معاني ما أنزل الله بها من سلطان ، وليست لها صلة ما بألفاظها ، اللهم إلا حين تزعم أن الكفر معناه الإيمان ، وأن الباطل هو روح الحق ! ولهذا تجذ تكذيبها لله شر وأخبث أنواع التكذيب ، وما البهائية في تخنث كفرها أو القاديانية في مكر دعوتها بالإدليل صدق على ما أقول . فكلتاهما تغتري أنها تؤمن بكتاب الله ورسوله ! وكلتاهما عدو ألد الخصام لله ، ورسله ، وكتبه .

### إله ابن بشيش (١)

للورْدِ الذي افتراه ابن بشيش سحرُ الأمل ، استهْلَ بعد يأس في مشاعر الصوفية ، ورقة البشائر تأسو الدموع وجراح الأحران ، إذ يرونه - على اختلاف طرائقهم - وحيًا ينفخ قداسة وربّانية ، وصلاة يَحْشَعُ بها سَجْدُ الملائك ، وتساييح ترتلها الحور في خمائل الفردوس !

وإليك هذا الورد الذي يضرع به الصوفية في معابد الأصنام كلما قَبِلَ السَّحْرُ جبينَ الليل ! « اللهم صل على مَنْ منهُ انشقت الأسرار ، وانفلقَت الأنوار ، وفيه ارتقت الحقائق » همسات غير خافتة بأسطورة الحقيقة المحمدية الصوفية ، بيدَ أن هذه الهمسات تعلو رويداً رويداً حتى تحول صريحاً وغيحاً في قوله : « ولا شيء . إلا وهو به منوط ؛ إذ لولا الواسطة ، لذهب كما قيل الموسوط ، اللهم إنه سرُّك الجامع الدالُّ عليك ، وحجابك الأعظم القائم لك بين يديك » ثم تُجَنِّ لهفته ، فيهرول مجنون الخطى إلى هتك الستر عن معتقده ، فيضرع إلى الله بهذه الصوفية المملحة « وزجَّ بي في بحار الأحدية (٢) وانشاني من أحوال التوحيد ،

(١) عبد السلام بن بشيش أو مشيش من كبار شيوخ الشاذلية .

(٢) الأحدية « هي مجلى الذات ليس للأسماء ، ولا للصفات ، ولا لكى . من

وأغرقتني في عين بحر الوحدة ، حتى لا أرى ، ولا أسمع ، ولا أجد ، ولا أحس إلا بها .

أرأيت إلى الصوفية تحت غلائل السَّحَرِ الوَزْدِيَّةِ ، والليل ساجي السكون لا تسمع فيه سوى رفيف أجنحة الرُّؤْيِ ، وهمسات الأحلام ، والسكون في فيض الجمال الغامر ، والبهاء الساحر يثير في القلب المؤمن أزكى مشاعر الإيمان والحب للخلاق البديع ، فيسجد لله في عبودية خالصة . في هذه الجلوات الروحية ، وفي تلك المجالي حيث يتألق نور الجمال ، ويهمس الليل بنجوى الوداع في سمع الفجر يضرع الصوفية إلى الله أن ينشلهم من أوحال التوحيد ؟؟ !

إله الدمرداش<sup>(١)</sup>

يقول :

لقد كنتُ دهرًا قبل أن يُكشَفَ الغطاءَ

إخالُّك أني ذاكر لك شاكر

فلما أضاء الليل أصبحتُ شاهدًا

بأنك مذكور وأنك ذاكر<sup>(٢)</sup>

حتى هذه الزعنفة التائهة تزعم أن الغطاء كُشِفَ عنها فرأت أنها هي الله !!

واسمع إليها تقول :

= مؤثراتها فيه ظهور ، فهي اسم لصرافة الذات المجردة عن الاعتبارات الحقيقية والحلقية ، وليس لتجلى الأحدية في الأكوان مظهر أتم منك إذا استغرقت في ذاتك ، ونسيت اعتباراتك ، وهو أول تنزلات الذات من ظلمة العماء إلى نور المجالي ، وهذه الأحدية في لسان العموم هي الكثرة المتنوعة « هذه هي الأحدية عند الصوفية انظر ص ٣٠ ج ١ الإنسان الكامل للجبلي .

(١) هو محمد الدمرداش المحمدي توفي سنة ٩٢٩ هـ

(٢) ص ١٦ القول الفريد للدمرداش ط ١٣٤٨ هـ

## الواحد الموجود في الكل وحده

سوى أنه في الوهم سَمِيَ بالشوى (١)

والكل هنا تم الشيئية المطلقة في عمومها وشمولها ، فأنتم إذن عنده من شيء يدركه الحس ، أو يتخيله الوهم ، أو تطيش به الغريزة إلا وهو عين الله ذاتاً وصفة ! ! غير أن الوهم هو الذي حال بين العقول وبين إدراك هذه الحقيقة ، فظنت أن هذه الكائنات المحسّسة ، وتلك الصور الذهنية شيء آخر غير الله ! ولذا يقول : « فلا وجود سوى الله ، والغير وهم وخيال (٢) » .

إله ابن عجيبية (٣)

وهذا الذي تجرّع الفاطمية الخبيثة ينقل في شرحه لحكم بن عطاء الله هذه الآيات :

أَرَبٌّ ، وَعَبْدٌ ، وَنَفْيٌ ضِدٌّ ؟ قلت له : ليس ذلك عندي

فقال : ما عندكم ؟ . فقلنا وجودٌ فقد ، وفقدٌ وجدٍ

توحيدٍ حقٍّ بتركٍ حقٍّ وليس حقٌّ سوايَ وَحْدِي

ويشرحها بقوله : « ومعناها الإنكار على من أثبت الفرق ، بأن جعل للعبودية محلاً مستقلاً منفصلاً عن أسرار معاني الربوبية ، قائماً بنفسه ، ولا شك أن العبودية تضاد أوصاف الربوبية على هذا الفرق ، وأنت تقول في توحيد الحق : لا ضده ، فقد نقضت كلامك . ولذلك قال : ونفي ضد ! ! فالواو بمعنى : مع ، وهو داخل في الإنكار . أي : أيوجد رب . وعبد مستقبل ، مع نفي الضد

(١) ص ١٤ المصدر السابق .

(٢) ص ١٤ المصدر السابق .

(٣) أحمد بن عجيبية الإدريسي الفاسي نسبة إلى فاس بالمغرب توفي في منتصف

القرن الثالث عشر الهجري .



لربوبية ، والعبودية تضاداً أوصاف الربوبية ؟! والحق أن الحق تعالى تجلى بمظاهر  
الجمع في قوالب الفرق ، ظهر بعظمة الربوبية في إظهار قوالب العبودية ، فلا شيء ،  
معه <sup>(١)</sup> « يريد الفاطمي الخبيث أن يقول : نحن نؤمن بأن الربوبية لا ضد لها ،  
فإذا آمننا بوجود عبودية تتغير الربوبية في الذات والصفات . فقد تناقضنا ونقضنا  
ماقلنا ، فالذي ينبغى الإيمان به هو الوحدة المطلقة ، هو أن العبد عينُ الرب حتى  
لا تناقض قولنا : إن الرب لا ضدَّ له !! <sup>(٢)</sup>  
وحسبك هذا من ذلك العليج الفاطمي ! .

إله حسن رضوان <sup>(٣)</sup>

يقول في منظومته الكبرى « روض القلوب » .

فليس في الوجود شيء يشهد سواه ، فالأشياء به توحد  
والكثرة الموجودة الموهومة في ذاتها بوحدة معدومة  
والحق في الأشياء جميعاً ظاهر وسرّه قامت به المظاهرُ  
وكل ذرّة من الذرات تُنبئ بأن الكل عين الذات  
فوحدة الوجود لا تفارق شيئاً ، ولكن يستفاد الفارق  
فبالحدوث والقضاء يوصف إذن ، ولا يضر إذ يُعرف <sup>(٤)</sup>  
ثم يبشر سالك الطريق الصوفي بقوله :

ولا يزال نوره يزيد حتى لديه يكمل التوحيدُ

(١) ص ٢٠٩ وما بعدها يُقَاط المصم في شرح الحكم لابن عجيبة .

(٢) يقول جولد زهير : « عمدة الصوفية إلى إقحام آرائهم في القرآن والحديث  
بطريق التأويل ، وهكذا ورثوا الإسلام تركة فيلون » ص ١٤٠ العقيدة والشريعة

(٣) توفي سنة ١٣١٠ هـ أي منذ نيف وستين عاماً !!

(٤) ص ٢٦٩ روض القلوب المستطاب ط ١٣٢٢ هـ

وسر وحدة الوجود ينكشف لعينه ، ومنه ذوقاً يرتشف  
فَتَضَمَّجِلُ الكثرة المشهودة له بنور الوحدة المقصودة  
فلا يرى بعينه المَوْحَّدة في الكون شيئاً غير ذات واحدة<sup>(١)</sup>

### من بواكير الزندقة

وأصنع بإسماحة الشيخ إلى فحيح الزندقة ينفث سمها الأول طيفور البسطامي  
أبو يزيد : « خرجت من الله إلى الله ، حتى صاح مِنِّي فِي : يا من أنا أنت<sup>(٢)</sup> »  
وإليه « سبحاني ما أعظم ! أني<sup>(٣)</sup> » ! .

أرأيت إلى الأصنام الصغيرة . تدين بدين أمها الكبيرة ؟ ! .

### تأليه الحيوان النجس

هأنذا شرقت وغربت ، وياسرت ، ويامنت مع الصوفية أجبارة وكهاناً ،  
قدامي ومحدثين ، ونقلت عن سلفهم ، وسَجِلُّ ماضيهم وحاضرهم ، نقلت  
ما يدينون به في أمانته لم يَجْتَحِ بها عن قُدْسِها غِلٌّ ولا حقد ولا غضب ، نقلت  
هذا كله ؛ ليؤمن مَنْ لا يزال على فكره وقلبه غشاوة من سحر الصوفية ، أن  
الصوفية - قديماً وحديثاً في النصرانية ، وفي اليهودية ، وفي دين مَنْ خدعوك  
بأنهم مسلمون - تؤمن بأن هذا الكون كله ، حتى جيفه وريمه وخنزيره ،  
وكلابه ماهو إلا حقيقة الرب الأعظم « هوية وإنية » . ولذا ينقل محمد بهاء الدين  
عن زعيم صوفى قوله :

وما الكلب والخنزير إلا إلهنا وما الله إلا راهبٌ في كنيسة<sup>(٤)</sup>

(١) ص ١١٥ المصدر السابق .

(٢) ص ١٦٠ ج ١ تذكرة الأولياء

(٣) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة .

(٤) النفحات الأقدسية شرح الصلوات الإدريسية ط ١٣١٤ هـ

وناقل هذا صوفي يتمثل بهذا البيت الصوفي في روعة الحب الخاشع ،  
ليكشف لك عن روحانية الجمال الصوفي ! .

هذه هي الصوفية في كتابها ، فماذا ترى ؟ تؤمن بأن الله هو عين خلقه ، وبأن  
الماخور عربدت فيه الأبالسة ، عين المسجد تَبَدَّتْ فيه الرسل ! . وأن الوثنية  
السامرية عين التوحيد الحق ، وأن الحج إلى مَبَسْكِ اليهود ، أو « كَرْمَل <sup>(١)</sup> »  
البهائية عين الحج إلى بيت الله . وما والله رميت الصوفية بفرية ، بل بما يدينون  
به ، ويدعون إليه ، ويحبون أن يُعْرَفُوا به ، فما رأى سماحة الشيخ الكبير؟ <sup>(٢)</sup> .

### نور من القرآن

وإشفاقاً على الصوفية أن يجدوا مشقة في إِبْصَارِ الحَقِّ التِّلْأَلِيِّ ، أذْكَرْهُم

(١) حيث ثوت رمة الهالك ميرزا حسين على الملقب بهاء الله !!

(٢) قبل رأى الشيخ نقل آراء بعض المستشرقين فيما جاء به الإسلام من  
التوحيد ، فهذا غستاف لوبون يقول - وهو يتحدث عن وحدة الوجود - : « إن  
الإسلام يختلف عن النصرانية ، ولا سيما في التوحيد المطلق الذي هو أصل أساسي ،  
فالإله الواحد الذي دعا إليه الإسلام مهيمن على كل شيء ، ولا تحف به الملائكة  
والقديسون وغيرهم ، وللإسلام وحده كل الفخار ، بأنه أول دين أدخل التوحيد  
المحض ، والإسلام وإدراكه سهل خال مما نراه في الأديان الأخرى ، ويأباه الذوق  
السليم من التناقضات والغوامض ، ولا شيء أكثر وضوحاً ، وأقل غموضاً من  
أصول الإسلام القائلة بوجود إله واحد ، وبمساواة جميع الناس أمام الله » ص ١٥٨  
حضارة العرب ترجمة عادل زعير ، ويقول سيديو : « من شأن مبدأ التوحيد الجليل  
الذي انتشر بين قوم وثنيين أن يضرم الحمية في النفس المتحمسة العالية ، ويسود هذا  
المبدأ القرآن وإليه يعود إبداعه ، ويبدو هذا التوحيد المحض جازماً تجاه علم اللاهوت  
الذي تورطت فيه الفرق النصرانية ، بعد أن زاد عددها بفعل البدع » ص ٨٨ تاريخ  
العرب العام لسيديو ترجمة زعير ثم يقول في ص ٨٩ من الكتاب : « ومحمد إذ كان  
رسول الخالق بلغ أن الله لا ولد له ، وإن إله الكون واحد ، وأن الله مصدر كل  
قوة ، وأن إلى الله مرد من لم يحييوا دعوته ، ويود محمد أن يجتذب الناس إلى عبادة  
خالق كل شيء بغير واسطة » .

يهدى الله من كتابه الحق ؛ ليعرف حقيقة النور مَنْ يَحْبِطُ فِي تِيهِ الظلام ،  
ويدرك الحق من دَوَّخِه الباطل ، وينعم بالتوحيد من شقى بالشرك ، ولعل  
الصوفي الضليل يتخذ من التذكير بآيات الله مَنْجَاةً له ، فيجعلها حَكْمًا يصدع  
بالحق والعدالة في شأن الصوفية .

يقول رب العالمين ( ١٩ : ٩٢ - ٩٤ ) إِنَّ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ  
إِلَّا آتَى الرَّحْمَنَ عَبْدًا ، لَقَدْ أَحْصَاهُمْ ، وَعَدَّهُمْ عَدًّا ، وَكَلَّمَهُمْ آتِيَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا )  
( ١٠ : ٢-٤ ) إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ، ثُمَّ اسْتَوَى  
عَلَى الْعَرْشِ ، يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ، مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ، ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ ،  
فَاعْبُدُوهُ ، أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ، إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ، وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا ، إِنَّهُ بِيَدِهِ الْخَلْقَ ،  
ثُمَّ يَعِيدُهُ ) .

يقول سبحانه : إنه خالق السموات والأرض ، فتقول الصوفية : لا ، بل  
هو عين السموات والأرض ، وما فيهن من دابة ! ويقول سبحانه : إنه يدبر  
الأمر ، فتصرخ الصوفية : مَيَّنْ وَبَهْتَان ، فنحن الذين يدبرون الأمر له ! ويقول  
الله : ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ ، فاعبدوه ، فيضح كل طاغوت صوفى . لا : بل أنا الله لا إله  
إلا أنا ! ويقول جل شأنه : إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ، فتزعم الصوفية : إن معنى الرجوع  
هنا أن تعود الذات المتكثرة إلى وحدتها ، فتعود حقًا ، بعد أن كانت خلقًا ! .

( ٣٨ - ٣ ) إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق ، فاعبد الله مخلصًا له الدين ،  
إِنَّ اللَّهَ الدِّينَ الْخَالِصُ ، وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ (١) أَوْلِيَاءَ ، مَا نَعْبُدُهُمْ (٢) إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا  
إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ، إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ  
كَاذِبٌ كَفَّارٌ (٣) ، لو أراد الله أن يتخذ ولدًا ، لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه ،

(١) يقولون : أما نحن ، فتتخدم معه !! وهل الشرك إلا هذا ؟

(٢) يقولون : أما نحن فدعوم !! وهل الدعاء إلا العبادة ، أو مخ العبادة ؟

(٣) وتزعم الصوفية أن الكاذب الكفار هو الرب الأكبر في صورة كاذب كفار

هو الله الواحد القهار ، خلق السموات والأرض بالحق ، يُكَوِّرُ الليل على النهار ، ويكَوِّرُ النهار على الليل ، وسخر الشمس والقمر ، كلٌّ يجري لأجلٍ مُّسَمًّى ، ألا هو العزيز الغفار ، خلقكم من نفس واحدة ، ثمَّ جعل منها زوجها ، وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج ، يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلقٍ في ظلمات ثلاث<sup>(١)</sup> ، ذلكم الله ربكم له الملك<sup>(٢)</sup> ، لا إله إلا هو ، فأنتي تضرّفون ؟ » .

ويقول عز من قائل : ( ٤٣ : ١٠ ، ١١ وما اختلفتم فيه من شيء ، فحكمه إلى الله<sup>(٣)</sup> ) ذلكم الله ربى عليه توكلت ، وإليه أنيب . فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً<sup>(٤)</sup> ومن الأنعام أزواجاً ، يذروكم فيه ، ليس كمثل شيء<sup>(٥)</sup> وهو السميع البصير<sup>(٦)</sup> .

( قل : هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد<sup>(٧)</sup> ) .

---

(١) وتزعم الصوفية أن ربها هو ذلك الخلق المتطور في ظلمات ثلاث « العماء ، الأحدية ، الواحدية » .

(٢) وتزعم الجبلى أن له الملك في الدارين وتزعم معه كذلك الأجبار !!

(٣) وتقول الصوفية بل حكمه إلى كتب ابن عربي أو الغزالي أو ابن الفارض ، ويقول غيرهم بل : إلى كتب المذاهب الأربعة .

(٤) وتزعم الصوفية أن الله هو الذى جعل نفسه أزواجاً ، فبدا حقاً في صورة خلق ، أو إلهاً في صورة عبد !!

(٥) وتقول الصوفية كما ذكرتك : بل هو عين كل شيء .

(٦) وتقول الصوفية على لسان ابن عربي والغزالي وغيرهما : بل هو عين كل سميع ، وعين كل بصير .

(٧) وتقول الصوفية : بل كل شيء هو له كفواً إذ كل شيء في الوجود هو الذات الإلهية .

فأين أين من هذا التوحيد المشرق بالحق الأعظم . تلك الأساطير الجوسية التي ينعتق بها ابن عربي ، وينعب ابن الفارض ، وينبح الجيلي ، وتعوى الصوفية ؟ ! .

واهاً لشيخ الصوفية الكبير ، أيغَار على الصوفية من مسلم يدعوهم إلى الإنابة إلى الله ، ولا يغار على المسامين مما تجنيه الصوفية عليهم ، حتى لتكاد تزهِقُ ما بقي فيهم من أَرْماقٍ شاحبة واهنة ؟ ! .

أيغار على تلك الأساطير ، فيشكو إلى النيابة مساماً ، يحذر المسلمين من التردّي فيها ؛ ثم لا يغار على الإسلام تكيد له كهنه الصوفية ، وتآلو - وعلى نابها الأرزق تتلمّظُ الجرائم - أنها مِثَالِيَّةُ الطهر والحب ومعين الروحانية في الإسلام ؟ ! .

### جُبن النفاق

واقعد ناقشت أحد أتباعكم « الغلابة » ، فاعترف بالفصوص ، وأنها حق جليل ، وبالطبقات ، وأنها سِجِلُّ كرامات مقدسة ، فحُتت بالمسكين صوب المذباغ وكنت أحاضر في مكان كريم ، يصخب عليه « الدررايش » في عيد وثني يحتفل فيه الصوفية بمولد الوثن الزينبي - وبرأ الله زينب رضى الله عنها من بهتان الصوفية - ورجوت الدررايش الثائر أن يتلو على الحشود من كرامات الصوفية المسجلة في طبقات الشعراني ، فما إن قرأ كرامة سيده « على وحيش » ، ورأى الجريمة الباغية ، حتى ضرب الأرض بالكتاب صارخاً مُرتاعاً : هذا مدسوس <sup>(١)</sup> ! .

(١) يقص الشعراني في طبقاته كرامات سيده على وحيش معقبا على ذكر كل كرامة بقوله : رضى الله عنه : « كان الشيخ رضى الله عنه يقيم عندنا في خان بنات الخطا !! وكان كل من خرج « أى بعد اقرار الجريمة الباغية » يقول له : قف ، حتى أشفع فيك ، قبل أن تخرج ، فيشفع فيه !! وكان إذا رأى شيخ بلد ، أو غيره ، ينزله من على الحمار ، ويقول له : أمسك لى رأسها حتى أفعل فيها ، فإن أبى شيخ البلد تسمر في الأرض لا يستطيع يمشى خطوة ، وإن سمح حصل له خجل عظيم والناس يمرون =

فقلت للمسكين المفجوع في معبوده ! : حنانيك ، وهل يمكن أن يكفر الصوفية بهذا الكتاب؟! ، أو يعترفون بأنه مدسوس؟! فأجاب الدرويش - والحدق في عينيه جمرات تنوهج ، وفي بدنه رعدة غصبي - : إن من يدين بهذا ، فهو كافر ! ومن لا يعترف ، بأنه مدسوس ، فهو كافر ! ثم فر مذعور الراء ! وهكذا ياسماحة الشيخ ، كلما خشى صوفي افتضاح معبود له ، قال : مدسوس ! حتى إذا خلا إلى شيطانه ، قال : ينفذ الشيخ ما اطلع عليه من قدر الله الغيب ! فعمله طاعة ، لامعصية ! .

وليس هذا شأن الصغار منكم ، بل هو أيضاً شأن أجباركم الكبار . فقد زعم لي مثل ذلك الزعم شيخ التيجانية في مصر حين صدمته بهتان ابن عربي أمام دراويشه ، وأمام أناس يحرص على أن يوقروه ، ويعظموه ! .

ولقد قلت لذلك الصوفي الصغير ، كما قلته من بعد لشيخه الكبير : سل الصوفية ، وشيخهم الأكبر ، أن يكفروا بتلك الكتب ، فإن فعلوا . كان الخير الذي تظماً النفس إلى معينه ، وكفى الله المؤمنين القتال ! .

فهل تستطيع ياسماحة الشيخ أن تصنع باسم الله شيئاً ، كهذا ؟ أيمن أن تصدر بياناً تعترف فيه بالحق غير هيب ، ولا وجل ، فتقول - مثلاً - فيه : « لما في الفصوص والطبقات و ، ... و ... من مخالفة صريحة لدين الحق ، فإننا نأمر أتباعنا ، أن يكفروا بتلك الكتب ! » .

أم يمكن - مثلاً آخر - أن تقول : « إن كتاب الفصوص ، أو الطبقات ، أو ... أو ... مدسوس على من نسب إليه ، لأن فيه ، وفيما هو مثله كفراً ! » ؟ ليتك ياسماحة الشيخ تقدمها إلى الله صالحة ! .

---

== عليه « ص ١٣٥ ج ٢ الطبقات ط صبيح . جريمة فسق منكورة تروى بألفاظ فاسقة وأسلوب فاسق . وإذا أبو صاحب الدابة إلا صيانة عرضها من وحيش عطبه وحيش !! ومع هذا يقول الشعراني عن وحيش : « رضى الله عنه » !!

ترى أى رمز فى قول ابن عربى : «العارف من يرى الله فى كل شىء ، بل يراه عين كل شىء»؟! إن ابن عربى خشى أن يتوهم أتباعه حتى «الظرفية» المجازية فى كلمة «فى» أو الحلووية الحلاجية ، وفيها تضامياً تناقض الوحدة ، خشى ابن عربى ذلك ، فأطاح الهم بيقينه الجازم ؛ ليؤمن الصوفية بوحدة الوجود إيماناً لاتنال منه شائبة وهم ، ليؤمنوا بأن الله هو عين كل شىء ، وأن كل شىء هو الله ! ومن الأشياء القبيح المُنْتِن ، والعرض الذبيح ، والجريمة يشخب منها الدم البريء!! أفى ذلك رمز؟ أم بيان صريح وقح الجرأة ، سفية الزندقة؟!

إن الحق بَيِّنٌ بإسماحة الشيخ ، فاهتف به لله ، وانصره لله ، وإلا فالجزاء شديد بين يدي الله (٢ : ١٦٦) إذ تَبَرَّأ الذين اتَّبَعُوا من الذين اتَّبَعُوا ، ورأوا العذاب ، وتَقَطَّعتْ بهم الأسباب )

## الفصل الثالث

### دين الصوفية فى الرسول

«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ، ووالده ، والناس أجمعين»<sup>(١)</sup> هذا قول سيد الخلق ، خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم . ولقد بلوت مما ذكرتك به دين الصوفية ، فهل لحت فيه حتى لمحمة حبرى من حق حائر ، أو نفعة ولئى من خير شرود؟! هل لحت منه بارقة خافية من حب لله ، أو لرسوله صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup> ؟ يقيئك ، ويقين كل من يتلى الصوفية يجزم

(١) البخارى وأحمد وابن ماجه عن أنس .

(٢) ما أروع تلك الكلمة التى قهر بها الحق حمدونا القصار الصوفى ، فدمغ بها الصوفية حين سئل : ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا ؟ فقال : «لأنهم تكلموا =



بأنها ترفع فوق الكتاب المنزَّل آيةً خرافة يهرف بها درويش مأفون تمرور .

### أطوار الوجود الصوفية

تدين الصوفية بأن الوجود الإلهي له أطوار ، أو مراتب ، أو تنزُّلات ، أو تعيِّنات أو نسب ، أو إضافات ، فكلها ذات مدلول خرافي واحد !!

وأولى تلك المراتب «العماء» والوجود الإلهي في هذا الطور لا يوصف بوصف ، ولا يُسمَّى باسم ، ولا يُعرَّف بِمَحْدٍ ولا برسم . أو كما يقول الكمشخاني : « اعلم أن حقيقة الذات الإلهية من حيث هي ، امتدادها - أعني مدة بقائها - غير مضبوط لأنها من حيث هي كذلك لا وصف لها ، ولا رسم ، فهي العماء ، إذ لا يمكن

معرفة بوجه من الوجوه ، ما لم تتعَيَّن بصفة . وأول هذه التعيِّنات علمها بذاتها ، فهذه الصفة تُنَزَّلُ لها من الحضرة الإلهية الذاتية التي لانعت لها إلى الحضرة الواحدية التي هي حضرة الأسماء والصفات ، وتُسَمَّى : الحضرة الإلهية<sup>(١)</sup> » نقلت لك النص بتمامه ، ليستيقن قلبك بأننا ننصف الصوفية ، فلا نسمِّهم إلا بما يحبون أن يُعرَّفوا به . وقد يسمى الرب الصوفي في تلك المرتبة بالوجود المُطْلَق ، بيد أن النايلسي في غلُو التجريد الذي ينتهي به إلى العدم المطلق ، ينزه الوجود في تلك المرتبة حتى عن الإطلاق ، لأن وَصْفَهُ بالمطلق قيْدٌ ، أو صفة له ، فيستلزم أن يكون المطلق مقيدا ، والمقيْد مطلقاً<sup>(٢)</sup> ، فيتوتر التناقض بين وصفه ، ويستلزم أن تكون له صفة ، وهو مجرد كل التجريد في ذلك الطور عن الاسم والصفة !!

ولقد أراد هذا «العماء» أو الوجود المطلق أن يتعيَّن في صورة ؛ ليُعرَّف

---

== لعز الإسلام . ونجاة النفوس ، ورضا الرحمن ، ونحن نتكلم لعز النفس ، وطلب الدنيا وقبول الخلق » هذا قول زعيم صوفي في القرن الثالث الهجري فما بالك بما بعده ؟ انظر ص ١٢٥ طبقات الصوفية للسلي

(١) ص ٩٣ جامع الأصول للكمشخاني .

(٢) رغم هذا ، فهو واقع في التناقض ، لأن الوصف بالسلب ، أي عدم

الإطلاق ، قيد أيضاً للوجود ، كالوصف بالإيجاب !!

وليعرف نفسه<sup>(١)</sup>!! فتعَيَّنَ في صورة « الحقيقة المحمدية » ، فكانت هي التعيَّنَ الأول للذات الإلهية ، أو الفتقَ بعد الرتقِ ، أو مِعْبَرَ الوجود من الإطلاق إلى التقييد ، أو من العماء إلى الأحدية ثم الواحدية !!

### الحقيقة المحمدية

يعرفها الصوفية بقولهم : « هي الذاتُ مع التعيَّن الأول ، ولها الأسماء الحسنى وهي اسم الله الأعظم »<sup>(٢)</sup> فمحمد الصوفية ليس بشراً ، ولا رسولا ، وإنما هو الذات الإلهية في أسمى مراتبها !!

ويقول الدمرداشي : « حقيقة الحقائق هي المرتبة الإنسانية الكمالية الإلهية الجامعة لسائر المراتب كلها ، وهي المسماة بحضرة الجمع ، وواحدية الجمع ، وبها تتم الدائرة ، وهي أول مرتبة تعيَّنت في غيب الذات ، وهي الحقيقة المحمدية<sup>(٣)</sup> »  
ويقول الكشخاني : « صُورُ الحق هو محمد ؛ لتحققه بالحقيقة الأحدية

والواحدية<sup>(٤)</sup> » ، فمحمد عندهم هو الاسم الأعظم ، فما الاسم الأعظم ؟ إنه « الجامع لجميع الأسماء ، أو هو اسم الذات الإلهية من حيث هي أي المطلقة<sup>(٥)</sup> » !!  
ومحمد هو الأحدية ! فما هي ؟ إنها « مجلى الذات الإلهية ، ليس للأسماء ، ولا للصفات ، ولا لشيء من مؤثراتها فيه ظهور ، فهي اسم لِصَرافَةِ الذات

(١) هذه علة وضع الحديث الصوفي « كنت كنزاً مخفياً ، فأردت أن أعرف ، خلقت الخلق ، في عرفوني » ويفسر الصوفية « في » بكلمة « محمد » لأنها تساويها في العدد في حساب الجمل !!

(٢) انظر تحت المادة جامع الأصول في الأولياء للكشخاني والتعريفات للجرجاني

(٣) ص ٧ رساله في معرفة الحقائق لمحمد الدمرداشي .

(٤) ص ١٠٧ جامع الأصول للكشخاني

(٥) ص ٩٢ المصدر السابق .

المُجَرَّدَة عن الاعتبار الحَقِيقِيَّةِ (١) وَالْخُلُقِيَّةِ (٢) .

ومحمد هو الواحدية ، فما هي عندهم ؟ إنها « عبارة عن تجلّي ظهور الذات فيها صفة ، والصفة فيها ذات (٣) » والفرق بين الأحدية والواحدية : « أن الأحدية لا يظهر فيها شيء من الأسماء والصفات ، أما الواحدية فتظهر فيها الأسماء والصفات (٤) » وبهذا يتجلى لك أن الصوفية تعتقد في محمد أنه هو الله سبحانه ذاتاً وصفة ، وأنه هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، وأنه هو الوجود المطلق ، والوجود المقيد ، أنه كان ولا شيء قبله ، أو معه ، ثم تعيّن في صور مادية سُمّي في واحدة منها بجماد ، وفي أخرى بحيوان ، وهكذا حتى اندرج تحت اسمه كل مسمّى ، وصدقت ماهيئته على كل ماهيّة !

### من هدى الله

ذاك هو محمد الصوفية ، أما محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ، فقد جلا لنا ربّه وخالفه ، ومن اصطفاه رحمة للعالمين . جلا لنا حقيقته في قوله الحكيم ( ١٨ : ١١٠ )  
قل : إنما أنا بشر مثلكم بُوحي إلىَّ أنمّا إليكم إله واحد .  
ترى هل يصدق على كل بشرى أنه هو ذات الله ، واسمه الأعظم ؟ إن الدين الصوفي يستلزم هذه الزندقة ، بل يستلزم إطلاق تلك الصفات والأسماء على فرعون وأبي جهل - وغيرها من طواغيت الكفر - فيصف كلاً منهم بأنه : هو الوجود الإلهي في تعينه الأول ؛ إذ كلهم بشر ! .

ونحن نؤمن - كما هدى القرآن والسنة - بأن أول خلق الله هو القلم أو العرش فمتى خلقت أسطورة الحقيقة المحمدية الصوفية ؟ ! ونعلم بالتواتر القطعي أن عبد الله

(١) أى لا توصف بأنها حق ، أو خلق في تلك المرتبة .

(٢) عن جامع الأصول تحت مادتي الأحدية والواحدية وعن الإنسان

الكامل للجلي ج ١ ص ٣٠

ابن عبد المطلب تزوج بآمنة بنت وهب ، وأنهما أنجبا طفلاً سمي محمداً ، وأنه نشأ  
نشأة الخير والطهر والشرف والكرامة ، ورضي الطفولة ، نقى الصبا ، ظهور  
الشباب . فلم يشب نقاء صباه ربيّةً ، ولم تهف بقدر شبابه نزعاً هوى ،  
ولا نزعاً صبوةً ، فكانت دنياه كلها معبداً يطيب أصائله وعشاياه وأسحاره  
بذكر الله وحده .

ونعلم أنه جدّ في الحياة راعي غنم ، ثم تاجراً ، فكان في حاله المثل الأعلى  
في الجِدِّ القوي الصالح ، والأمانة التي تعتصم بالتقوى ، والحكمة الحكيمة في كل  
مايُصَرَّف به شئون دنياه ، والرعاية التي تقدس الحق والواجب لكل ما حُلَّ من  
أمانة ، وأنه كان في كل أطوار حياته الكامل في الأدب والخلق ، وحكمة العقل  
وسمو العاطفة ، ونباعة الفكر ، وقوة الإرادة ومضاء العزيمة ، وجلال الشرف ،  
وعزة الكرامة ، ونبيل المروءة ، وكرم الإيثار والنجدة ، وسماحة النفس ، فلم يغمر  
قلبه إلا حب الله ، ولم تنزع به الإرادة إلا إلى الخير ، ولا العاطفة إلا إلى السمو ،  
ولا الفكر إلا فيما ينال به رضا الله . جواداً مسماً خافاً في سخائه وبرّه ، محسناً  
كل الإحسان في كل ما أنعم الله به عليه ، فلم يفضب إلا للحق ، ولم يجبن  
إلا عن الذنب ، ولم يطمع إلا فيما هو عند الله ، ثم اصطفاه ربه خاتماً للنبيين ،  
لجاهد في الله حق جهاده ، وبلغ كل ما نُزِّل إليه من ربه ، وشهد الله له بذلك ،  
ثم قبضه الله إليه بعد أن صارت كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ،  
فصلوات الله وسلامه عليه .

هذا قبس نستهدى به من حياة محمد صلى الله عليه وسلم ، فقل لي عن الحقيقة  
الحمدية ، تلك الأسطورة الصوفية الموغلة في تيه القدم والعدم : من أبوها ؟ من  
أمها ؟ ومِمَّ خلقت ؟ ولِمَنْ أُرْسِلت ؟ .

### شأن محمد

وتزعم الصوفية أن شأن محمد هو شأن الله !! اسمع إلى صوفي يقول : « شأن

محمد في جميع تصرفاته شأن الله ، فما في الوجود إلا محمد » ويقول : « لا يُدْرَى  
لحقيقته غاية ، ولا يُعْلَمُ لها نهاية ، فهو من الغيب الذي تؤمن به » ويقول : « ولما  
كانت بشريته صلى الله عليه وسلم نوراً محضاً ، كانت فضلاته مقدسة طاهرة ،  
ولم يكن لجسمه الشريف ظل كالأجسام الكثيفة ، وهذا النور الحمدي ، هو  
الْمَعْنِيُّ بروح الله المنفوخ في آدم ، فروح الله نور محمد (١) »

### المهاجر من مكة

يقول ابن عربي : « اللهم أفضِ صِلَةَ صلواتك وسلامه تسليماتك على أول  
التَّعْيِينَاتِ المفاضة من العماء الربَّاني (٢) ، وآخر التَّنَزُّلاتِ المضافة إلى النوع  
الإنساني ، المهاجر من مكة - كان الله (٣) ، ولم يكن معه شيء ثانٍ - إلى المدينة ، وهو  
الآن على ما عليه كان ، تُحْصِي عوالم الحضرات الخمس (٤) في وجوده ، سرُّ الهُويَّةِ في  
كل شيء سارية ، الجامع بين العبودية والربوبية الشامل للإمكانية والوجودية (٥) »  
أرأيت إلى قطب الصوفية الأكبر في غمِّي إلحاده الأكبر ، يفترى أن محمداً هو

- (١) هذه النصوص عن كتاب النفحات الأقدسية للبيطار ص ٩ ، ١١ ، ١٣
- (٢) العماء عند الصوفية « هو الحضرة الأحدية ، وهذه تعين بالتعين الأول  
لأنها محل الكثرة وظهور الحقائق والنسب الأسمائية » جامع الأصول مادة العين .
- (٣) نصب لفظ الجلالة باعتباره خيراً لكان ، فيكون معنى الجملة « المهاجر من  
مكة كان هو الله » .

(٤) يجعلها القاشاني ثلاثاً فقط « الفردية وهي حالة وجود الذات الإلهية في عين  
الجمع حيث كانت ، ولم يكن معها شيء ثان ، الثانية حضرة الوترية وهي حال بقائها  
بعد فناء كل شيء في مقام الجمع ، الثالثة حضرة المعية وهي حالة وجودها مع كل شيء  
في عالم التفرقة ، والأولى ماوردت الصفات منها ، والثانية ماصدرت إليها ، والثالثة  
ماوردت إليها ثم صدرت عنها » كشف الوجوه الغر ص ١٣٣

(٥) ص ٢ مجموعة الأحزاب ط استامبول سنة ١٢٩٨ هـ

الله ، وتأمل دهاء مكره ، فيما يعبر به عن كفره ، في قوله : « المهاجر من مكة كان الله ولم يكن معه شيء ثمان إلى المدينة » إنك حين تقرأ تلك الجملة دون تدبر ستظن أن فيها خللا ، وأن جملة « كان الله ، ولم يكن معه شيء ثمان » لا صلة لها بما قبلها ، ولا بما بعدها ، وأعترف أني خُدعت ، فظننت أن هذه الجملة مقحمة ، وحررت في إدراك هدف ابن عربي من وضع تلك الجملة التي تبين عن حق كريم بين باطل عربييد وآخر لثيم ! بيد أني عدت إلى النص أتلوه ، وفي فكري دين ابن عربي ، وثممت بدالي هدفه في وضوح وجلاء ، وتبين لي أن الجملة ليست مقحمة ، وإنما هي لحمه دينه وسداه ، فلنعد إلى الجملة نرتبها كما تحتم قواعد اللغة الصحيحة « المهاجر من مكة إلى المدينة كان الله ، ولم يكن معه شيء ثمان » مازدنا شيئا على قوله ، ولا نقصنا منه ، وكل ما فعلناه هو وضع قوله : « إلى المدينة » موضعه ، بعد أن نأى به ابن عربي عنه ؛ ليمكر به ، ويلتوى على القراء فهمه ! بهذا يبدو لك جليا أن ابن عربي يفترى أن المهاجر من مكة إلى المدينة لم يكن هو محمداً رسول الله ، وإنما كان هو الله متجليا في صورة اسمه فيها «محمد» ولاريب في أنك تعرف أن صاحب الرسول في الهجرة كان أبا بكر غير أن ابن عربي يقول : « ولم يكن معه شيء ثمان » يعني أن أبا بكر هو الآخر لم يكن إلا الله متعينا في صورة اسمه فيها : « أبو بكر » ! .

ومات محمد صلى الله عليه وسلم ، ومات من بعده أبو بكر ! فأئى إله هذا الذي يتجرع غصة الموت مرتين ؟ بل ما ذلك الإله الذي يموت ويحيا في كل لحظة آلاف المرات ؟ ! .

لقد دانت الصوفية بأن الرب الأكبر هو عين خلقه ! وفي كل لحظة يعبر بها الوجود تنفي حياة ، وتنبتق حياة ، فيالصوفية ! يعبدون رباً يموت آلاف المرات ، ويولد آلاف المرات في آن واحد ! .

ومحمد الصوفية له مظهران ، أو اعتباران ، فهو عبد أو خلق باعتبار ظاهره ،

وهو رب أو حَقِّ باعتبار باطنه ، ولهذا يصفه ابن عربي - باعتبار ظاهره - بأن له العبودية ويصفه - باعتبار باطنه - بأنه له الربوبية ! . يصفه بأن له الإمكانية باعتبار ناسوته ، وبأن له الوجودية ، باعتبار لاهوته ! .  
والنابلسي في شرحه لصلاة ابن بشيش يقول : « ما صلى على محمد إلا محمد ، لأن صلاة العبيد عليه ، صدرت منهم بأمره من صورة اسمه <sup>(١)</sup> » .

### كِرَّةٌ مِنَ الْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ — اطل

أما محمد خاتم النبيين ، صلى الله عليه وسلم ، فيهدينا الله إلى حقيقته بقوله :  
( ٣ : ١٤٤ ) وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أَفَإِنْ مَاتَ ، أَوْ قُتِلَ انقلبتم على أعقابكم ؟ ) . في قوله سبحانه « قد خلت من قبله الرسل » حجة من الحق ترهق الباطل الصوفي كله .

وأما اعتقاد المسلمين في نبيهم الحق ، فهو أنه صلى الله عليه وسلم « بشر مثلنا يوحى إليه » فالقرآن - وهو كلام الله وهداه ورحمته - يفرض عليهم الإيمان بذلك ، فلا مناص من الإخبات له بالقلب والفكر والشعور ، ويزيدنا القرآن هدى ؛ إذ يقرر أن بشرية الرسول الأعظم مثل بشريتنا ، في أسلوب من القول مشرق الإعجاز في بلاغة البيان وفصاحته ، في أسلوب يفرض على الفكر الإيمان بمعناه البين دون أن يشتهه معناه الحق حتى على الأمل الجاهل ، وذلك في قوله ( ١٨ : ١١٠ ) قل : إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما ألهمكم الله واحد )  
كلام هو الحق والحكمة والهدى في أسلوب جليّ جليّ محكم محكم ، لا يأذن حتى لخاطرة واهية من ظن أن تقتحم عليك قدس يقينك ، أو أن تحوم خفية حوله أو تفسد عليك شيئاً ما من فهمك لمعنى الآية . ومن تدبر « بشر مثلكم » لرأى أشعة الهدى الإلهي الأعظم تغمر حوله الوجود كله ، وتهديك إلى الحق الذي

يحب أن تؤمن به . ألا تراها تجعل بشر يتناهي القياس الذي به نقيس بشرية رسول الله الكريم ، حتى لا يفتننا حب هذه البشرية الطهور ، فنظنها خلقاً آخر ، أو نوعاً من البشرية يفايز في حقيقته بشرتنا ، فلا ندرك كنهها ، ولا شيئاً من خصائصها ؛ لأنهم لم يتحقق إلا في فرد واحد ؟ لقد كان يكفي في الدلالة على المعنى أن يقال : « قل : أنا بشر » أو « أتم بشر مثلي » ولكنه سبحانه - وهو الحكيم العليم الخبير - شاء أن يعرفنا بشرية محمد صلى الله عليه وسلم بما نعرفه نحن من خصائص هذه البشرية التي فطرنا عليها ، وبما نبتليه من قيمها ومقوماتها ، وبما نعالج من غرائزها وعواطفها <sup>(١)</sup> ، وبما نعلمه - عن الله - من حقيقة بدنها . وغاية منتهاها ، وبما تتجاوب به مع رؤاد الوجود من حب أو كراهية . ولذا ظم صلى الله عليه وسلم ، وشرب ، وتزوج ، ونجّل خير البنين . وذاق الشبع والجوع والمرض ، ومست قلبه الأحران ، وذرفت عيناه الدموع ، وجاشت نفسه برحة البكاء ، وغير ذلك مما قضاه الله على البشرية من أقدار في هذه الحياة ، ثم جاءه صلى الله عليه وسلم ملك الموت الذي وُكِّل بنا .

غير أن بشرية صلى الله عليه وسلم آمنت حق الإيمان بما هداها الله إليه ، وأنعم عليها به ، فأدت حق الله كاملاً من الحق والشكر ، وحلقت فوق قمة السموات الإنسانية الأعظم ، فكانت وحدها هي النجم الأرفع الأسمى ، وتألقت بعنوديتها الخالصة فوق أعلى أفق للتوحيد الخالص ، فمازلت بها عاطفة الإنم ، ولا هفت بها غريزة إلى ذنب ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم اتخذ الله وحده رباً له ، وجعل رضاه غايته والدعوة إليه هدف كفاحه وجهاده . والغاية العظمى لدنياه ، والفلك الأعظم الذي تدور فيه حياته .

ثم تدبر ما حكّم الله به على المشركين الذين قالوا : ( ٢٥ : ٧ ما لهذا الرسول

---

(١) غرائز البشرية الصالحة وعواطفها نفس غرائز البشرية الطالحة وعواطفها في الفطرة والفرق أن صاحب الأولى وجهها وجه الخير ، ووجهها الآخر وجهة الشر



يَا كُلَّ الطَّعَامِ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ) إنه جل شأنه حكم عليهم بأنهم ضلوا فلا يستطيعون سبيلا! لتعلم أن هذا الذي استنكره المشركون ليس إلا قدر الله العدل الحكيم الذي قضاه على البشرية، وقسطاً من أقساطها في الوجود. وأنه لا يمس مقام النبوة بأثارة من ضِعْمَةٍ، إذ النبي - قبل كل شيء - بشر، والبشر يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق! .

وتدبر ما وصف الله به رسوله جميعاً (٢١ : ٩ وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين) (٢٥ : ٢٠ وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق) تدبر هذه الآيات؛ لترد بها فرية الوثنية التي تزعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم نجم الحياة الأبدية الخالدة في الدنيا، وأن فضلاته كانت مقدسة طاهرة وإشعاعاً من أضواء الربانِيَّةِ! .

لماذا - إذن - كان يتوضأ صلى الله عليه وسلم، ويتيمم، ويغتسل؟ .

وتدبر خطاب الله لنبيه (٣٩ : ٣٠، ٣١ إنك ميت، وإنيهم ميتون) ذكِّرْ موتنا عقب ذكر موته؛ لنهتدى إلى أن الموت الذي قُضِيَ علينا هو عين الموت الذي قُضِيَ على نبيه صلى الله عليه وسلم! ورغم هذا - على ما فيه من وَضَحٍ وجلاء - وجد من يزعم أن موت محمد معناه الحياة السرمدية، وُجِدَ من يضع للفظ نقيض معناه، أو يضع للفظ إسفاف الشهوة من هواه! .

يقول الصوفية: «إنه صلى الله عليه وسلم يحضر كل مجاس، أو مكان أراد بجسده وروحه، وأنه يتصرف، ويسير حيث شاء في أقطار الأرض وفي الملكوت،

وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته، لم يتبدل منه شيء»<sup>(١)</sup> .

وتدبر تلك الآيات التي يعاتب الله فيها سبحانه نبيه: (١٧ : ٧٣، ٧٤، ٧٥ وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك؛ لتفتري علينا غيره، وإذا

(١) من ٢١٩ ج ١ كتاب رماح حزب الرحيم لعمر بن سعيد الفوقى ط ١٣٤٥

لَاتَّخَذُوا خَلِيلًا ، ولولا أن تَبَتَّتَكَ ، لقد كِدْتَ تَرُكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ، إِذَا  
لَأَذْفَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ، ثم لا تجدلك علينا نصيراً ) .

وَعِيدٌ جَلِيلٌ السُّكْرِيَاءِ ، أَحَدِيُّ الْقَهْرِ وَالْجَبْرُوتِ ، أَفْتَدِرْكُ مِنْهُ وَعِيدَ رَبِّ  
لِمُثْلِهِ ، أَوْ لِنَفْسِهِ ، أَمْ وَعِيدٌ قَادِرٌ قَهَارٌ مَتَعَالٍ لَهُ مَلَائِكَةُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ  
لَأَشْرَفَ عِبَادِهِ ، وَخَاتَمَ رِسَالِهِ ؟ ! أَفَلَوْ كَانَ مُحَمَّدٌ رَبًّا يُشْرِكُ اللَّهَ فِي رَبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ  
- كَرَعَمِ الصُّوفِيَّةِ - أَكَانَ يَبْتَلِيهِ اللَّهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ الْوَعِيدِ الَّذِي يَغْمُرُ النَّفْسَ خَشِيئَةً  
وَرَهْبَةً ، وَيَقَهِّرُ عِبُودِيَّتَهَا قَهْرَ الرِّضَى وَالْحُبِّ عَلَى أَنْ تُنْحِتَ لِلَّهِ وَحْدَهُ ، وَعَلَى الْأَلَّ  
تَتَعَدَى حُدُودَهُ قَيْدَ لِحِظَةٍ ، أَوْ خَاطِرَةٍ ؟ ! .

وهل أشد على نفس المؤمن من أن يتوعدده الله بفقدان النصير ، وببعض  
يتجرعه ضعف الحياة ، وضعف الممات ؟ ! .

أفنى قضايا العقل - ودينكم يؤمن برؤية محمد - أن يتوعدَّ الربُّ نفسه ،  
ويُنذِرُهَا بِعَذَابِ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ تَصْلَاةً لضعفين ، وبالوحدة الصَّامَّةِ تَقْتُلُ فِي النَّفْسِ  
الشُّعُورَ بِالْحَيَاةِ ؟ ! .

### أشرف صفات الرسول في أشرف مقاماته

والله سبحانه يصف رسوله بأشرف الصفات - وهي العبودية - في أشرف  
مقاماته ، وأخْلَدَهَا ذِكْرًا ، وَأَجْلَاهَا أَثْرًا وَغَايَةَ ( ١٧ : ١ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ  
لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ) يَصِفُهُ رَبُّهُ بِالْعِبُودِيَّةِ الصَّرْفَةِ الْخَالِصَةِ  
وَحْدَهَا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ الَّتِي اسْتَشْرَفَ فِيهَا قِمَّةَ الشُّمُوسِ الْأَعْظَمِ ، وَتَأَلَّقَتْ أَعْجَادُهُ  
الْخَوْلَادِ الذِّكْرِيَّاتِ . آه لَوْ قِيلَ : « أَسْرَى بِمُحَمَّدٍ » لِحَسْبِ ، إِذَنْ لِرَاحِ الصُّوفِيَّةِ  
يُشِيرُونَ مَا يَفْتَنُونَ بِهِ مِنْ شَبَهَاتٍ لَا تَجْدُ مِنَ الْكَلِمَةِ النَّوْرَ الْقَوِيَّ الَّذِي يَبْدِدُهَا ،  
إِذَنْ لَأَلَاؤُوا أَنَّ مُحَمَّدًا لَيْسَ بِبَشَرًا ، وَلَا عَبْدًا ، وَإِنَّمَا كَانَ رُوحًا إِلَهِيًّا سُخِّرَتْ  
لِقُدْرَتِهِ الْآفَاقَ ، وَعَبَّدَتْ قَهْرَهُ مُتَمَوِّنَاتُ النَّضَاءِ ، فَجَاءَتْ كَلِمَةُ « عَبْدُهُ » فِي الْآيَةِ حِجَّةً

الحقّ المتلألئة التي تبديد الظنون ، وتبديد كل شبهة تختلس الفتنة للعقول بأوهامها .  
جاءت برهاناً رَبَّانِيًّا - لا ينقض أبداً - على أن محمداً صلى الله عليه وسلم ،  
ما كان إلا بشراً يُوحى إليه ، حتى في تلك الليلة التي وقف فيها ذون عرش ربه  
الأعظم ، يقبس من نور الله وهداه ، فما بالك به في كل أصائل عمره وعشاياه ؟ ! .  
ويصفه سبحانه بالعبودية في مقام الدعوة إليه ( ٧٢ : ١٨ ) وأنه لما قام عبد الله  
يدعوه ، كادوا يكونون عليه أبداً ) وتدبر إضافة « عبد » إلى « الله » ليغمر  
يقين الحق قلبك ، فلا يشتبه عليك الفرق الجليل العظيم الكبير بين عبودية محمد  
وربوية ربه وألوهيته ، ولا تفتنك مجوسية الصوفية تبهت الحق بزعمها أن محمداً  
هو الله !!

ويصفه سبحانه بالعبودية في مقام هو الفَيصَل الحق الأكبر بين كون محمد  
دعياً ، وكونه نبياً ، ذلك هو مقام التحدى بالمعجزة العظمى ، معجزة القرآن  
( ٢٣ : ٢ ) وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا ، فأتوا بسورة من مثله .

والرسول نفسه يضع لنا على الطريق صَوِّى ومَنارات ؛ حتى لا نحيد عنه ،  
فنهلك ، ويرشدنا إلى الحق ؛ حتى لا تزيف بنا غلواء الشاعرية في الحب ، فيقول  
صلى الله عليه وسلم : « لا تطروني ، كما أطرت النصارى المسيح بن مريم ، إنما أنا  
عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله » ويدوِّى صوته الأخاذ الرائع بصيحة الحق ،  
يعظ بها ذلك الصحابي الذي جرفه غلواء الحب ، فقال لبيه : « أنت سيدنا ! »  
فصاح به ؛ ليصمت ، ثم أرسلها تعبر الأجيال والأحقاب والدهور عظة شافية  
هادية « إنما السيد الله تبارك وتعالى <sup>(١)</sup> » فما إن تهاست تحت قبة الفلك  
الأصداء الراحشة الخافتة الواهنة المدعورة من قولة الصحابي ، حتى تجاوب الوجود  
كله بِدَوِّى الصيحة الهادية من الرسول ، تحول بين الأخرى وبين أن تطمئن

(١) عن حديث رواه النسائي بسند جيد .

في سمع ، أو تهز وترأ من قلب ، وما زالت قلوب المؤمنين تتجاوب بعظة محمد العظيم في حب وإجلال . فصلى الله عليه وسلم .

وفي الصلاة - وهي شعيرة الحب العابد - علمنا الرسول عن أمر ربه أن نشهد أن محمداً عبد الله ورسوله ، ولسكن الصوفية تأبي إلا أن تدين بأن ذلك الحق باطل وخطيئة ، فتكذب الله ورسوله ، وتقول : لا بل محمد هو الرب الأعظم !

وفي حديث الشفاعة يقص علينا الرسول صلى الله عليه وسلم أن عيسى عليه السلام - وقد ناشده الخلق أن يستأذن ربه في أن يشفع لهم عيسى عنده - يقول : « اذهبوا إلى محمد عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » ولسكن الصوفية تأبي إلا اتهام عيسى بالحق على محمد ، وجحود فضله ، فتقول : لا ، بل هو رب نعبده ، ونضرع إليه أن يهب لنا ما يملكه الله وحده ، فيهتف الصوفية حتى يصكوا سمع الصخر - إن كان له سمع - : « الشفاعة يا محمد !

تدبر ما ذكرتك به من آيات الله ؛ لتؤمن أن محمداً صلى الله عليه وسلم ، لم يبلغ ما بلغ من عظمة وكمال وسمو إلا بإخلاص الدين لله وحده ، وأنه كان بشراً يوحى إليه ، لا الله ، ولا شريكه كما تفتري الصوفية !

### آراء المستشرقين<sup>(١)</sup>

ومما يلوع النفس بالحسرة ، والقلب بالأسى أن يدرك المستشرقون - على عداوتهم للإسلام - هذا الحق ، ويظل الصوفية - ومنهم أبحار كبار يختالون أنهم أئمة الإسلام - مصرين في جحود أصم على عداوة ذلك الحق . يقول نيكلسون : « إذا بحثنا في شخصية محمد ، في ضوء ماورد عنه في القرآن من آيات ، وما أثر عنه

من الحديث في الصدر الأول ، وجدنا الفرق شاسعاً بين الصورة التي صور بها في

---

(١) لا أذكر رأي هؤلاء احتجاجاً به ، وإنما هو لبيان أن هذا الحق ، قد أدركه هؤلاء المستشرقون على عداوتهم ، ققروه . على حين يعاديه الصوفية ويكفرون به .

ذلك العهد ، وبين الصورة التي صَوَّرَ بها الصوفية أولياءهم ، أو تلك الصورة التي صور بها الشيعة إمامهم المعصوم . وظهر من المقارنة أن صورة شخصية الرسول لا تَفْضَلُ عند الموازنة صورة الولي الصوفي ، أو صورة الإمام الشيعي ، إن لم تكن دونهما ، ذلك أن الولي الصوفي والإمام المعصوم ، قد وصفا بجميع الصفات الإلهية ، بينما وصف الرسول في القرآن بأنه بشر فيه كل ما للبشر من صفات ، وأنه ينزل عليه الوحي من ربه بين آن وآخر ، ولكنه لا يتلقاه مباشرة عن الله ، بل بواسطة الملك ، وأنه لم ير الله قط ، أو يطلع على أسرارهِ ، وأنه لا يتنبأ بالغيب ، ولا يفعل المعجزات ، أو خوارق العادات ، بل هو عبد من عباد الله ورسول من رسله (١) «

ثم يتحدث الرجل عن محمد عند الصوفية ، فيقول : « فمحمد إذن ليس المصدر الذي يستمد منه جميع الأنبياء والأولياء علمهم بالله ، فحسب ، بل هو الحقيقة الإلهية السارية في الوجود بأسره ، كما أنه العلة الأولى في خلق كل ما هو مخلوق ، والعقل الكلي الذي يصل ما بين الوجود المطلق « الله » وبين عالم الطبيعة ، وليس العالم إلا صورة الحقيقة المحمدية ، كما أن الحقيقة المحمدية ليست إلا صورة الله (٢) «

ويقول جولدزيهر : « إن صورة النبي كما صورتها السنة ، قد أصابها التعديل والتحوير ، لكي تتلاءم مع تقديس الأولياء ، حتى نجم عن ذلك أن العقائد الشيعية ، وضعت صورة للنبي تتعارض تماماً مع البيانات البشرية التي صَوَّرَ بها القرآنُ والسنة مؤسس الإسلام الأول (٣) « .

ويقول هنريش بكر : « من الثابت أن الغنوص قد أثر في إيجاد هذه الصورة

(١) ص ١٥٨ في التصوف الإسلامي ترجمة الدكتور عفيفي .

(٢) ص ١٦٠ المصدر السابق .

(٣) ص ٢٣٤ العقيدة والشريعة لجولد زيهر .

التي صورتها العصور الوسطى الإسلامية المتأخرة لمحمد، وكان سبباً في إيجاد ما يشبه عبادة محمد، وهذه العبادة، وتلك الصورة مخالفتان لما كان عليه الإسلام الأول كل المخالفة، أما أولياء الله في الإسلام، ففي مقابل الأرواح القدسية في الهلينية « هم الكائنات الروحية الوسيطة بين الذات الإلهية وبين المادة عند الغنوصية » حتى أن محمداً - وهو نموذجهم الأعلى - ينتهي بأن يصبح هو العقل الموجود منذ الأزل، وأن يكون الرحيم المُخَلَّص القدير، وعن طريق هذا المذهب، انقلبت فكرة الوحي التي كانت موجودة في الإسلام الأول إلى ضدها (٢) .

ويقول فيليب حتى : « والعميقة الثانية في باب الإيمان هي أن محمداً رسول الله، وخاتم النبيين، وفي علم الإلهيات القرآني ليس محمد إلا بشراً لم يتم الله على يده من العجائب غير إعجاز القرآن، إلا أن التقاليد والأساطير التي اصطنعتها العامة، من بعد، نسجت حول هامة الرسول هالة من النور الإلهي (٣) » وهكذا يدرك يهود ومسيحيون حقائق من الإسلام يتعمى عنها أحبار الصوفية، لقد تجرد أولئك المستشرقون قليلاً من التجرد، ولكنهم فهموا كثيراً من الفهم الصائب، فوصفوا الحق ببعض صفاته، ولولا أنك على بينة من عقائدهم الأسطورية الباطلة، لظننتهم في قولهم هذا مسلمين يتهجدون في الحاريب في نور من القرآن ! .

أو يرضيك أن يصدع بذلك الحق، قوم لم تلن قلوبهم لدين الحق، وأن يسجد الصوفيون للباطل، يعبدون خرافاته، ويمجدون أساطيره، ويزعمون أنهم أئمة الدين وأعلامه !؟ .

لقد تزعمت بإسماحة الشيخ هذه الجماعة التي دَوَّخها الباطل، فهَلَّا ذَكَرْتَهُمْ

(٢) ص ١٢ التراث اليوناني ترجمة الدكتور بدوي .

(٣) ص ١٧٧ ج ١ تاريخ العرب العام لفيليب حتى .

بهدي الله ، وجاهدتهم ؛ لتحملهم عليه ، فيؤمنوا به ، وتخت له قلوبهم ؟!

### كل شيء من نور محمد

بهذا يدين الصوفية ، وفيه يتنزلون ، ولقد عبر الدباغ عن هذه الأسطورة إذ يقول : « اعلم أن أنوار المكونات كلها من عرش وفرش وسماوات وأرضين وجنات وحجب ، وما فوقها ، وما تحتها إذا جمعت كلها ، وجدت بعضاً من نور النبي ، وأن مجموع نوره ، لو وضع على العرش ، لذاب ، ولو وضع على الحجب السبعين التي فوق العرش ، لتهافتت ، ولو جمعت المخلوقات كلها ، ووضع ذلك النور العظيم عليها ، لتهافتت ، وتساقت (١) » .

ويقول تيجاني : « لما خلق النور الحمدي ، جمع في هذا النور الحمدي جميع أرواح الأنبياء والأولياء جميعاً جمعاً أحدياً ، قبل التفصيل في الوجود العيني ، وذلك في مرتبة العقل الأول (٢) » .

ويقول الحلواني في قصيدته « المستجيرة » يخاطب رسول الله .

أنشاك نوراً ساطعاً قبل الورى      فرداً لفرد ، والبرية في العدم  
ثم استمد جميع مخلوقاته      من نورك السامى ، فياعظم الكرم  
فلذا إليك الخلق تفرع كلهم      في هذه الدنيا ، وفي اليوم الأهم  
وإذا دهتهم كربة فرجتها      حتى سوى العقلاء في ذلك انتظم  
جدلى ، فإن خزائن الرحمن في      يدك اليمين، وأنت أكرم من قسم (٣)

والله تعالى يقول : ( ٢٣ : ١٢ ) ولقد خلقتنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ) ، ومحمد صلى الله عليه وسلم إنسان . وإلا فليأتوا

(١) ص ٨٤ ج ٢ الإبريز .

(٢) ص ١٤ ج الرماح للمعري بن سعيد .

(٣) ص ١٤ وما بعدها من رسالة لأحمد عبد النعم الحلواني .

له بصفة أخرى ! والرسول نفسه صلى الله عليه وسلم يقول : « خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم <sup>(١)</sup> » .

تحدث الرسول عن النور ، وعن خلق منه ، فلم يذكر عن نفسه أنه خلق من نور ، كما ذكر عن الملائكة ، وتحدث عن آدم الأب الأول للبشرية ، وعن خلقه ، وأنه خلق مما ذكر الله في القرآن ، يعني من طين لازب ، ومحمد صلى الله عليه وسلم ابن آدم ! ، فلن تنتسب الحقيقة المحمدية الصوفية ؟!

وفي كتاب الله آية واحدة تدك وحدها كل ما يرفض إليه الصوفية من نصب أقاموها لهذه الأسطورة ، تلك هي قوله سبحانه لنبيه ( : ٣ : ١٢٨ ليس لك من الأمر شيء ) وكلمة شيء أوسع كلمة في العربية دلالة على العموم والشمول ، حتى أطلقها بعضهم على الموجود والمعدوم ، بل يعم ابن عربي دلالتها ، حتى يجعلها تتناول الصور الذهنية ! وفوق هذا جاءت كلمة « شيء » نكرة في سياق النفي فزاد عمومها وشمولها .

وتدبر قوله سبحانه ( : ٤٦ : ٩ قل : ما كنت بدعاً من الرسل ، وما أدري ما يفعل بي ، ولا بكم ، إن أتبع إلا ما يوحى إليّ ، وما أنا إلا نذير مبين ) .

فهل يدين الصوفية في الرسل جميعاً بما يدينون به في محمد ، إذ ليس هو « بدعاً من الرسل » ؟!

وتدبر قوله سبحانه لنبيه ( : ٧٢ : ٢١ ، ٢٢ قل : إني لأملك لكم ضراً ، ولا رشداً ، قل : إني لن يجيرني من الله أحد ، ولن أجد من دونه ملتحداً ) .

هذا هو هدى القرآن ، فقارن بينه ، وبين ما افتترته الصوفية من إذك حول النور المحمدي الذي خلق منه كل شيء !! وممتَ توقن أنه ليس في الإمكان

(١) مسلم وأحمد في مسنده عن عائشة رضی الله عنها .



- حتى في النادر المعجز منه - إيجاد نسب ما بين ما هدى الله إليه وبه من الحق ،  
وبين ما ضل به الصوفية ، وأضلوا خلقاً كثيراً .

تدبر قول الله تبارك وتعالى في إشرافه ، والحق في جلاله والحكمة في نورها  
الإلهي ، وتأمل إنك الصوفية ، تجده قيثاً من الكفر المتقيح !!

أ كان محمد يعرف القرآن قبل نزوله ؟

مما تأفكك الصوفية أن جبريل عجب حين رأى محمداً يتلو القرآن قبل أن  
يُعلمه إياه !! فسأل جبريلُ ، فأجابه النبي : ارفع السترة حين يُلقي إليك  
الوحيُ ، ففعل جبريل ، فرأى محمداً هو الذي يوحى إليه ، فصاح مُسبِّحاً : منك ،  
وإليك يا محمد !! ؟

وما زال يهذي بهذه الأسطورة في الرحاب الفساح من الأزهر رجل لا عمل  
له سوى إثارة الحرب مؤرّثة الأحقاد على الكتاب والسنة !!

ويتناقل هذه الأسطورة صوفي عن صوفي في كل حامة وثنية ، أو حانة  
صوفية . ولم لا ؟ وقد فتحَّ بهذه الفرية أفعوان الصوفية الأكبر ابن عربي ؛ إذ يقول  
مفسراً قول الله سبحانه ( ٢٠ : ١١٤ ) ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك  
وحيه ) : « اعلم أن رسول الله أُعطي القرآن مُجَمَّلاً قبل جبريل من غير تفصيل  
الآيات والسور ، فقبل له : لا تعجل بالقرآن الذي عندك قبل جبريل ، فتلقه على  
الامة مُجَمَّلاً ، فلا يفهمه أحد عنك لعدم تفصيله (١) » .

### ردُّ هذه الفرية

وبطلان هذه الفرية بدهيٌّ يحكم به مَنْ في قلبه بارقة من إيمان ، بيد أن  
غشاوة الصوفية على بصائر مُمتنقيها حالت بينها وبين إدراك الحقيقة الإيمانية

(١) ص ٦ الكبرى الأحمر للشعراني على هامش اليواقيت والجواهر

الأولى ، وهي أن رب الوجود هو الله وحده لا شريك له ، فلم لا تحول بينها وبين إدراك بطلان تلك الفرية؟! لهذا نذكرك بهدى الله سبحانه : ( ٥٣ : ٧-٥ )  
علمه شديد القوى ، ذو مِرَّةٍ فاستوى ؛ وهو بالأفق الأعلى ) . آيات بينات تهديك إلى أن الذى علم رسول الله القرآن هو جبريل ، وإلى أنه صلى الله عليه وسلم : لم يكن على علم بشيء مامنه قبل أن ينزل جبريل به عليه .

( ٢٥ : ٣٢ ، ٣٣ . وقال الذين كفروا : لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لُنشبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً ، ولا يأتونك بمثل ، إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً ) .

ويقول ابن عربى أنه نزل عليه جملة واحدة ، فقوله قول الكافرين !! ومن قوله سبحانه ( إنا أنزلناه فى ليلة القدر ) نؤمن بأن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يعلم بآية ما من كتاب ربه إلا فى ليلة القدر ، فمتى علم الرسول القرآن مجملاً؟ أقبل ليلة القدر ، أم بعدها؟ ومن علمه إياه مجملاً؟ أجبريل ، أم غيره؟ ائتوني بأثارة من علم ، إن كنتم صادقين . ويهب الله للحق برهاناً تنجى به كل ربيبة : ( ٤٢ : ٥٢ ) وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ، ما كنت تدري ما الكتاب ، ولا الإيمان) أيفهم الصوفية ، أم هى اللجاجة فى العناد؟ ( ١٠ : ١٥ ، ١٦ . وإذا تلى عليهم آياتنا بينات ، قال الذين لا يرجون لقاءنا : إئت بقرآن غير هذا ، أو بدله ، قل : ما يكون لى أن أبده من تلقاء نفسى ، إن أتبع إلا ما يوحى إلى ، إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ، قل : لو شاء الله ماتلونه عليكم ولا أدراكم به ، فقد لبثت فيكم عمراً من قبله ، أفلا تعقلون ؟ ) .

وفرية الصوفية تناقض هذه الحجة الإلهية على صدق محمد .

أولاً يذكر الصوفية أن رسول الله حين فجأ الوحي ، كان يقول - وجبريل

يغطه : « ما أنا بقارى . » !؟

وأنه عاد إلى زوجه الطيبة الطهور فى خوف وقلق ، وأن هذه المؤمنة العظيمة

قالت له قَوْلَتَهَا التي طَبَّهَا الإيمانُ بروحانيتها « والله لا يحزبك الله أبدا »  
أفكان يحدث هذا ، أو بعضه ، لو أنه صلى الله عليه وسلم ، كان على بينة  
من القرآن ، قبل نزوله عليه ؟ لم قال : ما أنا بقارىء . ؟ يكررها ثلاثاً ؟ لم عاد خائفاً  
حتى زَمَلُوهُ ودَثَرُوهُ ؟ لم بثَّ ذات نفسه إلى زوجه خديجة ، ولم ذهب معها إلى  
ورقة ابن نوفل ؟! كل هذا حدث منه صلى الله عليه وسلم حتى بعد نزول الوحي  
عليه !! أهذه دلائل علم سابق بالقرآن ، ويقين جازم به قبل نزول جبريل عليه به  
فى ليلة القدر ؟ ، أم دلائل مشاعر نفس مؤمنة تقية ، خُأها من الله سبحانه ، مالم  
تكن تدريه من قبل ؟ !

وهاً للصوفية !! تبصر نور الشمس يتوهج ، فتقول بالظلام الدامس !!  
كبعض الطير يعشيه النهار !!

ولقد كان أعداء الرسول يسألونه مُحَرِّجِينَ مُتَعَمِّتِينَ ، يبتغون تكذيبه ،  
والتجديف عليه ، فلم يكن يجيبهم بشئ . - لأنه لا يعرف الجواب - عما سألوه عنه ،  
إلا بعد أن ينزل جبريل عليه به . سألوه عن الروح ، وعن فتية الكهف ، وعن  
ذى القرنين ، فقال صلى الله عليه وسلم : غدا أجيبكم !! وأنساه حرصه النبيل على  
إقامة الحججة عليهم وهدايتهم ، فلم يقل : إن شاء الله ، ففتر عنه الوحي حتى حَزَبَه  
الأمرُ ، وبلغت به الشدة مبلغها ، ولم لا ؟ وعدُوهُ مُتَرَبِّصٌ به ، حريص على  
تكذيبه ، وعلى أن يثير الشبهات حول رسالته ، ورغم هذا يفتر عنه الوحي !!  
ثم منَّ الله عليه به ، فعلم عن الله جواب ما سألوه عنه فقال الرسول صلى الله عليه  
وسلم لجبريل : « لقد رثتَ علىَّ ، حتى ظن المشركون كل ظن » فنزل قوله  
تعالى : ( ١٩ : ٦٤ وما ننزّل إلا بأمر ربك <sup>(١)</sup> ) أفكان يحدث هذا ، لو أن  
رسول الله ، كان على بينة من القرآن قبل نزوله ؟ لماذا لم يجب منْ سألوه ؟ لأنه  
لم يكن يعرف الجواب ، ولكن ابن عربى يكفر بكل تلك الدلائل ، ويفترى

---

(١) انظر تفسير ابن كثير فى هذه الآية .

أسطورتها ، فتَوَجُّحُ في الصوفية كالنار في الهشيم ، وتنتشر كالوباء الفتاك ، وتظل  
ديننا يكتبه الشعراى ويهرف به حتى الصوفية !!  
وعذرنا فى إطالة الرد على هذه القرية أنها دين قوم يحسبون على الإسلام ،  
ومن أمتهم ، وما زال عَدُوُّ ربه « فلان » ينعب بها حتى اليوم فى رحاب الأزهر ،  
يضج بها نعيه ، والمؤذن يقول : الله أكبر !!

### تعالوا إلى كلمة سواء

فما رأى صاحب السماحة فى تلك الوثنيات ؟ ألا يذكر فى نفسك الحسرة ،  
وفى أعماق قلبك السعير ، أن ترى الصوفية تبتهت الحق بما لم يَبْهَتْهُ به إلحاد من  
قبل ، وتجدد به جحوداً ، ليس كعناده عناد ، ولا كغيبه بغي . لا تدع رُغْبَ  
القلق يعصف بك ، فيقلب على السهد جنيتك بحثاً عن كيد تسكيد لنا به ، بل  
( ٣ : ٦١ تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به  
شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ) .

نحب أن نحتكم إلى الكتاب والسنة . لا تقولوا : قال فلان ، فما أذكركم  
إلا بقول الله . اذكروا ابن عباس حبر هذه الأمة ، وهو يقول لمن جادله بقول نسبه  
إلى العميرين : « يوشك أن ينزل الله عليكم ناراً من السماء ، فتحرقكم أ أقول  
لكم : قال الله . وتقولون لى : قال أبو بكر ، وقال عمر ؟ » فاحذروا أن يقع بكم  
ما أشفق منه ابن عباس على مجادليه ، واختر يا سماحة الشيخ للمحاجة أى مكان  
تشاء ، ولن أقول لك قبلها : أنا المصيب ، وإنما أقول لك ما علمه الله لنبيه - وهو  
الذى ملأ الله قلبه باليقين الثابت والهدى والحق - ( ٣٤ : ٣٤ ) وإنا ، أو إياكم ،  
لعلى هدى ، أو فى ضلال مبين ) .

أما أن تشكرونا إلى النياحة - ولها احترامها - فهو فرار جبان من صدمة الحق ،  
وعجز ذليل فى الدفاع عن الرأى ، ولا ترتضى - رغم ما صنعت بنا - أن تَمَسَّكَ  
ريبة من تلك النقائص ، وأنت العالم الكبير الذى تولى من قبل الخطير الكبي  
من مناصب الأزهر ! .

## الفصل الرابع

### وحدة الأديان

آمنت الصوفية بأن الله سبحانه هو عين خلقه ، هذه الأسطورة - أسطورة وحدة الوجود - استلزمت عند الصوفية الإيمان بوحدة الأديان سواء منها مانسبته عناكب الأوهام ، وافترت أساطير الخيال ، وفارت به الشهوات ، أو ما أوحاه الله إلى رسله ، ولهذا آمن الصوفية سلفهم وخلفهم بأن الإيمان والتوحيد عين الكفر والشرك ، و بأن الإسلام على هداه و قدسه ، عين الدين المجوسى فى ضلاله ورجسه

### دين ابن عربى

وكهدك بى أذكرك بما اختلقوه من إفك حول تلك الأسطورة ؛ ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حى عن بينة .

يقول ابن عربى :

عقد الخلائق فى الإله عقائدا وأنا اعتقدت جميع ما عقده (١)

ويقول :

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبى إذا لم يكن دينى إلى دينه دانى  
أقد صار قلبى قابلا كل صورة قمرى لغزلان ، ودير لرهبان  
وبيت لأوثان ، وكعبة طائف وألواح تورا ، ومصحف قرآن  
أدين بدين الحب أى توجّهت ركائبه ، فالدين دينى وإيمانى (٢)

ويحذر ابن عربى أتباعه أن يؤمنوا بدين خاص ، ويكفروا بما سواه ، فيقول :  
« فإياك أن تتقيّد بمقد مخصوص ، وتسكفرتا سواه ، فيفوتك خير كثير ، بل

(١) انظر شرح الفصوص لعبد الرحمن جامى شرح الفص الهودى .

(٢) ص ٣٩ ذخائر الأعلام شرح ترجمان الأشواق لابن عربى .

يفوتك العلم بالأمر على ما هو عليه ، فكن في نفسك « هَيُولِي <sup>(١)</sup> » لصور  
المعتقدات كلها ، فإن الله تعالى أوسع وأعظم من أن يحصره عَقْدٌ دون عَقْدٍ ،  
فالكُلُّ مُصِيبٌ ، وكلُّ مُصِيبٍ مأجورٌ ، وكلُّ مأجورٍ سعيدٌ ، وكلُّ سعيدٍ  
مَرَضِيٌّ عَنْهُ <sup>(٢)</sup> .

وهذا الدين الأسطوري يستلزم حتماً نفي عذاب الآخرة ، فَرَبُّ الصوفية في  
دينهم كل مشرك وكل موحدٌ ، ويستحيل أن يعذب الرب نفسه ، ولهذا يقول  
ابن عربي :

فلم يبق إلا صادق الوعد وحده      وما الوعد الحق <sup>(٣)</sup> عين تباين  
وإن دخلوا دار الشقاء ، فإنهم      على لذة فيها نعيم مبين  
نعيم جنان الخلد فالأمر واحد      وبينهما عند التجلي تباين  
يُسمى عذاباً من عذوبة طعمه      وذلك له كالقشر ، والقشر صائن <sup>(٤)</sup>

وهكذا يوغل ابن عربي إيغالاً سحيقاً في الغلو العجيب من التناقض ،  
ويكدر شيطانيته ؛ لتبتدع من البدع ما يقضى به على بقية الخير اليتيمة من إيمان  
المسلمين ! لقد آمن بأن الرب عين العبد ، وأن الإيمان صنو الكفر حقيقة وغاية ،  
فما الذي يمنعه من الإيمان بأن الوعد عين الوعد ؟ وأن نعيم الجنة وكوثرها عين  
عذاب السعير وغسلينها ؟ لم يمنعه شيء ، فصرح كما ترى به ! فأى قضاء على الدين

---

(١) الهيولي لفظ يوناني بمعنى الأصل والمادة ، وفي الاصطلاح الفلسفي هي  
« ما به الشيء بالقوة ، أو جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال  
والانفصال » ، وقد استعملها ابن عربي هنا بمعنى القابل ، أى الذى تنطبع فيه صور  
المعتقدات كلها ، وينفعل بها ، وتصدر عنه أفعاله طبقاً لمعتقداته المتنوعة .

(٢) ص ١٩١ وما بعدها فصوص الحكم بشرح بالي ط ١٣٠٩ هـ

(٣) يعنى بالوعد النعيم فى الآخرة ، ويبنى بالوعد عذاب الآخرة . يريد من هذا  
نفي العذاب مطلقاً فى الآخرة حتى للمشركين .

(٤) ص ٩٤ فصوص ج ١ بتحقيق الدكتور عفيفي .

والأخلاق ، أشد طغياناً من ذلك ، إذا كان العمل الصالح يستوى والعمل الخبيث ، وإذا كانت الفضيلة عين الرذيلة ، وإذا كان الخير قرين الشر ، وما مصير الإنسانية لو أنها آمنت بهذه الصوفية ؟ !

### الحكم بنجاة فرعون

ولهذا يحكم ابن عربي بنجاة فرعون موسى ، يقول معقبا على قوله تعالى (قرة عين لى ولك) : « فيه قررت عينهما بالسكالم الذى حصل لها ، وكان قرة عين لفرعون بالإيمان الذى أعطاه الله عند الفرق ، فقبضه طاهراً مطهراً ، ليس فيه شيء من الخبث<sup>(١)</sup> » ويقول عن فرعون أيضاً : « فنجاه الله من عذاب الآخرة فى نفسه ، ونجى بدنه ، فقد عمته النجاة حساً ومعنى<sup>(٢)</sup> » .

واقراً ببقية ما افتراه فى « الفص الموسوى » من كتابه الفصوص ، ففيه يفضل فرعون على موسى ! .

### دين الجبلى

الجبلى يؤمن بوحدة الوجود ، كما بينت لك ، وأنقل لك هنا نصاً يدينه ، ويكشف عن معتقده هذا ، وهو إيمانه بأن الله عين خلقه .

وما الخلق فى التمثال إلا كثلجة	وأنت بها الماء الذى هو تابع
وما الثلج فى تحقيقه غير مائه	وغيران فى حكم دعتة الشرائع <sup>(٣)</sup>
ولكن يذوب الثلج يرفع حكمه	ويوضع حكم الماء ، والأمر واقع

(١) ص ٢٠١ المصدر السابق .

(٢) ص ٢١٢ المصدر السابق .

(٣) تأمل سخريته بالشرائع ، لا لشيء سوى أنها تحكم بالمغايرة بين الخلق والخالق فى الذات والصفات . والجبلى يشبه الوحدة بين الله وخلقته بالوحدة بين الثلج والماء ، فكلاهما عين الآخر ، فالثلج ماء متجمد ، والماء ثلج ذائب ، فالمغايرة بينهما فى الاسم ، لا فى الحقيقة ، كذلك الله وخلقته ، إذ المغايرة بينهما فى الاسم فقط ، كالمغايرة بين الماء فى حال تجمده ، وبينه فى حال ذوبانه .

تَجَمَّعَتِ الأضدادُ في واحدِ البها وفيه تلاشت، وهوَ عنهن ساطع<sup>(١)</sup>  
ولإيمانِ الجبلى بوحدة الوجود ، آمن بوحدة الأديان .

وأسلمتُ نفسى حيثُ أسلمنى الهوى ومالى عن حكمِ الحبيبِ تنازع  
فَطَوَّرًا ترانى فى المساجدِ رأَ كما وإِنَى طورًا فى الكنائسِ راتع  
إذا كنتُ فى حكمِ الشريعةِ عاصيا فإِنَى فى علمِ الحقيقةِ طائع<sup>(٢)</sup>

ويقول مفسراً لا إله إلا الله : « يعنى الإلهية المعبودة ليست إلا أنا ،  
فأنا الظاهر فى تلك الأوثان ، والأفلاك والطبائع ، وفى كل ما يعبدُه أهلُ كل ملة  
وَنِحْلَة ، فماتلك الآلهة كلها إلا أنا ؛ ولهذا أثبت لهم لفظ الآلهة ، وتسميته لهم  
بهذا اللفظ من جهة ما هم عليه فى الحقيقة تسمية حقيقية لا مجازية . . . إنه أراد  
أن يبين لهم أن تلك الآلهة مظاهر ، وأن حكم الألوهية فيهم حقيقة ، وأنهم  
ما عبدوا فى جميع ذلك إلا هو ، فقال : لا إله إلا أنا ، أى ما نتمُّ من يُطلق عليه  
اسم الإله إلا وهو أنا . . . لا إله إلا أنا ، أى ما نتمُّ إلا أنا ، وكل ما أطلقوا عليه  
اسم الإله ، فهو أنا<sup>(٣)</sup> . »

هذه الوثنية الطاغية الجاحدة تُبشِّرُ بها الصوفية على أنها التوحيد الخالص ،  
ورَفِيفُ الروحانية من قُدُسِ السماء !

### إبليس عند الجبلى

وعجب يدهش منه العجب ، أن ترى الصوفية حَقِيَّةً دائماً بتقدیس عدو الله ،  
كفرعون ، وإبليس ، ثم تزعم للناس أن أقطابها أحبَّاه الله وأودَّاه ، وأنهم

(١) ص ٢٣ ج ١ الإنسان الكامل للجبلى ط ١٢٩٣ هـ

(٢) ص ١٤٣ ج ١ إيقاظ الهمم فى شرح الحكم لابن عجيبة ط ١٣٣١ هـ

(٣) ص ٦٩ ج ١ الإنسان الكامل للجبلى ، وتراه يصوب عبادة الأصنام ،  
وعبادة الأفلاك ، وعبادة الطبيعة ، لأن هذه الأشياء التى عبدت ليست إلا ذات الله  
متعينة فى تلك الصور ، ومسماة بتلك الأسماء ؛ !



مشارك الوهية وربوبية ، وأن لهم القدرة الخلاقة القهارة التي تُسَخِّرُ الوجود كله لقبضتها الظلوم ! لقد مجَّد ابنُ عربي فرعونَ ، حتى فضله على موسى كليم الله ، وهاهو الجليلي يمجِّد إبليس العدو الأول لله وللبشرية !

يقص الله علينا إباء إبليس عن السجود لآدم ، وقوله : « أنا خير منه » فيقول الجليلي : « وهذا الجواب يدل على أنَّ إبليس من أعلم الخلق بأداب الحضرة ، وأعرفهم بالسؤال ، وما يقتضيه من الجواب » وقرأ بقية خطاياها في كتابه « الإنسان الكامل » ؛ لتراه في إعجابهِ الرائع بإبليس ، وتقديسه له ، وحكمه بأنه في الفردوس يوم القيامة ، يقول الجليلي ص ٤٢ ج ٢ من الإنسان الكامل « لا يُلَعَن إبليس أى لا يطرد عن الحضرة الإلهية إلا قبل يوم الدين ؛ لأجل ما يقتضيه أصله ، وهى الموانع الطبيعية التى تمنع الروح عن التحقق بالحقائق الإلهية ، وأما بعد ذلك فإن الطبائع تكون لها من جملة الكمالات فلا لعنة ، بل قرب محض ، فحينئذ يرجع إبليس إلى ما كان عليه عند الله من القرب الإلهي .. قيل إن إبليس لما لعن هاج وهام لشدة الفرح حتى ملأ العالم بنفسه ، فقيل له : أتضع هكذا ، وقد طردت من الحضرة ؟ فقال : هى خلعة أفردنى الحبيب بها لا يلبسها مَلَكٌ مقرب ولا نبي مرسل » هذا نص الجليلي بلفظه !

### دين ابن الفارض

يقول فى تائيته الكبرى :

فِي مَجْلِسِ الْأَذْكَادِ سَمِعْتُ مُطَالِيعَ  
وَمَا عَقْدَ الزُّنَّارِ<sup>(١)</sup> حُكْمًا سَوَى يَدِي  
وَأَسْفَارُ تَوْرَةِ الْكَلِيمِ لِقَوْمِهِ  
وَأَسْفَارُ تَوْرَةِ الْكَلِيمِ لِقَوْمِهِ

ولى حانة الخمار عين طليعة  
وإن حُلَّ بالإقرارى، ففى حَلَّتِ  
فما بار بالإيجيل هيكَلُ بِنَعَةٍ<sup>(٢)</sup>  
يناجى بها الأجارُ فى كل ليلة

(١) ما يشده النصرارى على أوساطهم .

(٢) معبد النصرارى .

وإن خَرَّ للأحبار في البُذِّ<sup>(١)</sup> عاكفٌ  
فلا وَجَهَ للإنكار بالمصيبة  
وما زاعت الأبصارُ من كلِّ مِلَّةٍ  
وما احتار من الشمس عن غِرَّةِ صَبَا<sup>(٢)</sup>  
وإن عبد النارَ المَجوسُ، وما انظفت  
كما جاء في الأخبار في ألف حجة<sup>(٣)</sup>  
فما قصدوا غيري، وإن كان قصدهم  
سواي، وإن لم يُظهِروا عقْدَ نية  
حانات الخمر، ومواخير الخطايا، وصلوات<sup>(٤)</sup> اليهود، وبيع النصارى  
وهياكل المَجوس والصابئة، وبيوت الأصنام، ومجالس الذكر، ومساجد الله،  
كلها عند ابن الفارض ساح فساح يُعبد فيها الله عبادة يجبها ويرضاها<sup>(٥)</sup>؛ لأنه  
المعبود فيها والعابد!! وهذا المشرك العاكف على الأصنام يسجد لصخورها الصم،  
وهذا الصابئ الساجد في معبد الكوكب، وهذا المَجوسى يتبتل بضراعتة إلى  
النار، وهذا اليهودى التائه يريق الدموع على مَبْكَاهُ، ويؤجِّج سعير الحقد على  
الله، كل هؤلاء عند ابن الفارض على بينة من الهدى والفرقان، فها هم في دينه  
إلا الذات الإلهية متعينة في صور بشرية!!

(١) الضم أو بيت الأصنام .

(٢) مال قلبه .

(٣) يشير إلى ما يقال من أن نار المَجوس التي ظلت تشتعل ألف عام خمدت ليلة

مولد النبي .

(٤) أمكنة عبادتهم .

(٥) يقول جُوله زهير : « مهما تظاهر الصوفيون بتقديرهم للإسلام ، فلغا بيتهم  
زعة مشتركة إلى محو الحدود التي تفصل بين العقائد والأديان ، وعندهم أن هذه  
العقائد كلها لها نفس القيمة النسبية إزاء الغاية الثلى التي ينبغي الوصول إليها »  
ص ١٥١ العقيدة والشريعة .

## الفصل الخامس

شيوخ الصوفية وكراماتهم<sup>(١)</sup>

عبادة الأخبار والكهان

ما ألحقت الصوفية في شيء إلخافها في الدعوة إلى اتخاذ شيوخها أربابا من دون الله ، ففرضت على الدرويش أن يكون وطاء ذليلا لشيخه مُستَعْبِدَ الفكر سلب الإرادة كجثة الميت في يد الغاسل ، وجعلت هذه العبودية المتهنئة أولى الدلائل على طاعة المرید لشيخه ، وعلى حبه له ، وعلى أنه يرقى معارج الوصول إلى حضائر القدس . اسمع إلى طيفور البسطامي يقول : « من لم يكن له أستاذ ، فإمامه الشيطان<sup>(٢)</sup> » وإلى صاحب لطائف المنن يزعم : « من لم يكن له أستاذ يصله بسلسلة الأتباع ، ويكشف له عن قلبه القناع ، فهو في هذا الشأن لقيط لا أب له ، دعى<sup>(٣)</sup> لانسب له<sup>(٣)</sup> » وإلى محمد عثمان يقرر آداب المرید مع شيخه : « ومشاهدتك له في كل حال وَرَدَ عليك أنه بواسطته إليك يا فتى ، ومنها أن تجلس جلوس الصلاة عنده ، وأن تفنى فيه ، وألا تجلس فوق سجاداته ، وألا تتوضأ بإبريقه ولا تتكسى على عكازه ، واسمع ما قال بعض الأصفياء : من قال لشيخه : لم؟! لا يفلح ، ولتكن محضره في قلبك وخيالك ، فإن غفلت عنه وقتاً ، فهذا من مقتك ، واجتهد في أن تنال مقام الفناء فيه ، فَمِنْ نَمَّ ترقى إلى مقام البقاء به<sup>(٤)</sup> » وقد نظمها مصطفي البكري ، فقال :

(١) لا ينكر مسلم إكرام الله لأوليائه بما وعدهم به من أن لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ونستطيع أن نعرف من القرآن ما يكرم الله به أوليائه فقد وصفهم الله بأنهم المؤمنون المتقون ، فاقرا في القرآن ما أعده الله للمؤمنين المتقين ، تعرف ما يكرمهم الله به ، ولكنك لن تجد فيه ما يزعمه الصوفية .

(٢) ص ١٤٧ كتاب الفتوحات الإلهية في شرح الباحث الأصلية ط ١٩١٣ م

(٣) ص ١٤٦ المصدر السابق . (٤) الهبات المقتبسة لمحمد عثمان ط ١٩٣٩ م

وسلم الأمر له ، لا تعترض ولو بعصيانٍ أتى أذى فُرض  
وكن لديه مثل مَيِّتٍ فاني لدى مُفْسَلٍ ؛ لتمسى داني  
ولا تطأ له على سجادة ولا تنم له على وسادة<sup>(١)</sup>  
وقد سبقه الجبلى بهذا .

وكن عنده كالميت عند مُفْسَلٍ يُقَلِّبُهُ كيف يشاء ، وهو مطاوع<sup>(٢)</sup>  
وتحتم الصوفية على المريد ألا يعصى شيخه في أمر أو نهى ، وإن رآه يخالف  
السنة الحمديدية<sup>(٣)</sup> والكي يظل الدرؤيش تحت قبضة الشيخ يستذل كرامته ،  
ويغصبه ماله وعرضه ، قررت الصوفية على لسان الشعرائى أن من أشرك بشيخه  
شيخا آخر وقع فى الشرك بالله<sup>(٤)</sup> ، وأن من أخذ الطريق على غير شيخه ، كان  
على غير دين<sup>(٥)</sup> . وكتب الصوفية طائفة بمثل تلك المنكرات التى تهدر الكرامة  
والقيم الإنسانية النبيلة ، وتجعل من الإنسان لقي طريق الذل والهوان والصغار ،  
وموطئا مستعبدا لكل نعل نجسة باغية الوطء ، تنزى بالرجس الحقيق ، وهذا سر  
ماترى عليه الصوفية من انشطارها شطرين ، شطر معبود ، وآخر عابد ، وسر  
ما يروعك إذ تبصر شيخا كبيرا كبيرا يلحق نعل طفل صغير مازال يتعثر فى خراءته ،  
ويتلطح بنجاسة بوله !! لالشىء سوى أنه حفيد مولا شيخ الطريقة ، فقيه سيره ،  
وفيه رَبَّانِيَّةٌ<sup>(٦)</sup> !! وسر مخالفة الصوفية جميعاً عن أمر الله ؛ لما يدينون به من أن

(١) بلغة المريد للبكرى . (٢) منحة الأصحاب للارطبي ص ٧٥

(٣) انظر ص ١٣١ قواعد الصوفية . (٤) ص ١٥٤ المصدر السابق .

(٥) ص ١٠٣ ج ٢ لطائف المنن وقد شاكلوا الإسماعيلية فى ذلك إذ يزعمون

أن من أشرك مع إمامه سلطة أخرى أو ارتاب فى وجوب الطاعة له ، كان كمن  
أضاف للنبي نبياً آخر ، وكن شك فى نبوته ، وبذا صار كمن وضع مع الله إلهاً آخر .

انظر ص ٢١٨ العقيدة والشريعة لجولد زيهير .

(٦) نصبت مشيخة الطرق طفلاً سنه خمس سنوات شيخاً لسجادة كبرى فى مصر

انظر ص ١٥٤ المجموعة الدمرداشية !!

شيوخهم لا يهتمون بهمسة إلا عن وحى من الله ، قلوبهم العروش التي استوى عليها برحانيته ، وسماوات كبريائه وجلاله وجماله ، وأقداس وحيه التي يفيض منها هداه !! يقول القشيري : « من صحب شيخا من الشيوخ ، ثم اعترض عليه بقلبه ، فقد نقض عهد الصحبة ، ووجبت عليه التوبة !! على أن الشيخ قالوا : حقوق الأستاذين لا توبة منها »<sup>(١)</sup>

### لماذا يتوسل الصوفية بالقبور

لن أجادلك هنا يا سماحة الشيخ في توسل الصوفية بالقبور ، وبالقبور<sup>(٢)</sup> فإنه أهون ما تقترف الصوفية وضحاياها من وثنية ، وأخبارها لا يترآون بالولاء الخاشع لأصنام القبور حبا في القبور ، بل لما يُجمَع لأوثان الموتى من ندور !!

### آراء المستشرقين في التوسل

يقول جولدزبير : « بقي كثير من عناصر الديانات السابقة للإسلام ، واستأنفت حياتها في المظاهر العديدة الخاصة بتقديس الأولياء . وفي الحق ليس من شئ أشد خروجاً على السنة القديمة من هذا التقديس المبتدع المفسد لجوهر الإسلام والماسخ لحقيقته ، وإن السنى الصادق الحريص على اتباع السنة لا بد أن يعده من قبيل الشرك الذى يستثير كراهيته واشتمزازه » ويتحدث عن تقديس العامة للأولياء ، فيقول : « وأضرحة الأولياء والأماكن المقدسة الأخرى هى موضع عبادتهم التي يرتبط بها أحياناً ما يظوره العامة من تقديس وثنى غليظ لبعض الآثار

(١) ص ١٥١ الرسالة للقشيري .

(٢) قال الجنيد عن قبر معروف الكرخي : « قبر معروف تريق مجرب يستشفى به ويتبرك » انظر ترجمة معروف في الرسالة للقشيري والطبقات للسلي ، وهكذا عبت الصوفية القبور منذ نشأتها !!

والخلفات ، بل إن العامة تخصص الأضرحة ذاتها بما لا يقل عن العبادة المحضة «  
ويتحدث عن الولي الحليّ : « ويخشى الواحد منهم أن يحنث في يمين حلف فيه  
باسم الولي أكثر مما يحمر خجلاً عندما يحلف بالله باطلاً<sup>(١)</sup> » ويقول رونلدسن :  
« بالرغم من التوحيد المصرّح به في القرآن فإن الأمم الإسلامية ، لازالت تحتفظ  
بكثير من العادات الوثنية ؛ فإن من أهم الصفحات في الحياة الدينية للعوام في جميع  
الأمم الإسلامية ، هو تقديرهم لقبور الصالحين ، وفي هاتين القضيتين سائر العلماء  
المحدثون<sup>(٢)</sup> اندفاع الرأي العام ، وقد أصبح لكل قوم أئمة محليون يزورون قبورهم  
وآثارهم ، فيفرح ذلك الإمام ، ويشفع لهم ، وينجيهم من الفقر والمرض<sup>(٣)</sup> !! »  
وهكذا يدع الصوفية الفرصة سانحة لعدو الإسلام ، ليجدف عليه بما يقترف  
الصوفية !! تأمل فيما قاله ، تجده صوفية مُصَوِّرة بكل خبيثها !!

لن أجادلك في التوسل ، وفي أنه شرك أصم ، إذ التوسل خبثُ شرك آخر  
أشد خبيثاً منه ، فالصوفية يعتقدون أن أولياءهم ليسوا بشياً ، وإنما هم آلهة تخلق  
ماتشاء وتختار ، أوهم - كما نقلنا لك من قبل - ذات الله سبحانه وتعالى تجسدت  
مرة فكانت تيجانية ، وأخرى ، فكانت نقشبندية ، وأخرى فكانت رفاعية ،  
أو شاذلية ، أو رُهامية !!

### صوفي يخطب الجمعة عارياً

الشعراني كاهن الخطايا الصوفية ، يبشر بها ، ويكافح في سبيل الدعوة إليها ،  
وعجيب أن ترى الشعراني يعقب على ذكر كل اسم صوفي يتنزى جسده فاحشة

(١) النصوص السابقة عن ص ٢٣٤ ، ٢٣٢ العقيدة والنسبية .

(٢) التعميم خطأ ، فالمحدثون بحق يرون هذه البدعة من الشرك ، ولعله يقصد  
من وضعوا الأحاديث التي نسبت زوراً إلى رسول الله ، وترشح لقبول هذه البدعة .

(٣) ص ٢٦٦ عقيدة الشيعة .

بقوله : «رضى الله عنه» ! اسمع إلى الكاهن يبشر بهتك العورة كرامة ! « ومنهم الشيخ إبراهيم العريان ، كان يطلع المنبر ، ويخطبهم عريانا ، فيقول : السلطان ، ودمياط ، وباب اللوق ، بين الصورين ، وجامع بلهون ، الحمد لله رب العالمين ، فيحصل للناس بسط عظيم<sup>(١)</sup> »

أَمِنْ رَفِيفِ الرُّوحَانِيَةِ بِعَبِيرِ تَقْدِسِيَةِ مَنْ أُولَى عَلَى حَشْدٍ مَحْشُودٍ بِعُورَةِ مَكْشُوفَةٍ ، وَهَذِيانِ مُجْبُولِ ؟!

تصور ، واجعل خيالك رحيباً رحيباً مُجَنِّحاً بتهاويل الشاعرية ، حتى يمكن أن يتصور مشهد ولى يبارك المصلين بهتك عورته !!

تصور ذلك المعبود يصعد إلى المرقاة الأخيرة من المنبر في يوم جمعة ، حتى إذا أنعم الشهود فيه الأبصار ، وحدقوا إليه بالأفكار ، ورتنوا إليه بالقلوب ، ابتغاء ترشّف العظة الهادية . حتى إذا هوّمت عليه النواظر ، وطافت به المشاعر ، وحوّمت حوله الأحلام والعواطف ، هتك الستر عن عورته فضلاً منه ونعمة ؟ ! ذلك المعبود على منبره ، في جامع ، في جمعته يجمع الناس حوله ؛ ليعظم عظة تصلهم بأسباب السماء ، فيسمعون ذلك الهراء المحبول ، وهو مُنْهَتِكُ السُّوءِ : « باب اللوق . الخ » .

تلك الصورة الوثنية التي يراها الخيال الفسيح الذي قد يستشرف غيب الأبد ، وقنّة الأزل في تصوراته ، ويهب للمستحيل أحياناً وجوداً في تهويماته - يراها أشد استعصاء عليه من تصور وجود المستحيل ، بيد أن الشعراني يؤكد لنا أنها حقيقة صوفية ، فيدين بها ، ويبشر بها ، ويدعو الله أن يعمر مقترِفها برضاه ، ولا يأخذنك العجب ؛ فإنه صوفى ! .

إننا نعرف من كتاب الله أن الآدمية عوقبت على ذنبها الأول بكشف السوءة !

(٧ : ٢٢ فدَلاهما بفرور ، فلما ذاقا الشجرة ، بدت لهما سوءُ أتهما) .  
فإذا يريد الشعراني من دين ؟ .

### صوفي يبهت البريء بذنبه

ويمضى الشعراني في تمجيد شيخه العريان فيقول : « وكان يخرج الريح  
بمحضرة الأكابر ، ثم يقول : هذه ضرطة فلان ، ويحلف على ذلك ، فيضجل ذلك  
الكبير منه <sup>(١)</sup> » .

ولشدَّ ما يشدَّخ العجب رأسه من العجب من صوفي يقدر الصوفية  
خطاياها ، ويعلمون من معجزات قُطباً نيته بهتُ البريء بذنبِ افترى هو جريرته ،  
أو بخطيئة « ذوقية » يجها حتى ذوق الخنفساء ! .

هذا مع استحلال الكذب المفضوح العريان ، مقسماً بالله على صدقه ! .  
أرأيت إلى الصوفية كيف تمبداً خاطئاً ينفث مثل هذه اليحامي المنتنة الخائفة  
في مجالس العظاء ، ثم لا يتعمه فساد ذوقه ، وسوء أدبه من أن يقذف سواه بذنبه ،  
ويحلف بالله على صدق بهتانه ؟ ! .

### الصوفي يُؤجّر على كشف عورته

وإليك ما يافكه الدباغ : « إن غير الولي إذا انكشفت عورته ، نفرت منه  
الملائكة الكرام ، والمراد بالعورة : العورة الحسية ، والعورة المعنوية التي تكون  
بذكر المحزون وألفاظ السفه ، وأما الولي ، فإنها لا تنفر منه ، إذا وقع له ذلك ؛ لأنه  
إنما يفعله لغرض صحيح ، فيترك ستر عورته لما هو أولى منه <sup>(٢)</sup> » .

لقد جعلها الشعراني كرامة خاصة بالعريان ، أما الدباغ ، فيجمل من كشف  
العورة دستوراً في الولاية الصوفية ! ، أما الكشخاني ، فيحدثنا عن أنواع الأولياء

(١) نفس الصفحة والمصدر السابق .

(٢) ص ٤٣ ج ٢ الإبريز للدباغ ط ١٢٩٢ هـ



المتصرفين ، فيقول : « والرحمانيون وهم ثلاثة أيضاً ، وهم عند الوحي يجلسون عرايا ، ويسمعون الوحي ويفهمون المراد منه<sup>(١)</sup> » ! فتأمل الصوفية تزعم أن أولياءها يسمعون الوحي ! ومن هم ؟ سفهاء عراييد ، اتخذتهم الخطايا دعاة مجونها وسفهاها ! وألسنة تعبر عن سوءاتها ! .

جرد ياتسماحة الشيخ كتيبة من علمك ، وسلطان منصبك ؛ لتؤذب هؤلاء الأقطاب الذين يهتكون عوراتكم ، ولعل هذه العورات المتكشفة في فجور أجدر بأن تشكوها إلى النيابة ممن يدعوكم إلى سترها ، ورتق فتوقها المفتوحة ! .

### تطور الصوفيين إلى وحوش وغيرها

يقول الشعراني عن الغمري : « ودخل عليه سيدي محمد بن شعيب ، فزآه جالساً في الهواء ، وله سبع عيون » ويقول . عن الشيخ أبو علي : « تدخل عليه تجده جندياً ، ثم تدخل عليه ، فتجده سبعاً ، ثم تدخل عليه فتجده فيلاً . وكان يتقبض من الأرض ، ويناول الناس الذهب والفضة »<sup>(٢)</sup> .

ترى لو أن مسلماً قتل صوفياً وهو « فيل ، أو سبع » أتلزمه البدية ، أم يلزمه القصاص ؟ يزعم الشعراني أن ذلك الشيخ المتطور إلى فيل وسبع قد قطعه بعض الناس بسيفوفهم ، وأخذوه في تليس ، ثم أصبحوا ، فوجدوا الشيخ حياً جالساً<sup>(٣)</sup> ! خطايا : ثم ذكر الشعراني من جرائم شيوخه ما يفسد الصبي على أمه الظهور بأسلوب تستحي حتى البغي أن تهمس به في حاتها المرعبة ، فافترأه ، تجد ثورة الخطيئة من جسد أوجعه الشبق ! .

(١) ص ١٣٣ جامع الأصول في الأولياء .

(٢) ص ٨٠ ، ٨١ ، ٢ الطبقات .

(٣) ص ٨٠ المصدر السابق

أقرأ ماسجله عن كرامات علي وحيش وأبو خودة<sup>(١)</sup>، وغيرهما، ثم اذكر ما كان يقترفه المجرمون من جرائم ، وبأية جريرة منكرة أخذهم الله أخذة رابية ! وثمت ترى الشراني يجعل من هذه الفاحشة الموبقة كرامة لسادته هؤلاء ! معقباً على ذكر كل جريمة يقترفها فاسق منهم بقوله : رضى الله عنه ! ولا تعجب ، فتلك الجريمة دين الصوفية من قديم . قال يوسف بن الحسين الرازي : « نظرت في آفات الخلق ، فعرفت من أين أتوا . ورأيت آفة الصوفية في صحبة الأحداث ، ومعاشرة الأضداد ، وأوراق النسوان<sup>(٢)</sup> » . وإنه ليعترف بعدها بما يدينه بتلك الخطايا فيقول : « كل ما رأيتموني أفعله ، فافعلوه إلا صحبة الأحداث ، فإنه أفتن الفتن<sup>(٣)</sup> » ويقول : « عاهدت ربى أكثر من مائة مرة ، ألا أصحب حدثاً ، ففسخها على حسن الخلدود ، وقوام القدود ، وغنج العيون ، وما سألتني الله تعالى معهم عن معصية<sup>(٤)</sup> » وبه ص الخراز أنه رأى إبليس في النوم ، فقال له : « تركت لي فيكم لطيفة . قلت : ماهي ؟ قال : صحبة الأحداث ، قال أبو سعيد : وقل من يتخلص من هذا من الصوفية<sup>(٥)</sup> » .

ولقد ونح الله سبحانه قوم لوط بقوله : ( ٢٦ : ١٦٥ ) أتأتون الذكران من العالمين ؟ « ولعنهم ، وأمطر عليهم حجارة من سجيل ، فما بالك بالصوفية ، وقد اقترفت هذه الجريمة في صورة نكراء منكرة مسفة في الخزي والضعفة والحقارة ،

---

(١) ص ١٢٢ ، ١٣٢ ج ٢ طبقات ط صبيح ويقول الشراني عن أبي خودة : « وكان رضى الله عنه إذا رأى امرأة ، أو أمرداً راوده عن نفسه ، وحسس على مقعدته سواء كان ابن أمير أو ابن وزير ولو كان بحضرة والده أو غيره ، ولا يلتفت إلى الناس » .

(٢) ص ١٩٠ طبقات الصوفية للسلمى . (٣) ص ١٨٩ نفس المصدر

(٤) ص ١٩١ نفس المصدر . (٥) ص ٢٣٢ نفس المصدر .

اقتربتها مع الذكران ومع العجاوات من الدواب ! ؟ وأين ؟ على قارعة الطريق ، وعلى مشهد من كل رأنح إلى السوق ، أو غاد منه ! ذلك ما ذكره الشعراني ، وجعله كرامة ربانية لأوليائه ، ويزيدها تفصيلاً ، فيزعم أن « وحيشاً » كان يرغم صاحب الدابة على أن يستذهله عند اقتراف الجريمة<sup>(١)</sup> ! وينازعني الحياء ؛ لكيلا أسطر لك جرائم الصوفية بأسلوب الشعراني ، فإذ بكتابه ، وطالع فيه أية ترجمة لصوفي ، وثمت تطالعك الجريمة بوجهها الدميم الصفيق الغليظ المنكر !.

### رمة تتصرف في الوجود

يقول الشعراني : « إن شينخي أخذ على العهد في القبة تجاه وجه سيدي أحمد البدوي ، وسلمني إليه بيده ، فخرجت اليد الشريفة من القبر<sup>(٢)</sup> ، وقبضت على يدي قال سيدي الشناوي : يكون خاطرك عليه ، واجعله تحت نظرك ، فسمعت سيدي أحمد يقول من القبر : نعم ! . ولما دخلت بزوجتي ، وهي بكر ، مكنت خمسة أشهر لم أقرب منها ، فجاء ، وأخذني ، وهي معي ، وفرش فرشاً فوق ركن قبته ، وطبخ لي حلوى ، ودعا الأحياء والأموات إليه ، وقال : أزل بكارتها هنا ، فكان الأمر تلك الليلة ، وتخلفت عن حضوري للمولد ، وكان هناك بعض الأولياء ، فأخبرني أن سيدي أحمد البدوي كان ذلك اليوم يكشف الستر عن الضريح ، ويقول : أبطأ عبد الوهاب ، ماجاء ! » ثم يزعم أن البدوي يدعو العرب والعجم

(١) طالعها في الطبقات ج ٢ ص ١٣٥ ط صبيح .

(٢) يذكر الصاوي في حاشيته على شرح الخريدة للدردير ، أن الرفاعي وقف

تجاه قبر الرسول ، وناجاه بهذين البيتين :

في حالة البعد روحى كنت أرسلها تقبل الأرض عنى ، وهي نائبق

وهذه دولة الأشباح ، قد حضرت فامد يمينك كي تحظى بها شفقى !!

قالوا : فخرجت اليد من القبر . ويظهر أن الشعراني أبي إلا أن تكون له وليده

البدوي تلك السكرامة !!

ويسوقهم إلى مولده ، وأنه أرى الشعراني كثيراً من الأحياء والأموات من الشيوخ والزمنى بأكفانهم يمشون ويزحفون معه يحضرون المولد<sup>(١)</sup> ! ويقول عن الحرثي : « قصدته في حاجة ، وأنا فوق سطوح مدرسة أم خوند بمصر ، فرأيتة خرج من قبره يمشى من دمياط . إلى أن صار بيني وبينه نحو خمسة أذرع ، فقال : عليك بالصبر ، ثم اختفى ! »<sup>(٢)</sup> .

هنا يكاد الإنسان يفقد عقله ! إذ لا يتصور حتى يمن به مسكة ولمى من عقل يهرف ، ويخرف بمثل ذلك الخبال ولكن لا عجب ، فكل صوفي عدو للعقل فوق عداوته للشرع . كل صوفي يؤمن بأن « الذوق » وحده هو وسيلة المعرفة ، أما العقل عندهم ، فطاغوت أخرق ، وأما الشرع ، فإدائية تنشب مغالبها في الصخر ، دون أن ترمق السماء بنظرة واحدة ! أو هو نوع من عبادة التاريخ الميت ؛ ولهذا تتباين عندهم قيم الأشياء ، تبعاً لتباين الأذواق ! وقد يرى الصوفي الباطل ، فيما يرى غيره فيه الحق ! ولا يضيرهم أن يتوتر التناقض بين ما يؤمن به صوفي ، ويكفر به آخر غيره ، فسكلاهما في الدين الصوفي على حق .

ولعل هذا سر فريتهم « من اعترض ، انطرد ! » إذ ربما حكمت بالشرع أو بالعقل على شيء ما بأنه باطل ، وهو في « ذوق<sup>(٣)</sup> » شيخك حق ! فتعرض نفسك للطرد من حظيرته .

---

(١) اقرأ ترجمة السيد البدوي في طبقات الشعراني .

(٢) ج ٢ ص ١٥٤ المصدر السابق ويروون أن رجلاً قصد إلى ضريح صوفي « مشتكياً فمد له من القبر بمود الريحان خطاباً مكتوباً فيه بيت من الشعر لم يحف مداده » انظر ص ٣١٨ ج ٢ شرح الحكم لابن عجيبة .

(٣) يعرف القيصري الذوق بقوله : « ما يجده العالم على سبيل الوجدان والكشف لا البرهان والسكب ، ولا على طريق الأخذ بالإيمان والتقليد » ص ١٩٣ مطلع خصوص الكلم ، أو هو « أول درجات شهود الحق بالحق في أثناء البوارق المتوالية عند أدنى لبث من التجلي البرقي » ص ١٠١ جامع الأصول للسكشخاني ، ويقول =

على هذا يحمل الشيوخ الدراويش ، ويستعبدونهم ، فاي فعل الشيخ من شيء ،  
إلا ويوحى إلى درويشه أنه فعله عن أمر إلهي ، وإن يكن مافعله خطيئة خاطئة .  
ولا يملك الدراويش إلا أن يؤمن ! ألا ترى الجنيد يجيب - حين سئل : أيرنى  
العارف ؟ - بقوله : « نعم ! وكان أمر الله قدراً مقدوراً » ! حقٌّ لوَّنه بباطل .  
ذلك الجنيد ! زانٍ ويسميه عارفاً ! أى مؤمناً بلغ ذروة الإيمان ، لأنه رأى القضاء  
في لوح الغيب فنفذه (١) ! .

والرسول يقول « لا يرني الزاني حين يرني وهو مؤمن » .

تسكّر الصوفية على العقل أنه وسيلة إلى المعرفة ، ويرهبها حقاً منه أن يحكم  
بالمغايرة بين الضدين ، أو بين النقيضين ، وتسكّر على الشرع تفرقته بين الإيمان  
والكفر ، أو الخير والشر ؛ إذ لا تؤمن بغير « الذوق » سماء وحى ، وقدس إلهام !  
ولهذا كان من اصطلاحاتهم المشهورة : « من ذاق عرف » أى من جعل  
« الذوق » وحده الوسيلة إلى المعرفة ، كان حقاً من العارفين بكنه الحقائق الربانية !  
أرأيت إلى الشعراني يؤكد أن سيده البدوي حتى رغم تعفن البلى في  
رتمته ؟ ! ، وأنه يطبخ ويفسل ، ويدعو الأحياء والموتى إلى مولده ؟ ! أرأيت

---

= ابن عربي : « اعلم أن العلوم الذوقية الحاصلة لأهل الله مختلفة باختلاف القوى الحاصلة  
مع كونها ترجع إلى عين واحدة » ص ١٠٧ فصوص الحكم ط الحلبي ، ويعنى بالعين  
الواحدة : الذات الإلهية !!

(١) يقول الدباغ : « إن الولي الكبير فيما يظهر للناس يعصى ، وهو ليس  
بعاص ، وإنما روحه حجبت ذاته ، فظهرت في صورتها ، فإذا أخذت في المعصية  
فليست بمعصية » ص ٤٣٥ ج ٢ الإبريز . ويقول : « يتصور في طور الولاية أن يقعد  
الولي مع قوم يشربون الخمر ، وهو يشرب معهم ، فيظنون أنه شارب الخمر ، وإنما  
تصورت روحه في صورة من الصور وأظهرت ما أظهرت » ص ٤١ المصدر السابق .  
وهكذا يقررون أن الرذيلة فضيلة .

إليه يؤكد أنه حين أخطر « الحرثي » في باله ، قام من قبره ، وهرول إلى مصر على قدميه من دمياط ؟ ! .

### حجة من الحق

أسألك - وما تُضنني كثرة التساؤل - ألهذه الوثنية صلة بقرآن ، أو فكر ؟ هذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وقد وُورى في قبره ، فيعز على ابنته فاطمة أن يهيب أصحاب أبيها العظيم التراب على وجهه الكريم ، فتقول ملتاعة القلب بالأسى والحزن : « أَوْ هَانَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَهِيلُوا التراب على وجه رسول الله ؟ » .  
ويجيبها أنسٌ بالحق ، بأسو في قلبها الحزين لومة العاطفة ، ويُجلي عنه رانَ الهموم . « لولا أننا أَمِرْنَا بذلك ، ما فعلناه » .

تري لِمَ لَمْ يَقْصِل رسولُ الله بعد موته في الخوصومة التي احتدمت بين وزيره الأول أبي بكر ، وبين ابنته الحبيبة فاطمة ؟ . ولِمَ لَمْ يَحْل بين عائشة وبين يوم الجمل ؟ ولم لَمْ يُنذِرَ عمرَ بالمسكيدة التي دبرت له حتى قُتِلَ بها ؟ ولماذا لم يَحْل بين خنجر المجوسى وبين صدر عمر الفامر<sup>(١)</sup> الإيمان ؟ ! . ولماذا لم يَحْمِ عثمان ذا النورين من قاتله ؟ ! وعلياً من السكين الخاتلة القاتلة ؟ !

وهذا رِيحانته سيد شباب الجنة الحسين رضى الله عنه يحيط به عدوه كاليأس الظلوم بالأمل الكريم ، وهاهو يرفع على يديه طفله في عمر الزهرة النديّة ، ثم ينشد عدوه حَسَوَةً من ماء يبل بها غليل عصفوره الظمان ! .

فلم ينل إلا سهماً غادراً ينفذ إلى صدر الصغير الرقيق ! .

فلماذا لم يمدد رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه بكأس من سلسيل ؟

---

(١) أما الشعرانى ، فيتحدث عن كرامة سيده الشريف المجذوب ، فيقول :  
« ولما طعن أصحاب النبوة سيدى علياً الخواص جاءه الشريف ، ورد عنه الطعنة »

أو ليمنع السهم الغادر عن هَتَكِ الشَّافِ مِنَ الطِّفْلِ الصَّغِيرِ ، وَمَنْ قَتَلَ أَبِيهِ البَطْلَ  
الأبِّيَّ الكَرِيمَ ؟ ! .

جواب ذلك كله : لأنه صلى الله عليه وسلم كان لا يملك شيئاً يمدح به ،  
أو يعين ، إذ هو ميت ، ولم يُرَوْ عَنْهُ فِي حَدِيثٍ صَحِيحٍ أَوْ ضَعِيفٍ ، وَلَا فِي تَارِيخٍ  
يعنى بالحقائق أو الأساطير ، أنه أمدَّ بشيء ، أو أعان بعونٍ ما ، بعد أن توفاه مَلَكُ  
الموت الذى وَكَّلَ به .

فلو أن الله سبحانه أعطى خصائص الحياة الدنيا فى القبر لميت يعين بها  
الأحبة ، أو يمدح بقدره منه ، لوهبها لمحمد صلى الله عليه وسلم ! بيد أنك ترى  
هذه الأحداث الجسام تدمخ خيار الصحابة ، والبُرَّةَ الرياحين من آل بيته ،  
فلا نسمع أنه صلى الله عليه وسلم أمدَّهم بشيء ؛ لأنه لا يقدر على ذلك ! .

أما البدوى رغم موته ، فينعم بالحياة الزاخرة القادرة فى الدنيا ، ويهبها لمن  
يشاء من الموتى ، ويقضى حوائج الخلق ، ويعطى اليهود ، ويكلم الطائفين حول  
صنمه ، وهو رمة عفنة ! .

ألا ترى الشعرانى يجب أن يؤكد لك أن هذا البدوى الأسطورى العجيب ،  
أفضل وأكرم عند الله من سيد الخلق ؟ ! .

### صوفى يدبر الأمر

يقول الدباغ : « رأيت ولياً بلغ مقاماً عظيماً ، وهو أنه يشاهد مخلوقات  
الناطقة والصامتة ، والوحوش ، والحشرات ، والسموات ، ونجومها ، والأرضين  
وكررة العالم بأسرها تستمد منه ، ويسمع أصواتها وكلامها فى لحظة واحدة ، ويمد  
كل واحد بما يحتاجه ، ويعطيه ما يصلحه من غير أن يشغله هذا عن ذلك <sup>(١)</sup> » .

يصف عبداً بصفات الربوبية والإلهية!! ويقول أحمد التيجاني<sup>(١)</sup> عن نفسه :  
« روحى » روحه صلى الله عليه وسلم تمد الرسل والأنبياء ، وروحي تمد الأقطاب  
والعارفين من الأزل إلى الأبد<sup>(٢)</sup> ، وإذا جمع الله تعالى خلقه فى الموقف ينادى  
مناد بأعلى صوته يسمعه كل من فى الموقف : يأهل المحشر ، هذا إمامكم الذى  
كان مددكم منه ، كل ما فاض من ذوات الأنبياء تتلقاه ذاتى . ومنى يتفرق على  
جميع الخلائق<sup>(٣)</sup> » و يصفه تابع له بقوله : « إذا توجّه أغنى وأقنى ، وبلغ المنى<sup>(٤)</sup> »  
ويصفه آخر بقوله : « لا يتلقن واحد من الأولياء فىضاً من حضرة نبي إلا  
بواسطته<sup>(٥)</sup> » وآخر بقوله « نفوذ بصيرته الربانية التى ظهر مقتضاها من إظهار  
مضمرات ، وإخبار بمغيبات ، وعلم بعواقب الحاجات ، وما يترتب عليها من  
المصالح والآفات<sup>(٦)</sup> » . ويقول البسطامى : « رفعتى « أى الله » فأقامنى بين  
يديه وقال لى : يا أبا يزيد : إن خلقى يحبون أن يروك ، فقلت : ربّنى بوحدانيتك  
وألبنى أنا نيتك ، وارفعتى إلى أحديتك ، حتى إذا رأى خلقك ، قالوا : رأيناك  
لتسكون أنت ذاك ، ولا أكون أنا هناك<sup>(٧)</sup> » . ونعتُ « حرازم » للتيجانى ، بأنه  
يُغْنِي وَيُقْنِي ، ويعلم الغيب ، نعت له بصفات الله . فالله سبحانه يصف نفسه بقوله :  
(٥٣ : ٤٨) وأنه هو أغنى وأقنى (٧٢ : ٢٦) عالم الغيب ، فلا يظهر على غيبه أحداً  
إلا من ارتضى من رسول ، فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً ) .

### الكلاب أولياء الصوفية

إن البشرية فى الأغوار السحيقة من تاريخها المظلم ، وفى تيهها الوثنى ، لم تؤله

(١) أحمد بن محمد أبو العباس ولد سنة ١١٥٠ هـ

(٢) نفس ما ادعاه لنفسه الطاغوت ميرزا حسين على اللقب بالبهاء !!

(٣) (٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧) ص ٥ ج ٢ رماح حزب الرحيم وما بعدها ، ص ٣ جواهر

المعانى ص ٤٦ ، ٤٧ ج ١ لعلى حرازم .

(٧) اللمع للطوسى ص ٣٨٣ مطبعة بريل بليدن .



كلباً ، بيد أن الصوفية أرادت التجديد في صور الشرك ، وأن تبتدع أصناماً جديدة ، فألّمت مالم تُؤلّه أخطُ الوثنيات في التاريخ ! .

نقلت لك عن التلساني اعتقاده أن رمة الكلب ، هي ذات الرب الصوفي ! وعن محمد بهاء الدين مانقله عن مشائخه من تأليه الكلاب والخنازير ، فاسمع إلى الشعراني يحدثنا عن كرامات سيده العجمي .

« وقع بصره على كلب ، فانقادت إليه جميع الكلاب ، وصار الناس يُهَرَّغُونَ إليه في قضاء حوائجهم ، فلما مرض ذلك الكلب ، اجتمع حوله الكلاب يبكون ، فلما مات ، أظهروا البكاء والعيول ، وألهم الله تعالى بعض الناس ، فدفنوه ، فكانت الكلاب تزور قبره ، حتى ماتوا ، فهذه نظرة إلى كلب ، فعلت ما فعلت فكيف لو وقعت على إنسان<sup>(١)</sup> ؟ » ويقص الشعراني عن هذا العجمي : إنه كان يخرج من خلوته ، فكل من وقع عليه نظره ، انقلبت عينه ذهباً خالصاً<sup>(٢)</sup> !!

### إفكٌ وحق

ترى يناحك الرضى ياسماحة الشيخ عما افتراه الشعراني ؟ ! إلى أصبح صبيحة مدوية بالحق لعلها تهز ضميرك الديني ، وأسائلك : أسائل ماتعلمته في الأزهر ، حتى وصل بك إلى منصب القوامة المقدسة عند الصوفية على دينهم ، هذا الدين الذي يفترى له كهنته وأخباره أنه ربيع الحياة الروحية الرَّفَّافُ بالخير والحب !! ومعين الهداية الفياض بالحق والحكمة !! وأقباس من النور الأزلى ، على أشعته يصل إلى هدفه الأبدُ والخلود !! ومجالى الفردوس حيث الحور مجلّوات الجمال ،

(١) ص ٦١ ج ٢ الطبقات ترجمة العجمي .

(٢) نفس المصدر السابق وهذا معناه أنه رجل شديد الخطورة على الإنسانية ، فكيف يكون ولياً من يكون سبياً في حرمان الناس من نعمة البصر ؟ كيف يكون ولياً وهو نكبة على المجتمع ؟

وحيث الملائك في سجود التسايح !! أما هذا الدين في نظر الحق ، فنفايات مَجَّتْهَا  
مجوسية الفرس ، والهند ، وزندقة الغنوصيين ، وإلحاد الفلاسفة ، ووثنية الصابئة  
وعبدة الأصنام ! ، إنه حماة الشر والفساد من دين أولئك جميعاً ، بيد أن لطواغيته  
أسماء إسلامية ، ففتنوك بهذا الشَّفِّ الرقيق ، فلم ترهم ، وهم يدسون السم لك في  
الرحيق !! إنه أخس دين عُبد به الشيطان ، إذ أَفْتَنَ في افتراءِ بَدَعِهِ !! إنه السم  
الزعاف يقسم لك : إنه سُلَافَةُ الخلود !! ، والأفعوان الحقود يزعم : أنه ملاك رحمة  
وحبة !! والليالة السوداء في قبر المشرك تؤكد لك أنها وضاعة صبح الجنة !!  
والدمامة الشوهاة تترامى في الماخور الدنس بِرَزَّةٍ تَتَقَتَّلُ أوتئها الطاغية !! إنه  
الصوفية تزعم أنها إسلام !!.

### خزى صوفى

ولقد سجل هذا الخزى والغاز مستشرق إنجليزى صاحب الصوفية في مصر  
فأعطته العهد ثم مضى - بعد ابتلائهم - يسجل عليهم مخازيها ، ويرى بها  
المصريين جميعاً في كتابه : « ويزور المصريون الأضرحة معتقدين أنهم سينزلون  
عليهم البركات ، وإما بقصد التماس البرء من مرض ، أو طلب النسل ، ويعتبر  
المسلمون أولياءهم المتوفين شفعاء لهم عند الله ، ويقدمون لهم الندور<sup>(١)</sup> »

ويقول : « وقد جرت العادة أن يقوم المسلمون<sup>(٢)</sup> كما كان يفعل اليهود  
بتجديد بناء قبور أوليائهم وتبييضها وزخرفتها وتغطية التركيبة أو التابوت أحياناً  
بغطاء جديد ، وأكثر هؤلاء يفعلون ذلك رياء كما كان يفعل اليهود » ويقول  
جوانزيهير وهو يتحدث عن بدعة الموالد : « وكان علماء المسلمين لا يزالون

---

(١) ص ١٦٧ وما بعدها كتاب « المصريون المحدثون » للمستشرق « لين » والمسلمون  
أرباء من هذا الشرك الذى يقترفه الصوفيون ، ويرى به الرجل جميع المسلمين .  
(٢) يحمل على المسلمين أوزار الصوفية ، فما يفعل هذا مسلم . ولكنها الصوفية .

حتى القرن الثامن الهجري يعدونه « أى الاحتفال بمولد النبي » مخالفاً للسنة ، ونهت عنه غالبيتهم على اعتبار أنه بدعة مستحدثة في الإسلام . . وتنطبق هذه الحالة أيضاً على أعياد دينية أخرى ، نشأت في القرون المتأخرة ، واضطرت أن تجاهد ؛ لكي يقرها العلماء بعد أن وصموها دهرأ طويلاً : بأنها من البدع الدخيلة<sup>(١)</sup> » ويقول جوتيه : « وتقديس الأولياء إلى درجة قد تقرب من العبادة الذي نراه انتشر بعد في جميع الأقطار الإسلامية يشير في الحقيقة إلى رد فعل من الأمم والشعوب التي فتحتها الإسلام ضد العقلية الإسلامية التي لاتسلم بوسطاء أو شفعاء لدى الله . إنه لم يثر ضد إجلال الأولياء والرسول إلى ما يقرب من العبادة أى ضد هذا التغيير الخطير في العقلية الإسلامية الأولى إلا الطائفة الوهاية<sup>(٢)</sup> »

لايسوءنا أن يسجل هذه المخازى أولئك المستشرقون ، ويحملونها على المسلمين جميعاً ، ولكن الذي يجب أن نخزى به ، هو أن ندع هؤلاء الصوفية يقتفون هذه الجرائر ، وينفثون سمومها ، فيكيد للإسلام بهاءعدوه ، ويرمى المسلمين جميعاً بالحماقة والغباوة وعبادة الأساطير ، ويقول في كل كتاب : هذا هو الإسلام !! وهم يوقنون أنه دين الصوفية ، لادين الله ، ولكنهم عدو يهتبل القرصة ؛ ليمحق بها عدوآله ، ربما أخذتنا العزة ضد هؤلاء المستشرقين وحدهم ، بيد أن الواجب هو أن تأخذنا العزة بالحق ، فنجتث الصوفية من أصولها ، وكفاها أن جعلت عدو الإسلام يحمل كل خزى لها عليه !! ليس أولئك المستشرقون هم عدونا الأول ، وإنما عدونا من ملّكهم هذا السلاح يقاتلوننا به . وليس غير الصوفية !!

(١) ص ٢٢٧ العقيدة والشرعة .

(٢) ص ١٥٨ للدخل تأليف جوتيه ترجمة الدكتور محمد يوسف موسى ، أما الوهاية فكلمة ابتدعها أعداء الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب مقابل نقده الحق للصبية الذهبية المقتبة .

## أنواع الكرامات

يزعم المناوي أن للصوفيين أنواعاً من الكرامات .

« النوع الأول : إحياء الموتى ، وهو أعلاها ، فمن ذلك أن أبا عبيد اليسرى غزا ، ومعه دابة ، فماتت ، فسأل الله أن يحييها ، فقامت تنفض أذنيها ، وأن مفرجا الدماميني أحضر له فراخ مشوية فقال : طيرى ياذن الله تعالى ، فطارت . ووضع الكيلاني يده على عظم دجاجة أكلها ، وقال لها : قومي ياذن الله ، فقامت ، ومات لتلميذ أبي يوسف الدهماني ولد ، فجزع عليه ، فقال له الشيخ : قم ياذن الله ، فقام ، وعاش طويلا ، وسقط من سطح الفارق طفل ، فمات فدعا الله ، فأحياه <sup>(١)</sup> »  
نفس المعجزات التي من الله بها على إبراهيم وعيسى ، وعلى الذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها !! ويقول الكلاباذي : « أجمعوا على إثبات كرامات الأولياء ، كالمشى على الماء ، وكلام البهائم ، وطى الأرض ، وظهور الشيء في غير موضعه <sup>(٢)</sup> » وقد نظمها حسن رضوان .

وإن تجلّى جلّ شأنه على  
وَشَاهِدِ الْأَشْيَاءَ تَحْتَ قَبْضَتِهِ  
شهود غيب ، غير أنه ظهر  
وَمِنْ هُنَا أَحْوَالُ أَرْبَابِ الْهِمَمِ  
أَوْ الْهَوَاءِ ، أَوْ عَلَى السَّحَابِ  
أَوْ غَيْرِ هَذَا مِنْ أُمُورٍ خَارِقَةٍ  
وَلَيْهِ بِقُدْرَةِ تَجَمُّلِهَا  
وَأَنَّهَا تَكُونُ عَنْ قُدْرَتِهِ  
عَلَيْهِ مِنْ فِي الشَّهَادَةِ الْأَثَرِ  
كَشَيْبِهِمْ فَوْقَ الْمِيَاهِ بِالْقَدَمِ  
أَوْ طَيِّ أَوْ خَبْزٍ مِنَ التَّرَابِ  
لِعَادَةٍ ، وَالشَّرْطُ أَنْ تَوَافَقَهُ <sup>(٣)</sup>

ومن هنا دانت الصوفية بأولياء لهم « التصرف العام والحكم الشامل العام

(١) ص ١١ الكواكب الدرية لمبد الرؤف المناوي ط ١٩٣٨ م

(٢) ص ٤٤ التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي ط ١٩٣٣ م

(٣) ص ٢٣٩ روض القلوب المستطاب .

في جميع المملكة الإلهية ، وله بحسب ذلك الأمر والنهي والتقريب والتوبيخ والحمد والذم<sup>(١)</sup> . »

ويتحدث الكوهني عن معجزات سلامة الراضي : « حملت إحدى زوجات الإخوان ، وفي التاسع مات الجنين ، وبقى عشرة أيام ميتا بيطن أمه ، وعند الوضع ذاكر هذا الأنخُ شيخنا ، فقال : كذلك يافلان ؟ ! وبتمامه تم الوضع طبيعيا كأن لم يكن هناك وليد مات منذ عشرة أيام . وأحد الإخوان كُفَّ بصره ، فذاكر حضرة الأستاذ ، فقال له : إن كتمت الأمر ، أبصرت ، فرضى بالشرط فسمح على عينه ، فأبصر ، وكان لبعض وجهاء بندر الجيزة ابنة وحيدة أصابتها حمى ، وبعد شفائها ، خرس ، فلم تتكلم أبدا ، فعرضوها على الأطباء سنوات ، فلم تُشَفَ ، فأحضرها لشيخنا ، ونظر إليها نظرة ، فسألها عن اسمها ، فنطقت به ، وذهب خرسها في الحال<sup>(٢)</sup> . »

نفس المعجزات التي من الله بها على عيسى عليه السلام . وهكذا تدين الصوفية بأن من أوليائها من يبرىء الأكمه والأبرص ويحيى الموتى وكثير من هؤلاء الذين نسبت إليهم تلك القدر الإلهية طائفة تمردت على الله تمرد الشيطان ! .

### الصوفية يملكون كلمة التكوين

تزعم الصوفية أن شيوخها يقولون للشيء : كن ، فيكون ، فيتحدث أحدهم عن الولي الذي استخلفه الله ، فيقول : « إنه خليفة يملكه الله كلمة التكوين متى قال للشيء : كن ، كان من حينه<sup>(٣)</sup> . »

(١) ص ٧٩ ج ٢ جواهر المعاني لحرازم .

(٢) ص ٢٥٨ طبقات الشاذلية الكبرى للحسن بن محمد الكوهني الفاسي ،

وقد أُلِفَ كتابه في حياة شيخه « الذي مات من عهد قريب جدا » .

(٣) ص ٨ ج ٢ جواهر المعاني لعلي بن حرازم .

ويقول أبو السعود : « إن الله أعطاني التصرف منذ خمس عشرة سنة ، وتركناه نظرفاً » ويعلق ابن عربي على هذا بقوله : « وأما نحن ، فما تركناه نظرفاً وإنما تركناه لسكمال المعرفة »<sup>(١)</sup> ترى ماذا كان يعمل الله ، وأبو السعود يتصرف في الوجود ؟ . هكذا يجعل الصوفية أولياءهم شركاء الله .

### معجزات الرسل من قدرة الله

أما رسل الله ، فما كانت معجزاتهم طوع أيديهم ، كما تزعم الصوفية لشيوخها ، ولا بأمرهم ، وإنما كانت بيد الله وحده ، وبأمره ، يكرم بها نبيه متى شاء سبحانه ، لا متى شاء الرسول . ما ضرب موسى بعصاه الحجر ، أو البحر بأمره ، وما انقلب البحر بقدرته ، وإلا فقيم كان خوف موسى من أن يدركه فرعون وجنوده ، لو أنه كان حتى على ظنٍ من قدرة عصاه على فلق البحر ؟!

بل لماذا مسته رعدة الخوف حين ألقى السحرة جبالهم وعصيمهم ، حتى ثبته الله بقوله : ( ٢٠ : ٦٨ لا تخف ، إنك أنت الأعلى ) أهذه آية قدرة على صنع المعجزات ؟ أم هو العجز البشري يضرع في صدق إلى قدرة الله المنقذة ؟ . وما نزل جبريل بالقرآن على محمد بأمره ، أو إرادته ، بل بأمر الله وحده وإرادته ( ١٩ : ٦٢ وما تنزل إلا بأمر ربك ) .

وتدبر ، يتجل لك الهدى بينا من قوله سبحانه : ( ٢١ : ٦٩ قلنا : يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم ) ما قالها إبراهيم ، وإنما القائل لها - لأنه القادر عليها - رب إبراهيم . فأين من هذا زعم الصوفية ، أن شيوخها يُصَرِّفون أقدار الوجود بنزغات الهوى ، وعواء الشهوات ؟! ويقولون للشئ . كُن ، فيكون ؟! تعالى الله عما يأفك الخراصون علواً كبيراً ! .

ثم ماذا يستفيد الخلق من دجاجة يردها السكيلاني إلى الحياة ؟ ومن ذابة ،

يحيى اليسرى منها العظام ، وهي رميم ؟ ! ومن كرامات الحرثي ووحش يقترفان  
بنى الجريمة على مدرجة الطريق ؟ ! .

إن الصوفية - كما رأيت - قد حكمت بأن معجزات أولى العزم من الرسل  
طَوَّع الهوى من البُلْه الخَرَقُ المشعبذين من أوليائها ! فإذا يمنع أدياء الصوفية  
من الزعم بأن الله سبحانه أوحى إليهم قرآنًا ، كما أوحى إلى محمد<sup>(١)</sup> ، مادامت  
الصوفية تحكم بأن معجزات الرسل أنارة من قدرة المعتوهين ، ومقترفي الإثم  
والخطايا ؟ بل مادتم يا كنهة الصوفية قد حكتم بأن لأولياتكم حياة حياة الله ، وقدرة  
قهاره شاملة ، كقدرته ، فالله سبحانه ، يقول : ( ٣٦ : ٧٨ قال : من يحيى العظام ،  
وهي رميم ؟ قل : يحييها الذي أنشأها أول مرة ) ولقد زعمتم أن إحياء العظام ، وهي  
ريمم من قدرة أولياتكم ؟ ولا ريب في أن من يقدر على أن يهب لغيره الحياة ،  
قادر على أن يهب الديمومة لنفسه ، والخلود الأبدي لحياته . وإلا ، فكيف يهب  
لغيره ، مالا يهب ، أو يستطيع أن يهبه لنفسه ؟ ! رأيت إلى الصوفية ، كيف  
يصفون الحقى الشاردين في تيه الضلالة بما يوصف به الخلاق العلى الكبير وحده ؟

### رجاء آخر

بودى أيها الصوفى - وإنه لود الإخلاص الصادق - أن ترفع على راحتيك  
كتاب الله ، ثم تتدبر بعض آياته بالفكر البصير ، والقلب الخشوع ، والنفس  
المستعبدة ، ويقينى أنك حينئذ ، ستثور ثورة العاصفة على عاد ، تدمر أصنام  
الصوفية وأوثانها ، وترجم باللعنات الفضاب طقوسها وكهنوتها ! وستغمر نفسك  
القلاقة سكية الإيمان ، ويقين التوحيد .

إننا في قرن حطم العلم فيه الذرة ، الجوهر الفرد الذى دان به الأشاعرة ركنًا

(١) ادعاها ريبب الصوفية ميرزا محمد على الملقب « بالباب » ومن بعده مسيلة

ميرزا حسين على الملقب بالبهاء . وادعاها غلام أحمد القاديانى !!

سادساً من أركان الإسلام ، فهل يمكن أن تعين - أعانني الله وإياك - على تحميم تلك الطواغيت الصماء ، تقف عقبة كثرودا في سبيل الوصول إلى الله ، وتنشر الخرافات العفنة والأخلاق العفنة ، وتجمع حول عفوتها ذباباً عفناً كثيراً ! .

### سماع نطق الجمادات

يعدد ابن عربي أنواع الكرامات ، فيقول : « ومنها سماع نطق الجمادات على مراتب نطقها في العوائد وخرقها<sup>(١)</sup> » والله يقول : ( ١٧ : ٤٤ ) ولكن لانفقهمون تسبيحهم ) فهل نصدق المفتري ؛ لنكذب الله سبحانه ؟ ! : « ومنها مكالمته للملأ الأعلى ومحادثته لهم<sup>(٢)</sup> » .

ترى أكرم الصديق وعمر الملأ الأعلى ؟ بل أكمله الرسل قبل البعثة ، أوفى غير أوقات الوحي ؟ ولكن من الرسل عند الصوفية ؟ إن أى زنديق صوفي أفضل عندهم من خاتم النبيين . ألا ترى البسطامي يفتري : « تالله ، إن لوأى أعظم من لوأى محمد<sup>(٣)</sup> » ويقول : « لأن ترانى مرة ، خير لك من أن ترى ربك ألف مرة<sup>(٤)</sup> » .

### صوفي يطوف بالملكوت

يخاطب صوفي ربه بقوله : « إن قوماً طلبوك ، فأعطيتهم طى الأرض ، والمشى على الهواء ، وكنوز الأرض ، فانقلبت لهم الأعيان » ثم يتحدث عما أنعم

---

(١) ص ٧٥ مواقع النجوم لابن عربي ط ١٣٢٥ هـ

(٢) ص ٨١ المصدر السابق ، وقد أخذها ابن عربي عن أستاذه الغزالي ،

وزاد هذا فقال : إن الولي يُنادى من سرادقات العز ، كما نودى موسى !!

(٣) عن السهلي والشعراني في لطائف المنن ، ص ١٢٥ ، نقلا عن شطحات

الصوفية للدكتور بدوى .

(٤) المصدر السابق .



عليه به ربه ، فيقول : « أدخلني في الفلك الأسفل ، فدوّرنى في الملكوت السفلى ، فأراني الأرضين ، وما تحتها ، إلى الثرى ، ثم أدخلني في الفلك العلوى ، فطوف بي في السماوات ، وأراني ما فيها من الجنان إلى العرش ، ثم أوقفني بين يديه ، فقال لى : سلنى أى شىء رأيت حتى أهبه لك ، فقلت : ياسيدى مارأيت شيئاً أستحسنه ، فأسألك إياه ! »<sup>(١)</sup> حتى عرش الله ، لم يستحسنه هذا الصوفى الوقح ، ومع ذلك يزعم أن الله قال له : « أنت عبدى حقاً ! » .  
أترأه ، وهو يطوف بجوف الأرض ، لم ير « البترول » ، فيدل على مكانه قومه !؟ .

والبيومى<sup>(٢)</sup> يزعم أنه رأى الشيخ دمرداش فى السماء ، وأنه قال له : لاتخف فى الدنيا ولا فى الآخرة ، وأنه كان يرى النبى فى الحلوة ، وأنه سمعه يقول لأبى بكر : اسمع بنا نطل على زاوية دمرداش ، وأنه دخل على السيد البدوى ، ورأى النبى عنده ، وأنه خشى أن يكون واحما فى رؤية النبى ، فرأى الدمرداش عند خريجه يقول له : مد يدك إلى النبى فهو حاضر عندى<sup>(٣)</sup> ! .

### صوفى يضمن الجنة لمن يطعمه

يزعم طاغوت التيجانية الأول ماياتى : « أخبرنى سيد الوجود يقظة ، لامناماً : كل من أحسن إليك بخدمة ، أو غيرها ، وكل من أطعمك يدخلون الجنة ، بلا حساب ، ولا عقاب ، فسألته لكل من أحبنى ، ولكل من أحسن لى بشىء من مثقال ذرة ، ومن أطعمنى طعامه ، كلهم يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب وسألته لكل من أخذ عنى ذكراً ، أن تُفقر لهم جميع ذنوبهم ، ماتقدم منها ، وما

(١) ص ١٠٣ قوت القلوب لأبى طالب السكى ط ١٣٥١ هـ

(٢) على بن حجازى بن محمد البيومى توفى سنة ١١٨٣ هـ

(٣) ص ٣٢٠ ج ١ عجائب الآثار للجبرتى .

تأخر ، وأن يرفع الله عنهم محاسبته على كل شيء ، وأن يكونوا آمنين من عذاب الله من الموت إلى دخول الجنة ، وأن يكونوا كلهم معي في عليين في جوار النبي ، فقال لي صلى الله عليه وسلم : ضمنت لهم هذا ضماناً ، لا تنقطع ، حتى تجاورني ، أنت ، وهم في عليين ! «<sup>(١)</sup> .

والله سبحانه يقول لمحمد : ( ٢٨ : ٥٦ إنك لا تهدي من أحببت ) ويقول محمد صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة : « اعملي فإني لن أغني عنك من الله شيئاً » وتشهد امرأة جليظة لصحابي عند موته بقولها : أشهد أن الله قد أكرمك ، فيقول لها رسول الله معاتباً ، يضع الصواب مكان الخطأ : « وما يدريك أن الله قد أكرمك ؟ وإني لأرجو له الخير والله إني لرسول الله ، ولكني لا أدري ما يفعل بي غداً ؟ ! » أما التيجاني ؟ ! لقد قرأت قوله ، فم تحمك عليه ؟ ، غير أنني أضع إصبعك على قوله : « وكل من أطعمك » لأريك مبالغ حرص الصوفية على انتهاب أوقات الناس ؟ ! .

### قلب الصوفي أوسع من عرش الله

يقول البسطامي : « لو أن العرش ، وما حواه مائة ألف مرة ألف مرة في زاوية من زوايا قلب العارف ، لما أحس به ، فقلب العبد الخصوصي بيت الله ، وموضع نظره ، ومعدن علومه ، وحضرة أسراره ، ومهبط ملائكته ، وخزانة أنواره ، وكميته المقصودة ، وعرفاته المشهودة<sup>(٢)</sup> » .

### الملكوت في بطن صوفي

والدبّاغ الفاطمي الهدف يقول : « إني أرى السموات السبع والأرضين

(١) ص ٩٧ وما بعدها ج ١ جواهر المعاني في فيض التيجاني لملي حرازم .

(٢) ص ١٢٠ ج ٢ فصوص الحكم لابن عربي ط الحلبي ، ص ١٤١ مواقع النجوم

السبع ، والعرش داخلة وسط ذاتي ، وكذا ما فوق العرش من السبعين حجاً<sup>(١)</sup> »

### كرامات شتى

واقراً في طبقات المناوي زعمه أن الصوفية يخاطبون الموتى ، وأن جده خاطب الشافعي رضي الله عنه في قبره ، وأن روح « ذا النون المصري »<sup>(٢)</sup> كانت تدبّر أجساماً عدة<sup>(٣)</sup> ، وأن الخواص ، كانت تنزل عليه الموائد من السماء ، وأن الخضر كان يسقيه ، واقراً فيه تفضيل البسطامي<sup>(٤)</sup> الأولياء على الأنبياء<sup>(٥)</sup> وأن طارقاً طرق بابه ، فقال البسطامي : من تطلب ؟ فقال : أبا يزيد ، فأجابه : ماني البيت غير الله<sup>(٦)</sup> ، واقراً للسلمي زعمه أن داود والخضر ، لقيا إبراهيم بن آدم - وهو « بوذا » الصوفية - وخاطباه ، وأكلامه ، وعلماه اسم الله الأعظم<sup>(٧)</sup> .

### الجنة والنار يُبَدَّ مَنْ ؟

يزعم الدسوقي أنهما بيديه ، فيفتري : « أنا بيدي أبواب النار أغلقتها ، وبيدي جنة الفردوس فتحتها ، من زارني أسكنته جنة الفردوس ، وما كان ولي متصلاً بالله ، إلا وهو يناجي ربه ، كما كان موسى يناجي ربه<sup>(٨)</sup> » .

### معجزات الرسل بعض كرامات الصوفية

يفتري الدباغ هذا البهتان الجوسى ، فيقول : « كل ما أعطيه سليمان في ملكه

(١) ص ٧٣ ج ٢ الإبريز للدباغ

(٢) هو ثوبان بن إبراهيم النوبى توفى سنة ٢٤٥ هـ

(٣) سيأتيك زعم الدباغ أن روح القطب تدير ٣٦٦ جسداً .

(٤) هو طيفور بن عيسى أبو يزيد البسطامي توفى سنة ٣٦١ هـ

(٥) هذا دين الصوفية ، فابن عربي يقول :

مقام النبوة في برزخ فوق الرسول ، ودون الولى

(٦) اقرأ كل هذا في الكواكب الدرية للمناوى في تراجم من ذكرت أسماءهم

(٧) ص ٣٠ ، ٣٤ الطبقات للسلمي ، ص ٨ الرسالة للقشيري .

(٨) اقرأ ترجمة الدسوقي في الطبقات للشمراني .

وما سخر لداود ، وما أكرم به عيسى ، أعطاه الله وزيادة لأهل التصرف من أمة النبي ، ومكنهم من القدرة على إبراء الأكمه والأبرص . وإحياء الموتى<sup>(١)</sup> »

### النَّشْلُ كَرَامَةٌ صُوفِيَّةٌ

وأبى الدباغ إلا أن يفضح أقطابهم بهذه الكرامة ، كرامة السرقة خلصة ، فيقول : « إن الولي صاحب التصرف ، يمد يده إلى جيب من شاء ، فيأخذ منه ماشاء من الدراهم ، وذو الجيب لا يشعر<sup>(٢)</sup> » والدباغ قطب صوفي معبود .

أدلك على ردغة الوثنية في تلك الشَّرَكِيَّات ، أم تراها في غير حاجة إلى دلالة ؟ وكذلك الظلام ، وكذلك النَّتَن ، وكذلك اليَحْمُومُ الخائِق !

الله - وتعالى علواً كبيراً - وعرشه وكرسيه ، ملكه وملكوته ، والعالم كله إنسه وجنه ، حيوانه وجماده ، عُلوُّه وسفليه . مشاعر الناس وخواطرم وإرادتهم وعواطفهم وقلوبهم ونفوسهم . كل أولئك في دين الصوفية الآثم تحت قبضة طواغيتها ، وبطشهم ، وطُوعَ سمار غرائزهم الضارية ، وجنون شهواتهم المهومة الآبقة !

### القطب وأعوانه

أسطورة خرافية ، تنزع إلى تجريد الله من الربوبية والإلهية ، وَخَلَعِيهَا عَلَى وَهْمٍ باطلٍ سُمِّيَ في الفلسفة : « العقل الأول » وفي المسيحية : « الكلمة » وفي الصوفية : « القطب » !

والقطب : هو أكمل إنسان متمكن في مقام الفردية ، أو الواحد الذي هو موضع نظر الله في الأرض في كل زمان ، عليه تدور أحوال الخلق ، وهو يسرى في الكون ، وأعيانه الباطنة والظاهرة سريران الروح في الجسد ، ويفيض روح

(١) ص ١٢ الإبريز للدباغ ج ٢

(٢) ص ١٤ المصدر السابق .

الحياة على الكون الأعلى والأسفل ، وقد يسمى « الفوث » باعتبار التجاء الملهوف إليه <sup>(١)</sup> .

### القطب القديم والقطب الحادث

والقطب عند الصوفية نوعان . أحدهما : حادث أو حِسِّي ، وهو ما سبق الحديث عنه ، والآخر قديم ، أو معنوي ، وهو الحقيقة المحمدية . يقول القاشاني : « وهو - أي القطب - إما قطب بالنسبة إلى ماني عالم الشهادة من المخلوقات يَسْتَخَفُ بدلا منه عند موته من أقرب الأبدال منه ، أو قطب بالنسبة إلى جميع المخلوقات في عالم الغيب والشهادة ، ولا يَسْتَخَفُ بدلا من الأبدال ، ولا يقوم مقامه أحد من الخلائق ، وهو قطب الأقطاب المتعاقبة في عالم الشهادة لا يسبقه قطب ، ولا يخلفه آخر ، وهو الروح المصطفوي المحاط بلولاك ، لما خلقت الكون <sup>(٢)</sup> » .

### حقيقة القطبانية

يقول كاهن التيجانية الأكبر أحمد : « إن حقيقة القطبانية ، هي الخلافة العظمى عن الحق مطلقاً في جميع الوجود جملة وتفصيلاً ، حينما كان الربُّ إلهاً ، كان هو خليفة في تصريف الحكم وتنفيذه في كل مَنْ له عليه ألوهية لله تعالى ، فلا يصل إلى الخلق شيء كائناً ما كان من الحق إلا بحكم القطب ، ثم قيامه في الوجود بروحانيته في كل ذرة من ذرات الوجود ، فترى الكون كله أشباحاً

(١) انظر جامع الأصول للكشخاني والتعريفات للجرجاني تحت مادة « قطب »

(٢) ص ١٠٣ ج ٢ كشف الوجوه الغر للقاشاني ، وقد ادعى ابن الفارض لنفسه

أنه القطب القديم وقطب الأقطاب

في دارت الأفلاك ، فاعجب لقطبها ال محيط ، والقطب مركز نقطة  
ولا قطب قبلي عن ثلاث خلفته وقطيبة الأوتاد عن بدلية

لاحركة لها ، وإنما هو الروح القائم فيها جملة وتفصيلاً ، ثم تصرفه في مراتب الأولياء ، فلا تكون مرتبة في الوجود للعارفين والأولياء خارجة عن ذوقه ، فهو المتصرف في جميعها ، وَالْمَمْدُ لأربابها ، به يُرْحَمُ الوجود ، وبه يبقى الوجود في بقاء الوجود رحمة لكل العباد ، وجوده في الوجود حياة لروحه السكية وتنفس نفسه يُمدُّ الله به العلوية والسفلية . ذاته مرآة مجردة ، يشهد فيها كل قاصد مقصده (١) .

### علم القطب

يتحدث تيجاني عنه بقوله : « وما أكرم الله به قطب الأقطاب ، أن يعلمه علم ما قبل وجود الكون ، وما وراءه ، وما لانهائية له ، وأن يعلمه علم جميع الأسماء القائم بها نظام كل ذرة من جميع الموجودات ، وأن يخصه بأسرار دائرة الإحاطة ، وجميع فيوضه ، وما احتوى عليه (٢) » .

### خصوصية القطب

« قطب الأقطاب في كل وقت لا تقع بينه وبين الرسول حجابية أصلاً ، وحيثما جال رسول الله من حضرة الغيب ، ومن حضرة الشهادة ، إلا وعين قطب الأقطاب متمكنة من النظر إليه ، لا يحتجب عنه في كل لحظة من اللحظات (٣) »  
وحسبك هذا من تلك الأسطورة (٤) التي ألهتها الصوفية ، وجعلت منها رباً أكبر يُعبَد ، وَيُحْشَى ، وَيُرْهَب (٥) !!

(١) ص ٨١ وما بعدها جواهر المعاني .

(٢) ص ٧٩ ج ٢ المصدر السابق .

(٣) ص ٦٣ المصدر السابق .

(٤) كتبت عنه مقالا ضافياً في مجلة الهدى النبوي

(٥) العجيب أن ابن الحاج - وله سابقة فضل في محاربة البدعة - يؤمن بهذه الأسطورة ويقول عن القطب « إن الله تعالى يديره في الآفاق الأربعة من أركان الدنيا =

## أعوان القطب

أولاً: الإمامان ، وهما بمنزلة الوزيرين له ، أحدهما لعالم الملك ، والآخر لعالم الملكوت . ثانياً : الأوتاد الأربعة : وقيل هم ثلاثة ، كلما مات قطب الوقت أقيم مكانه واحد منهم ، وعِلْمُهُمْ فَيُضُّ من قطب الأقطاب ، وإن ماتوا ، فسدت الأرض ! ثالثاً : الأبدال : والبديل حقيقة روحانية تجتمع إليها أرواح أهل ذلك الوطن الذي رحل عنه وليه . وعددهم أربعون ، اثنان وعشرون منهم بالشام ، وثمانية عشر بالعراق ! رابعاً : النجباء . وهم دون الأبدال ومسكنهم مصر ! وعملهم أن يحملوا عن الخلق أثقالهم وعددهم سبعون ! خامساً النقباء وعددهم ثلثمائة ، وقيل خمسمائة ، وهم الذين يستخرجون خبايا الأرض <sup>(١)</sup> ! .

تلك هي مملكة الأساطير التي ابتدعتها خرافات الصوفية المحققي ، وخيالاتهم المخبولة <sup>(٢)</sup> ؛ ليستعبدوا الخلق لما يشتهون ، وليجعلوا منهم أخلص رهبة منهم ، وخوف مذعور . تلك هي المملكة التي ابتدعتها أوهام الصوفية إزاء ملكوت الله ؛ ليفصبوا بها من الأحياء أقاتهم وإيمانهم ، ومن الموتى أ كفانهم ! ترى ماذا بقي لله وملائكته ورسله ؟ ! الله أكبر ، له الملك في الدنيا وفي الآخرة .

## خاتم الأولياء

وكما جعل الله للنبيين خاتماً ، جعل الصوفية للأولياء خاتماً ، والعنكبوت الأول

---

= كدوران الفلك في أفق السماء» انظر ص ٣٢٨ مشتهى الخارف لمحمد بن الحضرمي الشنيطي . وهكذا تغفل الصوفية بسمومها كل من يظن بها ظناً واحداً من خير !!

(١) المصدر السابق ، ص ٩٣ جامع الأصول للكشخاني .

(٢) بل تزعم الصوفية أن كل صوفي يستطيع أن يكون قطباً يتصرف في الوجود . يقول أحدهم وهو يدئسر الصوفية بنتيجة سلوك الطريق « وصرت أنت قطب الوجود تدوره بيدك كيف شئت » ص ١١٤ ج ١ الفتوحات الإلهية ط ١٩١٣ م

الذي سال لعابه بهذه الأسطورة هو الحكيم الترمذى<sup>(١)</sup>، قال السلمي : « نفوه من ترمذ ، وشهدوا عليه بالكفر بسبب تصنيفه كتاب « ختم الولاية » ، وقال : إنه يقول : « إن الأولياء خاتماً ، كما أن للأنبياء خاتماً ، وأنه يفضل الولاية على النبوة<sup>(٢)</sup> » ويقول ابن تيمية عنه : « في كلامه من الخطأ ما يجب رده ، ومن أشنعها ما ذكره في ختم الولاية ، مثل دعواه فيه أنه يكون في المتأخرين من درجته عند الله أعظم من درجة أبي بكر وعمر وغيرهما ، ومنها ما ادعاه من خاتم الأولياء الذي يكون في آخر الزمان ، وتفضيله وتقديمه على من تقدم من الأولياء ، وأنه يكون معهم كخاتم الأنبياء مع الأنبياء<sup>(٣)</sup> » .

وتوات عنكب الصوفية على هذه الأسطورة ، حتى قتلت بها ذباباً من الخلق كثيراً . قال ابن عربي - وهو يتحدث عن علم وحدة الوجود : « وليس هذا العلم إلا لخاتم الرسل ، وخاتم الأولياء ! وما يراه أحد من الأنبياء ، أو الرسل إلا من مشكاة الرسول الخاتم ، ولا يراه أحد من الأولياء إلا من مشكاة الولي الخاتم ، حتى إن الرسل لا يرونه - متى رأوه - إلا من مشكاة خاتم الأولياء ، فإن الرسالة والنبوة - أعنى نبوة التشريع - تنقطعان ، والولاية لا تنقطع أبداً ، فالمرسلون من كونهم أولياء ، لا يرون ما ذكرناه إلا من مشكاة خاتم الأولياء<sup>(٤)</sup> »

### تفضيل خاتم الأولياء على خاتم النبيين

زعم ابن عربي في النص الذي نقلته عنه آنفاً أن الرسل لا يستمدون أشرف علومهم إلا من خاتم الأولياء ، وهذا يستلزم تفضيل الولي الخاتم على الرسل بعامّة

(١) هو غير صاحب السنن ، فهو محمد بن علي بن الحسن بن بشير أو « بشر » الترمذى الملقب بالحكيم عاش إلى حدود ٣٢٠ هـ

(٢) ص ١٧٠ ج ٢ مفتاح السعادة لطاش كبرى زادة طبع الهند .

(٣) ص ٧٩ وما بعدها رسالة حقيقة مذهب الاتحاديين لشيخ الإسلام ابن تيمية

(٤) ص ٦٢ ج ١ فصوص الحكم ط الحلبي .



وعلى النبي الخاتم بخاصة ، يقول ابن عربي : « ولما مثل النبي صلى الله عليه وسلم النبوة بالحائط من اللين ، وقد كمل سوى موضع لبنة ، فكان صلى الله عليه وسلم تلك اللبنة ، غير أنه صلى الله عليه وسلم لا يراها إلا كما قال لبنة واحدة ، وأما خاتم الأولياء ، فلا بد له من هذه الرؤيا ، فيرى ما مثله به رسول الله ، ويرى في الحائط موضع لبنتين ، فلا بد أن يرى نفسه تنطبع في موضع تينك اللبنتين ، فيكمل الحائط . . كما هو آخذ عن الله في السر ما هو بالصورة الظاهرة متبع فيه ؛ لأنه يرى الأمر على ما هو عليه ، فإنه آخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به إلى الرسول » ويقول : « وفينا من يأخذه عن الله ، فيكون خليفة عن الله بعين ذلك الحكم <sup>(١)</sup> » فضل خاتم الأولياء بأمرين ، أولهما : أخذه عن الله مباشرة ، أما خاتم النبيين فيأخذ عن الله بواسطة الملك . الأمر الآخر : هو أنه على يديه تم الدين ، فابن عربي يشير بهرائه ذلك إلى الحديث الصحيح الذي مثل فيه رسول الله ما بُعث به هو والأنبياء من قبله بيت كانت تنقسه لبنة ، وأنه صلى الله عليه وسلم ، هو الذي جاء بتلك اللبنة ، يعني أنه هو الذي آتم الله به على المسلمين دينهم .

ولكن ابن عربي يزعم أن الدين كان ناقصاً لبنتين ، فأتى محمد صلى الله عليه وسلم بواحدة ، وأتى خاتم الأولياء بهذه ، وبلبنة أخرى ، فلم يكمل دين الله إلا على يد خاتم الأولياء ! أين هذا الإفك من قول الحق جل وعلا : ( ٥ : ٣ اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً ) ؟!

### ادعاء كل شيخ أنه الخاتم

يقول ابن تيمية : « ثم إن هذا خاتم الأولياء صار مرتبة موهومة ، لاحقيقة لها ، وصار يدعيها لنفسه ، أو لشيخه طوائف ، وقد ادعاها غير واحد ، ولم يدعها

(١) ص ٦٣ ، ١٦٣ المصدر السابق .

إلا مَنْ في كلامه من الباطل ، ما لم تقله اليهود ، ولا النصارى ، كما ادعاها صاحب الفصوص<sup>(١)</sup> « وحق ما يقول شيخ الإسلام - وعهدنا به الصدق والأمانة البالغة في النقل - فابن عربي يزعم في الفتوحات المسكية أنه رأى رؤيا ، ثم يقول : « ثم عبرت الرؤيا بانحتمام الولاية بي<sup>(٢)</sup> » وادعتها التيجانية لشيخها أحمد . قال أحد أتباعه « الفصل السادس والثلاثون في ذكر فضل شيخنا ، وبيان أنه خاتم الأولياء ، وإمام الصديقين ، مُمِدُّ الأقطاب والأغواث . . . »<sup>(٣)</sup> »

### لماذا فُضِّل خاتم الأولياء ؟

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « ثم صاحب الفصوص وأمثاله ، بنوا الأمر على أن الولي يأخذ عن الله بلا واسطة ، والنبي يأخذ بواسطة الملك ؛ فلهذا صار خاتم الأولياء أفضل عندهم من هذه الجهة<sup>(٤)</sup> » وابن تيمية في فهمه الدقيق ، ووعيه الكامل ، وأمانيه التي تستعصى على التهم يقرر الحق في قوله ، فقد نقلت لك عن ابن عربي ما يؤيد الحق الذي قرره ابن تيمية . وهاهو البسطامي يقول لأهل الشريعة : « أخذتم عليكم ميتاً عن ميت ، وأخذنا علمنا عن الحى الذى لا يموت<sup>(٥)</sup> » ويقول : « خضنا بجرأ ، وقف الأنبياء بساحله<sup>(٦)</sup> » وقال ابن عربي : علماء الرسوم - يعنى أهل الشريعة - يأخذون خلقاً عن سلف إلى يوم القيامة ، فيبعد النسب ، والأولياء يأخذون عن الله ، ألقاه في صدورهم من لدنه رحمة منه ، وعناية سبقت لهم عند ربهم<sup>(٧)</sup> » يعنى أن أتباع الشريعة الإسلامية ، إنما يأخذونها عن أناس طوامم الموت ، أما الصوفية ، فلهم الصلات المباشرة مع الله ، يأخذون عنه من غير واسطة ملك أو نبي أو رسول ! وبهذا كفروا بشريعة محمد ، ومهدوا لأتباعهم الكفر بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم .

(١) ص ٦٣ وما بعدها رسالة حقيقة مذهب الاتحاديين .

(٢،٣) ص ١٥ ج ٢ ، ص ٥ رماح حزب الرحيم .

(٤) ص ٦٤ رسالة حقيقة مذهب الاتحاديين .

(٥) ص ٢٤٦ السكواكب الدرية للمناوى .

(٦) ص ٦٣ ج ٢ جواهر المعاني .

## الديوان الصوفي

للسوفية أسطورة تزعم أن في الوجود ديواناً باطنياً ، يحكم فيه القطب الأكبر بما يشاء ، ويصْرَف - هو من ومعه من أقطاب صغار - أقدارَ الوجود . إنه عند الصوفية محكمة عليا يحاكم فيها الأقطابُ أقدارَ الله ، دون أن تستطيع أية قدة إلهية نَسَخَ حكمَ لها ، وقد وصف الدباغ هذا الديوان ، وفَصَلَ مهامه ، فلنترك له الحديث عن هذه الخرافة .

### مكان الديوان وقضائه

يقول الدباغ : « الديوان يكون بغار حراء ، فيجلس الغوث خارج الغار <sup>(١)</sup> ومكة خلف كتفه الأيمن ، والمدينة أمام ركبته اليسرى وأربعة أقطاب عن يمينه ، وهم مالكية على مذهب مالك بن أنس ، وثلاثة أقطاب عن يساره ، واحد من

---

(١) سجل هذا على الصوفية الدرويش الصوفي الإنجليزي المستشرق ادوارد لين ، فقال : « ويعتقد أن سطح الكعبة مركز القطب الرئيسي ، ويفضل مركزاً آخر يباب القاهرة المسمى : باب زويلة ، ويسمى العامة باب زويلة : « المتولى » ؛ لاعتقادهم أنه مركز هذا الكائن المجهول ، ومن وراء مصراعى الباب العظيم الذى لا يقفل أبداً فضاء صغير ، يقال : إنه مكان القطب ، ويدق المصابون بالصداع سماراً في الباب لفك السحر ، كما أن المصابين بوجع الأسنان يخلعون سنّاً ، ويولجونها في أحد شقوق الباب ، وللقطب في مصر مراكز أخرى أقل شهرة ، أحدها في قبر السيد البدوى ، والآخر في مدينة المحلة ، ويعتقد أن القطب ينتقل من مكة إلى القاهرة أو من مكان إلى آخر في لحظة ، ويروى الكثير من المسلمين أن إلياس ويخلظه العامة بالحضر كان قطب زمانه ، وأنه يولى الأقطاب المتعاقبين ؛ إذ يقررون أنه لم يمِت . ويزعمون أنه شرب من عين الحياة ، ويكلف بعض الأولياء القيام ببعض الأعمال الشاقة ويقال لهم : أصحاب الدرك » ص ١٦٣ المصريين المحدثون وقد جاء هذا الإنجليزي إلى مصر في القرن ١٩ ، وتصور وأخذ العهد ثم راح يسجل الخزي الخرافي لا على الصوفيين بل على المصريين عامتهم ، فانظر جنابة الصوفية على مصر والإسلام !!

كل مذهب من المذاهب الثلاثة ، والوكيل أمامه ، ويسمى : قاضي الديوان ومع  
الوكيل يتكلم الغوث « والدباغ مغربي ، ولمذهب مالك السيطرة في المغرب ، فكان  
لا بد من هذه العصيبة التي جعلت الدباغ يزعم أن أربعة الأقطاب كلهم مالكية !  
ترى على أى مذهب كان أولئك الأقطاب قبل مالك ؟ ! ولو أن المتكلم كان  
حنفياً ، لقال : إنهم حنفيون !

### أهل التصريف

« والتصرّف للأقطاب السبعة على أمر الغوث ، وكل واحد من الأقطاب  
السبعة تحته عدد مخصوص يتصرفون تحته ! » .

### الذين يحضرون الديوان ولغتهم

« ويحضره النساء وصفوفهن ثلاثة ، ويحضره بعض الكُمَّل من الأموات ،  
ويكونون في الصفوف مع الأحياء ، والأموات حاضرون في الديوان ينزلون إليه  
من البرزخ يطيرون طيرا ، بطيران الروح ، وتحضره الملائكة والجن ، وفي بعض  
الأيام يحضره النبي ، وكلامه مع الغوث ، وأما ساعة الديوان ، فهي الساعة التي  
ولد فيها النبي ، والأنبياء يحضرونه في ليلة واحدة ، هي ليلة القدر ، فيحضره في  
تلك الليلة الأنبياء والمرسلون ، ويحضره الملائكة المقربين ويحضره  
سيد الوجود معه أزواجه الطاهرات <sup>(١)</sup> ، ولغة أهل الديوان هي السريانية <sup>(٢)</sup> ؛  
لاختصارها ، ولأن الديوان يحضره الأرواح والملائكة ، والسريانية هي لغتهم .  
والصغير من الأولياء يحضره بذاته ! » .

(١) هكذا في وسط الرجال ؟ ! ومع عظم شأن ذلك الديوان ، فإن الدباغ يقول  
عن نفسه : « إيش هذا الديوان ؟ والأولياء الذين يقيمونه كلهم في صدرى !! وإنما  
يقام الديوان في صدرى والسماوات والأرض بالنسبة إلى كاللوزونة في فلاة من  
الأرض » ص ٨ ج ٢ الإبريز .

(٢) تدبر الكيد الحفي للعربية لغة القرآن !!

## عدد أجساد القطب الكبير

« وأما القطب الكبير ، فلا تحجير عليه ، فإنه يدبر على رأسه ، فيحضره ، ولا يغيب عن داره ؛ لأن الكبير يقدر على التطور على ما شاء من الصور ، ولكمال روحه ، تدبر له إن شاء ثلثمائة وستة وستين ذاتاً<sup>(١)</sup> . »

### تقاتل الأقطاب

« وقد يغيب الغوث عن الديوان ، فلا يحضره ، فيحصل بين أولياء الله من أهل الديوان ما يوجب اختلافهم ، فيقع منهم التصرف الموجب لأن يقتل بعضهم بعضاً<sup>(٢)</sup> ، وإذا حضر سيد الوجود مع غيبة الغوث ، فإنه يحضر معه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن والحسين وفاطمة وتجلس فاطمة مع جماعة من النسوة اللاتي يحضرن الديوان . »

### فيم يتصرف الأقطاب ؟

« وأهل الديوان إذا اجتمعوا فيه ، اتفقوا على ما يكون من ذلك الوقت إلى مثله من الغد ، فهم يتكلمون في قضاء الله تعالى في اليوم المستقبل والليلة التي تليه<sup>(٣)</sup> ، ولهم التصرف في العوالم كلها السفلية ، والعلوية ، وحتى في الحجب السبعين ، فهم الذين يتصرفون فيه ، وفي أهله ، وفي خواطرم ، وما تهجس به ضمائرهم ، فلا يهجس في خاطر واحد منهم شيء إلا بإذن أهل التصرف<sup>(٤)</sup> ، »

(١) أي بعدد أيام السنة الكبيسة !! فله في كل يوم إذن جسد جديد !!  
(٢) يسفكون الدم ظلاماً ، ومع هذا فهم أقطاب كبار يتصرفون في أقدار الوجود والله يقول : ( ٥ : ٣٢ من قتل نفساً بغير نفس ، أو فساد في الأرض ، فكأنما قتل الناس جميعاً ) .

(٣) والله يقول : ( ٣١ : ٣٤ وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً ) .

(٤) وصف الله نفسه بأنه عليم بذات الصدور ، وقد وصف الصوفية أنظابهم بهذا وأكثر منه ، فماذا تقول فيهم ؟

وإذا كان هذا في عالم الرقا الذي هو فوق الحجب السبعين التي هي فوق العرش ،  
فما بالك بغيره من العوالم؟! » .

### انعقاد الديوان في غير الغار

« ويكون الديوان في موضع آخر غير غار حراء مرة في العام في موضع يقال  
له : زاوية أسا ! خارج أرض سوس ، بينها وبين أرض غرب السودان ، فيحضره  
أولياء السودان ، ويجتمعون في غير هذين الموضعين السابقين ؛ لأن الأرض  
لا تطيقهم<sup>(١)</sup> . » .

هذا هو الديوان الصوفي ، كما وصفه كاهن صوفي كبير نقلته بلفظه نفسه ،  
بل قل : هذه هي أسطورة الوثنية المحبولة الحقاء<sup>(٢)</sup> ، وكم للصوفية مثلها من أساطير!!  
قتلة سفاحون سفاكون للدماء ، ينعمهم الدباغ بأنهم يتصرفون في أقدار الله  
وملكوته؟! فماذا بقي للرب الصوفي ، وهذا ملكه كله في قبضة السفاكين؟! !

---

(١) انتهى مختصراً بلفظه من الإبريز للدباغ ج ٢ من ص ٢ إلى ص ٩ ط ١٢٩٢ هـ  
(٢) دمغهم بهذا الحبال مستشرق مسيحي ، فقال : « وللأولياء حكومة باطنة  
يرون أن عليها يتوقف نظام العالم ، ورأس هذه الحكومة الأعلى يسمى : القطب ،  
وهو أرفع صوفية عصره ، وإليه رآسة الاجتماعات التي يعقدها في انتظام مجلس  
شوراه الموقر!! وأعضاء هذا المجلس لا يعوقهم عن الحضور حواجز الزمان والمكان ،  
وإنما يأتون من أرجاء الأرض في لحظة طرف ، يعبرون البحار والجبال والصحاري  
في يسر بالغ ، ودون القطب درجات مختلفة من الأولياء ، وقد عدّها الهجویری في  
ترتيب تصاعدي كما يلي : الأختيار ال ٣٠٠ ، فالأبدال ال ٤٠٠ ، فالأبرار ال ٧٠٠ ،  
فالأوتاد ال ٤٠٠ ، فالنقباء ال ٣٠٠ ، وهؤلاء جميعاً يعرف الواحد منهم الآخر ، ولا يعمل  
الواحد منهم إلا برضى الباقيين ، وعمل الأوتاد الطواف حول الأرض جميعاً في كل  
ليلة ، فإن كان هناك مكان لم تقع أعينهم عليه ، بدت فيه في اليوم الثاني شائبة نقص ،  
فيخبرون القطب حتى يجعل همه إلى ذلك المكان المشوب ، فيراً مما أصابه بفصل  
القطب » ص ١١٩ الصوفية في الإسلام لنيكلسون ترجمة نور الدين شريية .

## بين الجاهلية وبين الصوفية

كانت الجاهلية في إسفافها الوثني أقل حماقة من الصوفية ، وتدبّر ما قصه الله عن الجاهلية وشركها ، تجدهم كانوا يوحدون الله في ربوبيته توحيداً حرمت حتى من مثله قلوب الصوفية ، إن كانت لهم قلوب ! يقول تعالى : ( ٢٣ : ٨٤-٨٩ قل : لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون ؟ سيقولون : لله . قل : أفلا تدركون ؟ ! قل : من رب السموات السبع ، ورب العرش العظيم ؟ سيقولون : لله . قل : أفلا تتقون ؟ ! قل : من بيده ملكوت كل شيء ، وهو يُحْيِي ، ولا يُمَيِّتُ عليه ، إن كنتم تعلمون ؟ ! سيقولون : لله . قل : فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ؟ ! » . هذا دين الجاهلية ولكن الله لعنهم لعناً كبيراً بشركهم ، لأنهم أشركوا بالله في إلهيته ، فتنزعوا إلى غيره بالدعاء .

أما الصوفية ، فتدين بالقتلة ، والمجرمين ، وأوغاد الفاحشة أقطاباً يتصرفون في الوجود ، ويسيطرون بقهرهم على سنن الله الكونية ونواميس الوجود التي فطرها الله وحده ، وهو الذي يصرفها وحده ، ويتحكمون في أقدار الله ، فلا ينفذ منها إلا ما يشتهون ، فأى الشركين أظفى بغيا ، وأخبث رجسا ؟ لقد وحدث الجاهلية الله في ربوبيته ، وأشركت به في ألوهيته ، أما الصوفية ، فنفتها عنه ، وأثبتتها للمفاليك الصعاليك ، بل انحدرت حتى نفت وجود الله الحق ، ونعتته بالعدم الصرف ، أفيمكن أن يقاس إلحاد الصوفية ، بشرك الجاهلية ؟ أم ترى هذا ليلاً غاسقاً ، وترى الإلحاد الصوفي دياجير تطغى ، وتتراكم ، وتطول ، حتى لا يعرف الأبد فيها بدايته ، أو منتهاه ؟ ! أجبوا يا كهنة الصوفية ! ولكن ، لا : فحسبي أن الجواب مُسْفِرُ الشُّبُح ، ووضيء البيان ، قوى الدلائل !

## الفصل السادس

### « التصوف العملي »

لقد افتروا لك أن التصوف نوعان : نظري أو إشراقي ، والغاية منه معرفة الله « بالأذواق » واكتناه أسرار ربو بيته بالمواجيد ، فكانت نتيجة أن دان مؤتفكوه بالوحدة التامة بين الخلق والخالق ! والنوع الآخر منه هو العملي ، وهو قائم على الرياضات والمجاهدات أى على الذكر والزهد والعبادة . ومحاولة التفرقة بينهما ، كالتفرقة بين الخبث وريحه المنتن ، فالنظري من التصوف وليد العملي ؛ لأن النظرية وليدة التطبيق ! وقد بينا لك دين الإشراقيين ، فلنأتك نبياً الآخرين !

### دعوى الزهد

زعمت الأوهام أن الصوفية برُّ زهادة ، وقداسة روحانية . يعرجان بالروح إلى الملأ الأعلى ، فدعى إذن أسائل كل صوفى : أليس في الإسلام ما تبلغ به النفس كالمها وسعادتها النضرة ، وما تتألق به الروح ، وتسمو إلى سماء الإيمان الحق ، والنورانية الصافية ، وما ينبغ به الفكر ، فيدرك الحق إدراكاً لا يشوبه ريبٌ وهم ، ولا يريبه ظن ، وما يصفو به القلب ، فيفيض بالخير والرحمة والمحبة ؟ أحسبت الإسلام غير مجد في تزكية الإنسان والتسامى به ، حتى تفر منحدرأ إلى الصوفية ؟ إن في إخلاص التوحيد ، وصدق الإيمان ، وطيب الإحسان فيما أنعم الله به لراحة وريفة الظل ، فنَّاء الخليل ، ثرَّة النبع في صحراء الحياة ، تترع من سلسلها العذب ما يجعل الحياة حوليك مجالى خير وسلام وصفاء ، ومجاني نعيم روحى وسعادة نفسية . عبادتك الله كأنك تراه ، تجريد لك من نوازغ الشر ونوازعه ، وتزكية لك مما يضل به الفكر ، أو تطيش الغريزة ، أو تزل العاطفة ، أو يخمد الشعور بحق الحياة الطيبة . إنها تطلقك في رحاب الوجود جهاداً دائماً في سبيل الحق ، وعملاً صالحاً



تنشد به رضاء الله وحده ، وتحقيق الخير العام للإنسانية ، وتسبيحاً وتقديساً لله وحده ، لا امتزاجاً ، أو اتحاداً ، كما تزعم الصوفية ! .

ذلك بعض مافي الإسلام ، فماذا في الصوفية؟! فيما ذكرت لك من قبل الجواب الصادق .

إن الزهد الذي تبشر به الصوفية - حين تريد اغتصاب اليتيم والمسكين<sup>(١)</sup> - ليس من شعائر الإسلام ، ولا من شرعته في شيء ، مهما حاولت الصوفية تَوْشِيته ؛ ليبدو لضحاياها شعيرة دينية سامية ! .

فمعنى الزهد تحقير الشيء ، والتهوين من شأنه في اللغة التي شرفها الله ، فنزل بها كتابه ، وبهذا المعنى وردت في القرآن ، ولم ترد مادتها فيه إلا مرة واحدة . قال تعالى يقص شأن السيارة الذين باعوا يوسف : ( ١٢ : ٢٠ ) وشروه بثمان بنحس دراهم معدودة ، وكانوا فيه الزاهدين<sup>هنا</sup> ( تأمل هذه الكلمات « بنحس ، ودراهم ، ومعدودة » ثم تأمل ورود كلمة « الزاهدين » بعدها ؛ لتدرك جيداً حقيقة معناها . فهو إذن - وهذا معناه - مما يمقته الله ورسوله ، ويبرأ منه كل مؤمن بالله . ورحمته وحكمته ؛ إذ معناه تحقير نعم الله ، والتهوين من شأنها الأعظم .

إن في الزهد الذي تزعمونه القضاء على الفرد ، وعلى قوى الجماعة الإسلامية ، فيه صرف للهمم عن الجد والسعي في سبيل الخير للفرد وللجماعة . والاستعمار القديم والحديث يعمل لنشر هذه الخرافة في الشرق وحمل أهله على الإيمان بها ؛ ليعيش أهله أذلاء النفس مهزولى القوى ، يرضون باللقمة الساغبة من فئات المستعمرين ؛ عالة على مستعبدتهم ، يجرعونهم المسكنة والصغار ! أشباحاً هزيلة ، وظلالاً كابية إِرْكَامٍ من الجيف !! وقد صدق الشرق في أحقاب من تاريخه خرافة الاستعمار

---

(١) من أعجب ما ترى . أن يدعو الشيوخ إلى الزهد . وهم يتكالبون على كل شيء خبيث ، يدعون سواهم إلى الزهد ؛ ليكون لهم هم وحدهم كل شيء . أفلا يدعون أنفسهم إلى التقوى؟! .

الصوفى ، فهوى من قمة المجد والقوة والحرية إلى حضيض المهانة والعبودية !  
نبثوني ، ماذا يحدث لو اتخذ كل مسلم من الزهد الصوفى شريعة له؟! سيكون  
المسلمون - وقد حدث - فريسة هينة سهلة ، اسكل ناب باغية ، ومضفة محتقرة  
يمجها كل مشفر! وهذا هو هدف الاستعمار ، وربيبته الصوفية التعسة ! فى  
الإسلام الذى أتم الله به على عباده النعمة ، وأكمل الدين ، كلمة لو أخذ بها  
المسلمون ، لكانوا مع الله وحده قلوباً عابدة ، ومع إخوانهم قلوباً محبة تنزع دائماً  
إلى الإيثار والغداء والتضحية : إنها « التقوى » تتقى الله ، فتطيعه طاعة قدسية ،  
وتتبع رسوله . تتقى الله ، فلا تغصب ما ليس لك . تتقى الله ، فتعمل لنفسك  
مايزكيها ، ولغيرك مايسعده ، ويحفظ عليك وعليه الحياة ( ٨ : ١ فاتقوا الله ،  
وأصلحوا ذات بينكم ، وأطيعوا الله ورسوله ) ولجلال هذه الشعيرة الإيمانية كان  
لها من الله هذا الجزاء الأعظم ( ٦٥ : ٢ ، ٤ ومن يتق الله ، يجعل له مخرجا . . .  
ومن يتق الله ، يجعل له من أمره يسراً ) .

( ٧ : ٣٥ فمن اتقى ، وأصلح ، فلا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون ) .  
( ٧ : ٩٦ ولو أن أهل القرى آمنوا ، واتقوا ، لفتحنا عليهم بركات من  
السماء والأرض ) ( ٣ : ٧٦ بلى من أوفى بعهده ، واتقى ، فإن الله يحب المتقين )  
( ١٦ : ١٢٨ إن الله مع الذين اتقوا ، والذين هم محسنون ) .  
فلماذا رغبتم عن « التقوى » إلى « الزهد » وهو تراث « المانوية » ؟ وقد هولتم  
به ، كأنما هو وحده السبيل لهداية الإنسانية الحائرة ؟ ترى هل ترون فى القرآن  
للزهد ذكراً ، أو أجراً؟! .

### أصل الزهد الصوفى

أندرى عن اقترف الصوفية دعوى الزهد الذى يحقر نعم الله ، ويعمل لتعطيم  
كل مقومات الجماعة الإسلامية؟! .

إنهم بَشَرُوا بفتنة غيِّه عن المحوسية المانوية التي آمنت بألوهية الخير والشر ،  
وبأن هذين المتقابلين في قيم الأخلاق امتزجا برهبها الأكبر امتزاجاً تاماً ، وأن  
هذا الرب « المانوي <sup>(١)</sup> » الثنائي الطبيعة ، لن يستطيع التخلص من الشر الذي  
يَقْوَمُ ذاته ، أو النجاة منه إلا بفناء العالم ، فوصى « ماني » مُسَيِّمَةً هذا الدين  
بالزهد وعدم الزواج ؛ لينحدر مسرعاً إلى هوة العدم . استمدته من « الغنوصية <sup>(٢)</sup> »  
التي زعمت أن غاية الإنسانية العظمى هي في الاتحاد بالرب !! الرب « الغنوصي »  
الذي صنعه الهوى ، وأمدته الأساطير بالوجود الأسطوري ! .

(١) نسبة إلى ماني بن فانك متنيء فارسي ، وقد وصى أتباعه بالزهد المسرف  
في الغلو . وبدعم الزواج ؛ ليفنى العالم ، فيستطيع الرب التخلص من طبيعة الشر  
الكامنة فيه . وعنه استمد الصوفية ذلك . يقول أبو طالب المكي مقترياً على رسول الله  
هذين الحديثين : « إذا كان بعد المائتين ، أبيضت العزبة لأمتي » أي عدم الزواج .  
وقال : « لأن يربي أحدكم جرو كلب ، خير من أن يربي ولدا » نفس الدين ،  
ونفس الهدف المانوي ! انظر ص ١٥٠ ج ٤ قوت القلوب ط ١٣٥١ ، تجد المانوية  
الصرفة ، ويقول الجنيد : « أحب للمبتدئ ألا يشغل قلبه بهذه الثلاث ، وإلا تغير  
حاله ، التكسب وطلب الحديث والتزوج ، وأحب للصوفي ألا يقرأ ولا يكتب ؛ لأنه  
أجمع لهم » إذا كان لا يتكسب وهو شباب ، فمتى ؟ وإذا كان لا يطاب حديث  
الرسول ، فماذا ؟ وإذا كان لا يتعلم ، فأى شيء يكون هو ؟ لو أننا نقدنا وصايا الجنيد  
لم تبق للأمة الإسلامية باقية . انظر ص ١٣٥ ج ٣ المصدر السابق .

(٢) معناها الاصطلاحى إدراك الأسرار الربانية بواسطة الكشف ، والذي  
أعطاها هذا المعنى طائفة من المفكرين ، عاشوا في القرون الأربعة الأولى من ميلاد  
المسيح ، ومنهم يهود ومسيحيون ووثنيون . وأهم ما يدنون به هو الثنائية بين المادة  
والذات الإلهية ، ومحاولة اجتياز الفاصل بينهما عن طريق سلسلة من الوسطاء ، والمادة  
عندهم هي أصل الشر ، والسبب الذي من أجله انحطت طبيعة الإنسان ، ولكن  
الإنسان يستطيع عن طريق الخلاص « أي الزهد » أن يعود إلى الذات الإلهية  
والأصل الأول . انظر ص ٧ التراث اليونانى للدكتور بدوى .

هذا هو أساس الزهد الصوفي ، وهدفه ، عليه قام ، ويقوم ، وهو كما ترى غير التقوى الإسلامية . غيرها في كل شيء ، غيرها في المعنى والروح والنسب والغاية ، فغاية الزهد الصوفي تدمير الجماعة الإسلامية <sup>(١)</sup> ، وغاية التقوى <sup>سُمُوًّا</sup> بالفرد ، وسمو الجماعة ، وتشييدٌ لصروح العدالة والحب والإيثار والإخاء الكامل ، وبالرغم مما تأفك الصوفية من دعاوى الزهد ، فإننا نرى كيانها عدواً خصياً للقناعة ، فتوجههم ضراوة الذئاب إلى الفتك بالحلان الوديمة البريئة ، ويثيرهم الجشعُ إلى سلب ما على فم اليتيم .

وإلا فاهدني إلى جواب ما أسألك عنه . أَيُحَسَّبُ قانعاً من يغصب قوت اليتيم ؛ ليتختم به بطوناً تشكو البطنة ؟! من يهتك عن أياحى المسكنة ، وأرامل الفقر أستارهنّ ؛ ليجعل منها للأصنام عمائم ضخمة كالداهية ، منتفخة كبطون السُّحْتِ ، سوداء كحقد المشرك ، حمراء كالجريمة المسفوحة ، خضراء كالعشب السام ، بيضاء كالسفن ؟! من يغصب الفُتَات من الغارمين ، ثم يأكله ناراً من الربّاء الجائر ؟! من تَخَبُّ في الحرير ، ويدب بنعليه على الطنافس ، ويزعج الهامدين بأبواق سياراته ، وتضج حانات الليل من عر بدته <sup>(٢)</sup> ، ودرأوا يشه من حوله

(١) يتحدث جولده زيهر عن أثر الزهد الصوفي في تغيير النظر إلى المثل العليا للمسلمين : « تغير النظر إلى المثل الأعلى للحياة الإسلامية ، فأصبح ينظر إليه من وجهة تخالف تلك التي أقرتها تعاليم المذاهب السنية ، وهكذا أثر الصوفيون على الجماهير الخاضعة لنفوذهم ، قتل إعجاب الناس بتلك السمة العسكرية لأبطال الإسلام - والشهداء الأقدمون ما كانوا إلا من فئسة المجاهدين - فأنصرفوا عنها ، وولوا وجوههم نحو صور الزهاد الشاحبة وأجسام العباد الهزيلة والرهبان المتقطعين في الصوامع ، بل إن الأبطال الأقدمين في عصور الإسلام الأولى الذين كانوا مثالا يحتذى ، صار لزاماً عليهم أن يحصلوا على صفات البطولة الجديدة ، أي أنهم جردوا من سيوفهم ، وألبسوا أردية الصوف !! » ص ١٥٤ العقيدة والشريعة .

(٢) قال أبو حمزة البغدادي ، مما يرأى ، ويخضع به عن حقيقة التصوف : « علامة الصوفي الصادق أن يفتقر بعد الغنى ، ويدل بعد العز ، ويخفي بعد الشهرة =

يخبون في المآسي ، و يدبون على الفواجع ، و يقتاتون بالنكبات ، و يتجرعون غصص  
الدموع ، و يمتسون دم الجراح؟! (١)  
أُحْسِبُ قناعة هذا النَّهْمِ المُسْتَشْرِىِ بالحرام ، و ذلك التكالِبُ الضارى على  
سُحْتِ الأضرحة؟! انظر إلى مَنْ حَوْلَكَ من كهانها ، و أرنى فيهم من يَمْسَهُ الزهد  
حتى خطرة ذاهلة في مضغة حَبْرَى على شَفَتَى يَتِيمٍ محروم ، نالها بعد سَنَبٍ  
يأس!!؟ ذلك هو الزهد الصوفى ، فما ذكركم؟

### الذكر الصوفى

في أعياد الوثنية التي يسمونها : موالد ، و في معابد الأضرحة التي يسمونها :  
مساجد ، و في كهوف الدراويش ، و قد آنحوا بطون الطواغيت بالسحت!!  
في تلك الحُمَمَاتِ يقيم الصوفية حانات الرقص ، أو ما يسمونه : الذكر ، فيجلس  
الشيخ بين صفين من دراويش تعشقهم الرذيلة ، و درويشات نفرت منهن الفضيلة  
ثم يصفق بيديه اللامعتين من دسم الحرام إيداناً بيده الذكر ، ثم يُخْرِجُ من  
شفتيه و منخرية اسم الله مُلْجِداً في حروفه و في النطق به!! و غضون جبينه تَهْمِزُ  
الحياء و تَلْمِزُ التقوى ، و مُنْشِدُ القوم يطربهم بِالْمَرْزَلِ الداعر في ليلى و سعاد ، أو  
بِالدُّفُوفِ يدق عليها الشيطان ، و بالنايات تصفر فيها الشهوة ، ثم يهب الشيخ ،

---

= و علامة الصوفى الكاذب أن يستغنى بعد الفقر ، و يعز بعد الندل ، و يشتر بعد  
الحفاء « ص ٤ شرح الحكم لابن عجيبة و طبّق هذا على السادة الصوفية !!

(١) قال الأستاذ التابعى : « إننى أعرف شيخ طريقة اختار أحد بارات شارع  
شريف مقراً له . و يقصد إليه في البار المذكور أتباعه و مريدوه كلما أرادوا مقابلته  
في أمر ما ، و يخرج هو إليهم و يعد يده يلثمونها ، و رائحة الخمر تفوح من فمه ، و قطرات  
الخمر على يده ، و بقايا « المزة » على صدره و ذقنه و أكلامه . . . و يلتفت الشيخ إلى  
أصدقائه الجالسين في البار و يطلق نكتة ما . و يشترك معهم في الضحك من عبط  
الريدين و الأتباع « صحيفة الأخبار ١١/٢ / ١٩٥٥ .

ويهب معه المريدون ، وَنَمَّتَ يَمِيلُونَ يَمِنَّةً وَيَسْرَةَ ، مُتَأَوِّدَةً أَعْطَافَهُمْ تَأَوُّدِ  
الراقصات يَلْمَحْنَ فِي أَيْدِي الرُّؤَادِ دِنَانَ الحمرِ وَفِتْنَةَ الذهبِ ، وما هي إلا لحظة ،  
حتى تُجَنِّ هَذِهِ الأَجْسَادُ بِمَا فِيهَا مِنْ رَغَبَاتِ مَكْبُوتَةٍ ، مَفْصَحَةٌ عَنْ غَلِيلِهَا المَحْتَرِقِ  
بِالتَّأَوُّهِ المَخْنَثِ ، وَالتَّمَايِلِ الخَلِيعِ ، وَبِالأَصْوَاتِ المُنْكَرَةِ المَبْجُوحَةِ مِنْ عَوِيلِ الخَطِيئَةِ  
وَالاستغاثَةِ بِزَيْنَبِ ، أَوْ نَفِيسَةٍ . لا يريدون زَيْنَبَ الطَاهِرَةَ ، وَلا نَفِيسَةَ العَابِدَةِ .  
وَإِنَّمَا يريدون بِهِمَا شَيْئًا آخَرَ !! فَكُلُّهُ يُغْنِي عَلَى أَثْنَاءِ !! وَهَكَذَا يظَلُونَ فِي  
اقتِرَافِ هَذَا الزُّورِ المُلْحَدِ سَاعَةٍ ، أَوْ سَاعَتَيْنِ <sup>(١)</sup> ، كُلُّهُ يَرِيدُ أَنْ يَثْبِتَ لِلْعَيُونِ  
الرَائِيَةِ فِي لَهْفَةٍ ، وَالزُّغَارِيدِ المَغَازِلَةَ فِي تَوَجُّعٍ مَشُوقٍ ، أَنَّهُ حَيَوَانٌ قَوِيٌّ الجَسَدِ !!  
وَبَعْدَ هَذَا يَزْعُمُونَ أَنَّهَا كَانَتْ مِنْ سَاعَاتِ التَّجَلُّيِّ !! وَلَسْكَمُ مِنْ أُمَّ بَاعَتْ قَوْتَ  
يَتِيمِهَا ، وَزَوْجِ سِتْرِ امْرَأَتِهِ ، وَمَدِينِ يَهْلِكُهَا الدِّينُ بَقِيَّةَ طَعَامِهِ فِي سَبِيلِ «شَيْشَةَ»  
الشيخِ ، وَ«حَشِيشِ» الشيخِ ، وَ«أَفْيُونِ» الدَّرَاوِيشِ . وَهَمْ يَرْقُصُونَ فِي  
حَانَاتِ الذِّكْرِ !!

أَتَرَانِي بِالْعَتِّ ؟ أَمْ أَنِي قَصْرَتْ ؟ إِخْلَاكَ تَنْزِعَ إِلَى اتِّهَامِي بِالتَّقْصِيرِ ، فَكُلُّ  
ذِي بَصَرٍ تَقَعُ عَيْنَاهُ عَلَى الصُّوفِيَّةِ يَمْرَبِدُونَ فِي حَانَاتِ ذِكْرِهِمْ ، تَقَعُ عَيْنَاهُ عَلَى  
مَشَاعِلِ المَجُوسِ ، تَتَوَهَّجُ كَرَّغَبَاتِ الفَاجِرِ !! وَعَلَى الدَّفُوفِ بِأَيْدِي فِتْنَةٍ ، أُسْبَلُوا  
شَعُورَهُمْ ، وَقَدْ لَمَسَهُمُ الشَّيْطَانُ بِلَهْيِيهِ ، فَرَاخُوا يَتَكَسَّرُونَ عَلَى النِّعَمِ الشَّرُّودِ ،  
وَيَهْضَمُونَ غَضُونَهُمْ عَلَى النِّظَرَاتِ المَتَوَهِّجَةِ الرِّغْبَاتِ ، وَشَيْخُ الطَّرِيقَةِ سَعِيدٌ ؛  
لَأَنَّ شِبَاكَ فِتْنَتِهِ تَوَقَّعَ فِي حِبَالِهَا المَهَائِمِينَ ، هَذَا يَحْدُثُ ، وَتَرَاهُ ، وَتَرَاهُ ، وَلا نَسْمَعُ  
النِّكِيرَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَحَدٍ !! كَأَنَّمَا رَذِيلَةُ القَوْمِ فَضِيلَةٌ مَقْدَسَةٌ !!

مَا هَكَذَا ذَكَرَ الرَّسُولُ رَبَّهُ ، وَمَا هَكَذَا ذَكَرَ الصَّحَابَةُ مِنْ بَعْدِهِ رَبَّهُمْ ،

---

(١) يَظَلُّ الرَّاqصُ الصُّوفِيُّ يَتَخَلَعُ سَاعَةً فِي حَانَةِ الذِّكْرِ ، دُونَ أَنْ يَحْسُ بِمَلَلٍ  
حَتَّى إِذَا وَقَفَ لِلصَّلَاةِ «يَخْطُ الصَّلَاةَ الحَمْسَ» فِي خَمْسِ دَقَائِقَ !! هَذَا لِأَنَّ  
الرَّقْصَ الصُّوفِيَّ شَهْوَةً وَخَطِيئَةً ، أَمَّا الصَّلَاةُ فَطَهْرٌ وَعِبَادَةٌ .

ماذكروه باسمه المفرد، ولا ذكروه في ميل وتأوُد . ماذكروه بقيادة واحد منهم  
ينطق بالاسم مصفقا ، وينطقون به وراءه . ماذكروه ، ولهم منشد يعاقل ليلي !!  
ماذكروه وأصواتهم من ضجيجها تفزع الليل ، وتصك جنباته ، ماذكروه جزاء  
مضنة لحم ، أو نفثة « شيشة » !! ماذكروه بالنايات والطبول والدفوف . ولكنهم  
ذكروه ، كما علمهم رسوله ، أما من ذكر الله ذكر الصوفية فهم مشركو الجاهلية  
( ٨ : ٣٥ وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية )<sup>(١)</sup> . وكفرة اليهودية  
والمسيحية !!

### ذكر الصوفية بدعة يهودية

جاء في المزمور التاسع والأربعين بعد المائة : « لِيَتَّبِعْ بَنُو صِهْيُونَ بِمَلِكِهِمْ  
أُسْبُحُوا اسْمَهُ بِرَقْصٍ ، بِدَفٍّ ، وَعُودٍ ، لِيُرْتَمَوْا . . . هَلَلُوا يَا ، سَبِّحُوا لِلَّهِ فِي  
قُدْسِهِ ، سَبِّحُوهُ بِرَبَابٍ وَعُودٍ ، سَبِّحُوهُ بِدَفٍّ وَرَقْصٍ ، سَبِّحُوهُ بِأُوتَارٍ وَمِزْمَارٍ ،  
سَبِّحُوهُ بِصُنُوجٍ مُهْتَافٍ »<sup>(٢)</sup> .

وهكذا يذكر الصوفية !! وحسبك أن ترى حانة صوفية يذكرون بها ؛  
لتشهد الصلة الوثيقة بين الذكر الصوفي ، والبدعة الجاهلية اليهودية !! ولكن الدباغ  
يزعم : « أن الصوفية يهتزون يميناً وشمالاً ؛ لأن الأقطاب رأوا الملائكة تفعل ذلك »  
ص ٧٢ ج ٢ الإبريز .

### الشيخ جاسوس القلب

يوجب الصوفية على الذاكِر « أن يستحضر شيخه ، وأن يستمد منه عند  
الشروع فيه ، فيقول : مددك يا أستاذي ، وأن يرى أن استمداده منه ، عينُ  
استمداده منه صلى الله عليه وسلم ، فإنه الوساطة إليه ، وأن يستأذن شيخه بقلبه ،  
فيقول : دستور يا أستاذي ! وأن يستأذن أصحاب الطريق والقدم ، وهم أهل

(١) المكاء : الصفير بالضم ، أو التشبيك بالأصابع والنفخ فيها . والتصدية : التصفيق

(٢) العهد القديم . المزمير ص ٦٤١

السلسلة ، فيقول : دستور يا أصحاب الطريق والقَدَم<sup>(١)</sup> « وهكذا توجب الصوفية على « الدرويش » أن يتلطح بهذه الوثنية قبل أن يذكر الله ، وأن يستأذن كل هذه الأصنام ؛ ليتقبل الله ذكره ، ويغمره برضاه ! حُجُبُ صَمَاءٍ تَمُورُ حَوْلَهَا الدياجير ، وتقصف الأعاصير ، تضعها الصوفية في طريق السالك ، حتى لا يرى شعاعاً من نور !

### كيفية الذكر

« أن يهتز من فوق رأسه إلى أصل قدميه ، وأن يبدأ بـ « لا » يمينا ، ويرجع بـ « إله » فيتوسط ، ويختم « إلا الله » يساراً قبالة القلب ، فإن ذكر اسما مفردا كالله ، و « هو » ضرب بذقنه على صدره ، وأن يذكر مع جماعة مع رفع الصوت ، وَيَذْتَعِجُ الكلمة من سُرَّتِهِ إلى قلبه<sup>(٢)</sup> » هذه « البهلوانية » المرعناء ، هي صورة الذكر الصوفي . ترى هل كان رسول الله - وهو يذكر ربه - يهتز من فوق رأسه إلى أصل قدميه ؟ أو كان يضرب بذقنه صدره ؟ أو كان يميل يمنا ويسرة ؟ لم يفعل شيئا من ذلك ؛ لأنه نبي ؛ ولأنه رجل أئبي الرُّجُولِيَّةِ . أمَّا رفع الصوت ، فالله يقول ( ١٧ : ١١٠ ) ولا تجهر بصلاتك ، ولا تخافت بها ، وابتغ بين ذلك سبيلا ) وأصل الصلاة الدعاء ، ولكن الصوفية يهذي ربهم يَعْدِلُونَ ! .

### صيغ الذكر الصوفي

« من آداب المريـد مع شيخه أن يذكر ما لقنه له أستاذه ، فلا يتجاوزه إلى غيره<sup>(٣)</sup> » ولهذا تعددت صيغ الذكر الصوفي ، تبعاً لتعدد الطرائق ، وتباين الشيوخ ، فمنهم من يذكر بالاسم المفرد ، ومنهم من يذكر بـ « هو هو » ومنهم

(١) انظر ص ٢٨ وما بعدها من رسالة لأحمد عبد المنعم الحلواني ، ص ٨٦ -

رسالة منحة الأصحاب لأحمد بن عبد الرحمن الشهير بالربطي .

(٢) المصدر السابق .

(٣) من رسالة الحلواني ص ٣٠



من يذكر بـ « أه أه » . وكل طاغوت صوفي يحرم على عَبْدَتِهِ أن يذكرها بغير ما أذن لهم فيه ، أو أن يذكرها بما ترقص به الطرق الأخرى ؛ لاعتقادهم أن بعض أسماء الله قد يضر ذكرها هذا ، وينفع ذاك ، أو تضر في حال ، وتنفع في حال أخرى ، والخبير بما ينفع الذاك ، أو يضره ، إنما هو الشيخ ؛ لهذا لا يستطيع « الدرويش » أن يذكر « لا إله إلا الله » إلا إذا أمره بها شيخه ، ولا ينادى ربه بيالطيف ، وإلا أصابه مسٌ أو خبال ، أو كما يسمونه « لطف » ! .

اسمع إلى القديس الصوفي ابن عطاء الله السكندري يفترى الإثم الأكبر : « اسمه تعالى « العَفْوُ » يليق بأذكار العوام ؛ لأنه يصلحهم ، وليس من شأن السالكين إلى الله ذكره ! اسمه تعالى « الباعث » يذكره أهل الغفلة ، ولا يذكره أهل طلب الفناء ، اسمه تعالى « العافر » يُلقن لعوام التلاميذ ، وهم الخائفون من عقوبة الذنب ، وأما من يصلح للحضرة ، فذكره مغفرة الذنب عندهم يورث الوحشة ، اسمه تعالى « المتين » يضر أرباب الخلوة ، وينفع أهل الاستهزاء بالدين<sup>(١)</sup> . » .

ويستمر ابن عطاء في سرد هذا البهتان حتى يستوفي أكثر أسماء الله . والله تعالى يقول : ( ١٧ : ١١٠ قل : ادعوا الله ، أو ادعوا الرحمن ، أياً ما تدعوا ، فله الأسماء الحسنى ) ويقول : ( ٧ : ١٨٠ والله الأسماء الحسنى ، فادعوه بها ، وذروا الذين يُلحدون في أسمائه ، سَيُجزَوْنَ ما كانوا يعملون ) اسمه العافر لا يصلح إلا للعوام ! كأنما أولئك الطواغيت معصومون من الذنب ، أو آلهة ! على حين كان يستغفر الرسول ربه في اليوم مائة مرة ! فهل تبحر رحما بين حق القرآن ، وبين باطل الصوفية ؟ !

(١) ص ٢٣ وما بعدها مفتاح الفلاح ط ١٣٣٢ هـ

## ذکر رسول الله

ومن عبير السنة المطهرة ، بسطع عليك ما يشفي روحك ، فقارن بينه وبين ذلك اليَحْمُومِ الصوفي . قال صلى الله عليه وسلم : « كِئْتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ : سَبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، سَبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ » « متفق عليه » وكان صلى الله عليه وسلم يقول دبر كل صلاة حين يُسَلِّمُ : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، ولا حول ، ولا قوة إلا بالله ، لا إله إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه ، له النعمة ، وله الفضل ، وله الثناء الحسن ، لا إله إلا الله ، مخلصين له الدين ، ولو كره الكافرون » « رواه مسلم » وقال : سيد الاستغفار أن تقول : « اللهم أنت ربي ، لا إله إلا أنت خلقتني ، وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك عليّ ، وأبوء بذنبي ، فاغفر لي ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » رواه البخاري .

وفي الصحيحين عن ابن عباس ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ، إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل : « اللهم لك الحمد ؛ أنت نور السموات والأرض ، ومن فيهن ، ولك الحمد ؛ أنت قيّام السموات والأرض ، ومن فيهن ، ولك الحمد ؛ أنت ربُّ السموات والأرض ، ومن فيهن ، ولك الحمد ؛ أنت الحق ، ووعدك الحق ، وقولك الحق ، ولقاؤك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والنبيون حق ، ومحمد حق ، والساعة حق ، اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، وإليك حاكمت ، فاغفر لي . ما قدمت ، وما أخرت ، وما أسررت ، وما أعلنت ، أنت إلهي ، لا إله إلا أنت ، ولا حول ، ولا قوة إلا بك » .

أرأيت إلى هذا الذكر النبوي الجامع ؟ ! إنها ضراعة النبوة والعبودية الخالصة تفتحت لها أبواب السماء ، ما فيه ذكره باسم مفرد ، ولا ضرب صدر

بذقن ، ولا هزة الرأس إلى أخمص القدم ! ما فيه التناوح بالرأس يَمِنَّةً وبَسْرَةً ، ولا نَتَعٌ من سُرَّةٍ إلى قلب . ما فيه منشد ، ولا دف ، ولا شباة . ما فيه دائرة يقف في مركزها نُصْبٌ يرقص الذاكرين بِتَصَدِّيتِهِ ! إنما فيه قلب مؤمن ضارع ملأه حب الله خشية ورهبة وتقوى ، يتوجه إلى خالقه الأعظم ، مالك الملك كله في إيمان صادق ، وتوحيد خالص ، فصلوات الله وسلامه على محمد عبد الله ورسوله .

### عبادة الصوفية

ذلك هو التصوف العملي في شعيرتيه الزهد والذكر ، فما العبادة فيه ؟ أهي تلك الركعات ، أو السجودات التي لا يقر فيها قلب ، ولا جسد ، ولا تسلم فيها لله خاطرة واحدة ، ولا يخشع شعور ، ولا يضرع دعاء ؟ فإنما هي لأصنام القبور سجد وتسايح ، ولجلاميدها الصم عبودية ، تطفح بالخشية منها ، والتقوى لها ، واللياذ بها ، والذهول المستغرق إلا عنها ! ألا ترى مساجد الله خرابا ، ومعابد القبور ، تمور بالحشود المحشودة فيها من كل صَوْبٍ وَحَدَبٍ ؟ ألا ترى مساجد الله التي طهرها الله من أوثان الأضرحة ، خاويةً على عروشها ، اما المعابد التي جثم على صدرها قبرٌ ميت ، وثوت فيها رَمْتُهُ ، أو وَهْمُهُ ، فتضيق - على رحابها الفِساخ - بالأميين لها رجاء بركات القبر ، والرَّمَّة البالية ، أو الوهم الخرافي المشيد عليه القبر ، أو العظام المنوعة من حيوانات شتى ؛ لتتصَبَّ الندور على السَدَنَةِ ؟ ! ألا ترى تلك المعابد ينفق على فرشها وإضاءتها وتبخيرها الألوْفُ ؟ ! أما مساجد الله فتترك للقربان تسليح عليها ، وللبوم ينعب فيها ! .

ما عبادة الصوفية ؟ أهي تلك الندور يحفدون بها إلى الجيف ؟ أهي هذا السجود على عتبات الأصنام دوخها وطء النعال ؟ ! أهي هذا التقبيل الملهوف العاشق لأحجار الأوثان رجاء سَلَسَبِيلِ رَحْمَةٍ منها ومغفرة ؟ أهي هذا التوسل إلى الله بعظام نخزة ، وصَفْوَانِ أَمْلَس ، وخشب عافه السوس من طول ماطم منه ؟

أهى هذا الدعاء العريض بالهامدين فى القبور ، ينشدون منهم مدد الحياة ، وروح الخلود ؟ أهى تلك الأوراد<sup>(١)</sup> الشَّرِكِيَّةُ ينعق بها الصوفية تحت سجوات ليلهم المربد ، وشفوف السَّحَرِ الراقص ، فى هياكل الطواغيت ؟! أهى هذا الخلف بالقبور والهامدين فيها ، وجعل الخلف بالله عرضة للفرار من ذنب ، أو جريرة ؟! ذلك هو الجانب العملى من التصوف فى ذكره وزهده وعبادته ، أترأه يصلح لهداية الإنسانية ، وقيادتها إلى مُثُلها العليا ؟ أم ترأه يفتك بها فتك السل الدفين بالصدر الرقيق الحزين ؟! أما جانبه النظرى ، فقد دانوا فيه كما بيَّنتُ لك بأن العبد عين الرب ، وبأن الشرك عين التوحيد ، ذلك هو التصوف بنوعيه ، إن شئت أن تجعله نوعين ! فهل ترأه يودى بالمسلمين إلا إلى التهلكة بعد أن يحيلهم من عبادٍ للرحمن إلى عبدةٍ للطاغوت ؟ من أمة قوية عزيزة كريمة موحدة الغايات والمبادئ ، إلى أشتات واهنة ، وأشباح هزيلة مستضعفة ، تضرب بها الوثنية فى متاهات الباطل ، ويقضى عليها الوهن والذل والصغار ، فتصبح المطايا الذلال للاستعمار ، وأحلاف الضعة ، والمهانة والاستكانة ؟!

### دعاوى الصوفية وأدعيتهم

عَشَّتْ الصوفيةُ بصائرَ عشاقها بما تَسَحَّرَ به من فنون الخيال القزليِّ ، والشاعرية الحاملة فى الصور البيانية المتأنقة الفتننة ، المكحولة الروعة ذلك ماجعل

(١) لكل طريقة ورد خاص بها تفضله على جميع الأوراد الأخرى ، بل تفضله على القرآن ، قال طاغوت التيجانية : « وسألته صلى الله عليه وسلم عن صلاة الفاتح ، فأخبرنى أولاً بأن المرة الواحدة منها تمدل من القرآن ست مرات ، ثم أخبرنى ثانياً أن المرة الواحدة منها تعدل من كل تسييح وقع فى الكون ، ومن كل ذكر ، ومن كل دعاء كبير أو صغير ، ومن القرآن ستة آلاف مرة » ص ١٠٣ ج ١ جواهر المعانى لابن حرازم التيجانى طريقة . فتدبر كيف تجاهد الصوفية فى سبيل صرف المسلمين عن كتاب الله !!

بعضهم يجادلنا في شأن الصوفية ، فيأتينا بأدعية ونجاوى صوفية ، فيها وَشْيُ السحر الشاعر وفتنته ، وبدعاوى فيها روحانية الحق وروعته ، ثم يقول : أو مَنْ يقولون هذا ، تفتري عليهم أنهم غير مسلمين ؟ !

لهؤلاء الذين خَلَبَهُمُ عَشْقُ الصوفية أقول : ما من كهَّانٍ نحلة ضالة ، أو أحبار دين زائف ، إلا وناجوا معبودهم ، ودَعَوْهُ بما يُخَيَّلُ إليك من سحره أنه ضراعة نبوة في فجر الوحي ، فهل نعدهم مسلمين بتلك النجاوى ، وهذه الأدعية ؟ !

سلامهم قبل الفتنة : لِمَنْ هذه النجاوى ؟ ولِمَنْ تضرعون بهذا الدعاء ؟ سلامهم عن صفات معبودهم ، وأسمائه الحسنى ، وعن شرعته التي كلفهم بها ، وهناك حين يحميئونكم توقنون أنهم لا يناجون الله ، ولا يدعونه ، وإنما يفعلون ذلك لآلهة أخرى ابتدعوها ؛ لَتُعْبَدَ من دون الله ! .

ويذكرنا هؤلاء المسحورون بدعاوى الصوفية ، إذ يفترون : « كلامنا هذا مُتَقَدِّمٌ بالكتاب والسنة ! » وكذلك زعمت كل فرقة نجمت في الجماعة الإسلامية ؛ لتجد لها أنصاراً وأعواناً من الأغرار ، الذين يخذعهم زيف القول الخلو عن رياء العمل المر ! قالتها الشيعة التي تُوَلِّهُ أُمَّتَهَا ، وقالتها المَعْظَلَّةُ ، وقالتها المُجَسِّمَةُ ، وتقولها القاديانية والبهائية ! وقد نقلت لك عن النابلسي - وهو صنم صوفي كبير - دعواه أن وحدة الوجود مستمدة من الكتاب والسنة ! .

إنك لا تستطيع أن تمنح إنساناً من أن يدعى ما يشاء ، ولكن الذي تستطيع هو أن تبطل دعواه ، وترزنها بميزان الحق من الكتاب ، وثمت تستطيع أن تحكم عليه عن بَيِّنَةٍ بالصدق ، أو الكذب فيما ادعاه . وقد ابتليت معتقدات الصوفية وأربابها وآلهتها ، فهل ترى لها أمانة من نسب إلى شرع ، أو عقل ؟

لقد وجدت الصوفية الحقيقة الأولى ، تلك التي يقررها الشرع ، ويحكم بها العقل . وهي أن الله سبحانه وتعالى مُعَايِرٌ لخلقه في ذاته وصفاته وأفعاله ، فكيف

نحکم عليها بأنها تؤمن بما يترتب على تلك الحقيقة العليا من حقائق مقدسة؟ ليس المهم أن تقول، بل الأهم أن تعمل بما تقول، فهل يعمل الصوفية بالكتاب والسنة، كما ينافق بعض زعمائهم؟! وإنما يجادلنا به عشاقُ السحر الصوفي قول ابن الفارض:

وإن خطرت لى فى سواك إرادة على خاطرى يوما حكمتُ بِرِدَّتِي  
وعلى ما فى هذا البيت من غلو الإسراف فى دعوى التجرد<sup>(١)</sup>، وحقارة الكذب، فإن هؤلاء ينسون قول ابن الفارض فى نفس القصيدة:

فلا حَيَّ إلا من حياى حياىه وطوع مرادى كل نفس مُرِيدَة  
وينسون ما طفحت به تائيته الكبرى من زندقة باغية الجرأة، تؤكد لك أنه حين يناجى رَبًّا، فإنما يعنى به أتى مستباحة العفة، أو رمة بالية أو نفسه التى تحقّق بها وجودُ ذلك الرب فى مرتبته العينية! ويجادلنا هؤلاء بقول رابعة: « ما عبدتك خوفا من نارك، ولا طمعا فى جنتك، وإنما عبدتك لذاتك »، ثم يهتفون لرابعة شهيدة العشق الإلهى! رابعة التى تزعم أنها تجردت من كل رغبة، أو رهبة، أو طمع، أو خوف! .

هؤلاء ينسون أن رابعة بهذا السحر الصوفي الفاتن تستشرف عزة الأوهية! وتفترى لنفسها الشائنة مقاما يسمو عن مقام الرسل الذين جعل الله من صفاتهم أنهم يدعونه: رَغَبًا وَرَهَبًا، أو خوفا وطمعا، يقول الله عن زكريا وآله: (٢١: ٩) إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات، ويدعوننا رَغَبًا وَرَهَبًا، وكانوا لنا خاشعين) ثم

---

(١) للارادة الإنسانية مجال فساح من الخير الذاتى، كإرادة الزواج. وكسب العيش، وإرادة التمتع الروحى بما أبدع الله من جمال فى جنات الأرض، وما على من يريد ذلك جناح من الله ذى الرحمة. ألم يقل الرسول صلى الله عليه وسلم: « حُب إلى من دنياكم النساء والطيب، وجملت قرّة عينى فى الصلاة » وهل الحب إلا إرادة مصممة قاهرة؟ فهل أشرك محمد؛ لأنه أراد ذلك؟

تأمل هذه الآيات التي تنجيك من سحر رابعة: (٧ : ١٥٤) وادعوه خوفاً وطمعاً  
إن رحمة الله قريب من المحسنين) وَصَفَ اللهُ من يدعوهُ خوفاً وطمعاً بأنهم  
محسَنون ، والإحسان أسمى مراتب العبادة ، وأكمل مقامات العبودية ،  
والعبودية هي غاية الحب ، مع غاية التذلل ، فما الحب الذي تطفح به مشاعرُ  
رابعة ؟!

(١٧ ، ١٦ : ٣٢ ، ١٧) إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذُكروا بها ، خَرُّوا سُجَّدًا ، وهم  
لا يستكبرون ، تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ، ومما رزقناهم  
ينفقون) أ رأيت في صور القديسين الناسكين أروع من صور هؤلاء الذين تتجافى  
جنوبهم عن المضاجع لذكر الله ؟! ومن أخص صفاتهم دعاء الله خوفاً وطمعاً!  
فما حب رابعة ؟!

من أخص خصائص البشرية أنها ترغب وترهب ، حتى بشرية الأنبياء  
والرسل . ترهب وهي أسمى مقاماتها ، ومن أصدق الدلائل على الحب المسيطر القاهر ،  
أن يمتلي القلب رغبة في المحبوب ورهبة منه . رغبة في رضاه ، ورهبة من غضبه<sup>(١)</sup>  
أو جفاه ، فإذا لم تسكن ثمَّ رغبة في نواله ، فقد سئمته ، وإذا لم تسكن ثمَّ رهبة من  
عقابه فقد احتقرته ، وكلما تسامى الحب ، قويت الرغبة في نوال المحبوب ، واشتدت  
الرهبة من حرمانه . الرغبة والرهبة جناحا الحب اللذان يحمق بهما فوق الذرى ،  
فإذا تجردت منهما كان حبك كاذباً ، لا يقهر منك شعوراً ، ولا يوجه إرادة .

ولكن رابعة تزعم أنها تجردت من تلك البشرية الطهور ، بشرية القديسين ،  
بشرية أولى العزم من الرسل ! فماذا وراء هذا الزعم ؟ وراء أنها في قمتها العليا

---

(١) وجزاء رضوان الله في الآخرة الجنة ، وجزاء غضبه فيها النار ، فإذا لم ترغب  
في جنته ، فأنت غير راغب في رضاه ، وإذا لم ترهب ناره ، فأنت لا ترهب غضبه ،  
وإذا لم ترعب الرضا ، وترهب الغضب ، فأنت دعي حب كذوب .

لا تدنو منها مكانة الصالحين الأبرار من أنبياء الله ، وراه أنها ليست بشراً ، بل إلهاً ، فالملائكة أنفسهم يرغبون ، ويدهنون ! وراه اتهام صريح لمن نزل القرآن - وتعالى الله عن إفك رابعة - بأنه أخطأ حين أمرنا أن ندعوه خوفاً وطمعا ، ودأجى حين رغبتنا في الجنة ، وخوفنا من النار .

دعواها التجرد شعور منها - وما أخط هذا الشعور وأكذبه - بأنها ساوت من تحب !! ثم من رابعة هذه ؟ أليست هي التي تقول عن الكعبة : « هذا الصنم المعبود في الأرض <sup>(١)</sup> » ؟

ثم اقرأ هذه الآية : ( ٦٦ : ١١ ) وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون ، إذ قالت : ربِّ ابني لي عندك بيتاً في الجنة ) هذه القديسة العظيمة التي طيب الله ذكرها ، وخلده في كتابه ، وضربها مثلا للذين آمنوا ، إنها تضرع إلى الله ؛ ليبنى لها بيتاً في الجنة ، أما رابعة التي لا تزن في القيمة خاطرة من امرأة فرعون ، فتستعلي أن تطلب الجنة ! وقرأ النور في قوله سبحانه : ( ٩ : ١١١ ) إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل ) وعد كريم عظيم من الكريم القادر ، يشتري به نفس المؤمن وماله ، وما ذلك الوعد ؟ أن تكون له الجنة ، وقد وصف وعده في ختام الآية بقوله تعالى : « وذلك هو الفوز العظيم » ولكن رابعة في تعاليتها الجاحد ، لا تراه فوزاً عظيماً ، فتطلب غيره ! أليس هذا اتهاماً للكريم بالبخل ، أو بأنه لم يحسن الوعد ، ولا شراء نفس المؤمن وماله بالجنة ؟ !

وينتفض هؤلاء إعجاباً بمعروف الكرخي <sup>(٢)</sup> ، إذ يروون عنه أنه بال على

(١) ص ٣٨ وما بعدها كتاب شهيدة العشق الإلهي للدكتور بدوي .

(٢) توفي سنة ٥٢٠ هـ وكان يقول : « إذا كانت لك حاجة إلى الله فأقسم عليه بي »

انظر ص ٩ الرسالة للشيرازي مطبعة التقدم ، فأمل منذ متى كفرت الصوفية ؟ !



شاطىء نهر ، وتيمم ، فقيل : يا أبا محفوظ !! الماء منك قريب !! فقال : « اطل  
لأبلغه<sup>(١)</sup> » لقد كان رسول الله يطوف على نسائه ، فيغتسل منهن جميعاً بغسل  
واحد ، فماذا كان لا يغتسل عقيب كل واحدة ؟ بل ثبت عنه أنه كان أحياناً يبديت  
جنباً ، غير أنه كان يتوضأ !! أ كان معروف أشد خوفاً من رسول الله ؟ والله  
أرحم مما يظن معروف ، لو أنه سبحانه قبض إليه عبده قبل أن يبلغ الماء القريب  
ليتوضأ . إنه هوس صوفي يغلوفى الحب ، حتى يتجرد من الرغبة والرغبة ، ويغلو  
فى الخوف ، حتى يتيمم والماء منه قيد شبر واحد !! فما ندرى أنحب حتى لا تخاف ،  
أم تخاف حتى لا تحب ؟! ويهتون ابن حنبل أنه سأل بشراً الحلافى عن الزكاة ،  
فقال بشر : أما عندكم فالعشر ، وأما عندنا ، فالعبد ، وما ملكت يدها لسيدة !!  
وتبرق عيون الصوفية بالسرور السكران ، وتميد أعطافهم من نشوة الخمر الصوفى !!  
هؤلاء ينسون الإثم الكبير فى قول الصوفى الحلافى : « عندنا أم عندكم »  
فإنه نزعة من الأسطورة الصوفية التى تزعم : أن الدين شريعة وحقيقة<sup>(٢)</sup> ، وأن  
الأولى دين الظاهرية ، وأن الأخرى دين الباطنية ، وقد سبق الحديث عن ذلك .  
ويتناسون أنه ينتسب إلى غير أهله حين يزعم أن هذا الخق الذى قاله : « العبد ،  
وما ملكت يدها لسيدة » هو من دين الصوفية ، أو من شرعة الباطن !

---

(١) ص ٨٣ طبقات الصوفية لاسلمى ، وقد نسبه أبو طالب إلى الرسول . نظر

ص ٢٩ ج ٣ قوت القلوب ط ١٣٥١ هـ

(٢) يقول الدباغ : « إن الولى يسمع كلام الباطن ، كما يسمع كلام الظاهر »  
ولهذا فد يعصى الولى الصوفى فى نظر الشريعة ، فيكون مطيعاً فى نظر الحقيقة .  
يقول الدباغ : « إن الولى الكبير فيما يظهر للناس يعصى وهو ليس بعاصى وإنما  
حجبت روحه ذاته . فظهرت فى صورتها ، فإذا أخذت فى العصية فليست بمعصية »  
ص ٤٢ ج ٢ الإبريز . وهكذا يطلب منا الصوفية اعتقاد أن معاصيهم طاعات !!

ثم من سيد بشر<sup>(١)</sup>؟ لقد عرفتم سيد الصوفية الذى يعبدونه ، فاعرفوا إذن سيد بشر!

ويذكرنا هؤلاء بالأدعية الصوفية التى تتبرج فيها أنوثة البيان الفاتنة ، وتنهل منها دموع الحب ، وتنوح جراحه ، ولكنى أذكر هؤلاء بأن البرهمية<sup>(٢)</sup> أو البوذية<sup>(٣)</sup> ناجت ربهابصوات من الدعاء ، يغازل الروح شعرها بالروعة الأسرة ، شفاقة الترانيم عن نفس دلها المشق ، وقلب تبلة الغرام ، كذلك صنعت الزرادشتية<sup>(٤)</sup> والمائوية ، والفرعونية واليهودية ، والمسيحية والبهائية<sup>(٥)</sup> والقاديانية<sup>(٦)</sup> ! وأنت

(١) بشر بن الحرث أبو نصر الحافى مات سنة ٢٢٧ هـ

(٢) نسبة إلى « برها » الكائن الأوحدا كما سمي في « الفيدا » كتاب الهند القديم المقدس ، وتؤمن هذه النحلة بثلاثة آلهة « براهان » الرئيس الأعلى ، و « فيشنو » إله الحياة ، والثالث « سيفا » وهو إله التدمير والحراب . وتؤمن هذه الطائفة بقدمية كهنة الدين ؛ لأنهم فى نظرهم الذين يملكون لهم الشفاعة عند الآلهة والتأثير عليهم ، وعنها أخذت الصوفية هذا التقديس .

(٣) نسبة إلى « بوذا » متنبى هندى ولد فى القرن السادس قبل الميلاد . وقد تطورت البوذية حتى اعتقدت فى بوذا أنه إله تجسد لينقد البشرية ، بأن تحمل عنها عبء خطاياها !! ويظن بعض الباحثين أنه أسطورة لم توجد ، وبصورة بوذا صورت الصوفية إبراهيم بن آدم .

(٤) نسبة إلى « زرادشت » متنبى فارسى ولد قبل المسيح ، جاءهم بكتاب اسمه أفيستا ، ثم أضيفت إليه شروح فسمى : « زند أفيستا » وتؤمن هذه النحلة بالهين أحدها للخير ، واسمه « أورمزد » وآخر للشر ، واسمه « أهرمن » إلا أن زرادشت يؤمن بانتصار الخير على الشر ، فهو ذو نزعة تفاؤلية ، لا تشاؤمية كما فى ديانة مانى .

(٥) نسبة إلى ميرزا حسين على الملقب بالبهاء ، وخلاصة دينه أن الله سبحانه يظهر فى دورات متعاقبة فى صور الرسل ، وأنه - أى ميرزا حسين على - أتم وأكمل صورة للتجسد الإلهى ، وأنه النبع الذى استمد منه الرسل جميعاً من لدن نوح إلى محمد صلى الله عليه وسلم .

(٦) نسبة إلى ميرزا غلام أحمد القاديانى نسبة إلى قاديان توفى سنة ١٩٠٨م وقد =

إذ تتلو من أدعية هؤلاء - دون أن تكون على بينة من نَسَبَتِهَا إليهم - لن تشك في أنها ضراعات القديسين ، بشرتهم برضاها السماء !! فهل نعدم بهذه الأدعية دعاة حق ، وجنود إسلام ؟! لا تسأل الداعي : بماذا تدعور بك ؟ ولكن سله أولاً : من ربك الذى تدعوه ، وما صفاته ؟!

وهاك أنماطاً من الأدعية ، فاقراها ، وتدبرها ، وثمت تشعر بقلبك ، وقد غمره اليقين بأنها ضراعة عبودية خالصة تنبتل تحت السحر فى المحاريب ، بيد أنك حين تعرف حقيقة مَنْ بَثَّ دموع الحب فى تلك الأدعية ، وإلى أى دين هو ينتسب ، سيرود بك العجب كل مرادٍ له ، وستأسى على هذا الحلم الجميل الذى نغم به خيالك لحظة ، بل ستشعر ، كأنما تهوى من قمة السماء إلى غور جبٍ سحيق عميق ! غير أن هذا سينجيك من السحر الصوفى الذى يفتتك عن الحق بما يسرك به من سلاف الأدعية ، فتظن بالصوفية فى نشوتك ظن الخير ، وتحسبها مع المسلمين فى فجر ومحراب ! .

فاقرأ معى هذا الدعاء : « اللَّهُمَّ لَتَسْكُنْ مَشِيئَتِكَ أَنْ أُسِيرَ فِي طَرِيقِ شَرِيعَتِكَ ، وَأَنْ أُرْتَبِطَ ارْتِبَاطًا وَثِيقًا بِوَصَايَاكَ ، اللَّهُمَّ احْنِ مِنْ الذُّنُوبِ وَالْعَصِيانِ وَإِغْرَاءِ الشَّيْطَانِ ، وَلَا تَجْعَلْنِي لِلشَّهَوَاتِ سُلْطَانًا عَلَيَّ ، وَلتَسْكُنْ إِرَادَتِي خَاضِعَةً لَكَ ، أَعْنِي عَلَى التَّمَسُّكِ بِالْخَيْرِ . وَاشْمَلْنِي بِرِعَايَتِكَ اللَّهُمَّ آمِينَ <sup>(١)</sup> » أترى فى هذه النجوى أنارة من باطل ؟ أم تجدها صالحة ؛ لتدعو الله بها ، وأنت حول بيته ؟ وتأمل قوله : « اللهم اللهم » وقوله : « لتكن إرادتى خاضعة لإرادتك <sup>(٢)</sup> » .

---

== ادعى أنه المسيح الموعود ، أو المهدي المنتظر ، وأن الله يوحى إليه ، وقد انشطر أتباعه من بعده شطرين أحدهما الأحمدية ، والأخرى القاديانية ، والأولى أقل غلواً من الأخرى ، وكتلتاهما تكفر من لا يؤمن بغلام أحمد على أنه المسيح الموعود !!

(١) ص ٢٤٦ كتاب الفكر اليهودى جمع دكتور هرمس ترجمة ألفريد ياوز  
(٢) قارن بهذا قول ابن الفارض « وطوع مرادى كل نفس مريدة » .

ولكن أتدرى لمن هذا الدعاء؟ إنه ليهودى! والله تعالى يقول عن اليهود: (٢: ٦١) وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ، وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ، ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا، وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) فهل شفع هذا الدعاء وغيره عند الله لليهود؟ كلا. وإن راحوا يملأون به سمع الوجود؛ لأنهم لا يدعون به الله، وإنما يدعون رَبًّا آخَرَ، اختلقته أوهامهم المادية الصماء، لقد رفعوا أيديهم إلى السماء، وهي مَلَطَّخَةٌ بدم النبيين، وفي قلوبهم شَتَّى أرباب وآلهة! وأطغى من هذا الشر، اقتربت الصوفية.

وهاك آخر: «إلهي عليك توكلت، فلا أخزى إلى الأبد، عرفني يارب طرقتك، وسُبُلَكَ، علمني، أرشدني إلى حَقِّكَ، وعلمني؛ لأنك أنت هو إلهي ومُخَلِّصِي، وإياك رجوت اليوم كله، إذا تَصَوَّرْتُ كثرة أفعالي الرَّدِيَّةِ أنا الشقي، فإني أرتعد من يوم الدينونة الرهيب<sup>(١)</sup>، لكن إذ أنا واثق بِتَحَنُّنِ إشفاقك، أهتف إليك مثل داود: ارحمني يا الله كعظيم رحمتك<sup>(٢)</sup>» وهذه النجوى الحنون، ألا تجدها رَفَافَةً تروح الحب الآمل في رحمة المعبود؟ ألا ترى فيها الهتاف بدعاء: «يا الله».

ولكن أتدرى ماهي؟ إنها صلاة رومية أرثوذكسية! والله تعالى يقول عن هؤلاء، ومن دان دينهم: (٥: ٧٣) لقد كفر الذين قالوا: إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد) فهل شفع، أو يشفع هذا الدعاء، ومثله لهم؟ أتراه ينسخ عنهم حكم الله بأنهم كفرون؟! كلا، وإن تجاوزت بأصدائه جنبات الوجود! فقد آمنوا برب هو ثالث ثلاثة، فلم يناجوا بها «الله» حقا، وإنما ناجوا بها ربًّا، يزعمون أنه تجسد في ثلاثة مظاهر! وكفَّر الصوفية أشدَّ شناعة؛

---

(١) قارن بهذا زعم ابن عربي أن الوعد في الآخرة عين الوعيد، وأن النار عين الجنة!!

(٢) ص ٢٤١، ٢٦٨ كتاب خلاص النفوس في الصلوات والطقوس

فقد آمنت بربِّ هو عينُ كل شيء! أو كما يقولون في تسبيحيتهم المقدَّستين :  
« المظاهر عين الظاهر » يعنون بالمظاهر أنواع الخلق ، وبالظاهر الله تعالى وتقدس  
والأخرى : « ذات ماترى ، عين مالاترى » يعنون أن ماتراه بمينيك من مظاهر  
الوجود هو عين الإله الصوفى ! .

وهالك دعاء آخر : « السلام عليك أيها الإله العظيم ، لقد أتيت إليك  
ياسيدى فى سلام ، فكن بى عطوفا ، فأنت صاحب العطف ، واستمع لندائى ،  
لَبَّ ما أقوله ، فإنى أنا واحد من عابديك <sup>(١)</sup> » أتستكر من هذا الدعاء شِرْكا ؟  
أو تستنكر منه وثنية ؟ ولكنك إذ تبئلى معتقد صاحبه ، تستخدم عاطفتك مقتآله ،  
ولسانك لعنة تنصب عليه ؛ فإنه لوئذية فرعونية عبدت ربَّها فى صورة مجل ،  
أو كوكب ! وكذلك الصوفية ! بل إنها مرَّغت تلك الوثنية الفرعونية فى ردَّعتها  
ثم خرجت بها صوفية تعبد كل شيء !

واستمع معى إلى هذا الدعاء : « ربنا إنا نتوجه إليك ، وتضرع بين يديك  
ونذرك بالتهليل والتكبير ، ونثنى عليك بالتسبيح والتقدیس . إلهى ! وملاذى ،  
وكهف صَوْنى وعَوْنى فى شدائدى و بلائى ، إنى أبسط إليك أ كف الضراعة ،  
وأمد إليك أيدى الابتهاى ، ياربى المتعالى ، وياذا الجلال والجمال ، أن تنزل كل  
بركتك وموهبتك ، وسابقة رحمتك ، وسابقة نعمتك على أحببتك الذين شملتهم  
لحظات أعين رحمانيتك <sup>(٢)</sup> » فهذه النجوى المضمَّحة بالعبير سكران الرُّوح ، غرامى  
النفحات ، أتمس فيها شيئا يرغب عنه إخلاص توحيدك ؟ ولكن أتدرى لمن هى ؟  
إنها للزنديق القزم القمىء عباس بن ميرزا حسين أو « عبد البهاء » يناجى بها ربَّه  
أفتجعل منه هذه الصلاة مسلما ناسكا فى الفجر ؟! كلا ، فإنه لا يناجى بها الله ،  
وإنما يناجى بها أباه ميرزا حسين على الذى آمن به زنادقة البائية من الشيعة أنه

(١) ص ٣٤١ « مصر » تأليف أدولف إرمان ترجمة الدكتور عبد المنعم بكر .

(٢) ص ٢٢٠ ، ٢٦٥ مكاتيب عبد البهاء .

أتم وأكمل مظهر تجسدت فيه الذات الإلهية ، فقد زعم لهم ذلك ، فأمنوا بما زعم !  
وقد زادت الصوفية هذا الكفر خطيئة ، فعبدت رباً يتجسد بذاته ووجوده  
وصفاته وأفعاله في كل شيء !

## مقارنة

ثم قارن بين تلك الأدعية التي آمنت ألفاظها ، وكفرت قلوبها ، وبين هذا  
الدعاء الصوفي الذي كفر لفظه ومعناه وقلب مفتريه ! « إلهي استهلك كَلْبِي  
في كَلْبِيَّتِكَ ، وأمدَّ أَوْلِيَّتِي بِأَوْلِيَّتِكَ ، حتى أشهد أوليتك في أوليتي ، وآخريتك  
في أُخْرِيَّتِي ، وظاهرِيَّتِكَ في ظاهرِيَّتِي ، وباطنيتك في باطنيتي ، وقابلتكَ في  
قابلِيَّتِي ، وأنت في إنِّيَّتِي <sup>(١)</sup> ، وهُوِيَّتِكَ في هُوِيَّتِي <sup>(٢)</sup> ، ومعيتك في معيتي ،  
حتى أكونَ عنوانَ ذلك السر كله بل شكله وصورته <sup>(٣)</sup> » يدعو الله سبحانه ،  
وتعالى أن يجعله عينه وجوداً وذاتاً وحقيقة ! ! وَمَنْ يَجْرُؤُ عَلَى هَذِهِ الزندقة غير  
ابن عربي ؟ !

وإليك صلاته على نبيه : « اللهم صل وسلم وبارك على الطلعة الذات  
المُطَلَّسَمِ ، والغيث المُطْمَطِّمِ ، لاهوت الجلال ، وناسوت الوصال <sup>(٤)</sup> ، وطلعة  
الحق ، هوية إنسان الأزل <sup>(٥)</sup> ، في نشرٍ مَنْ لَمْ يَزَلْ <sup>(٦)</sup> ، من أقمَّت به نواصيتَ

(١) أي وجوده الظاهر .

(٢) الهوية باطن الذات الإلهية عند الصوفية ، يطلب من الله أن يجعل وجوده  
الباطن والظاهر عين وجوده هو في إنيته وهويته !!

(٣) ص ١٥ مجموعة الأحزاب ط استامبول سنة ١٢٩٨ هـ

(٤) أي الإنسان الذي وصل بين الألوهية والإنسانية في ذاته ، فباطنه لاهوت ،  
وظاهره ناسوت .

(٥) أي حقيقة الله ، فالله عند ابن عربي إنسان قديم !

(٦) أي هو الإله القديم الذي ظهر في صورة إنسان ، وعن هذا الإنسان انتشرت  
جميع الأنواع الخلقية ، وعنه ينتشر مالا يزال في مكنون الغيب من أنواع الخلق .

الفرق إلى طريق الحق ، فَصَلَّ اللهم به منه فيه <sup>(١)</sup> ! يقول ابن عربي : اللهم صل على محمد الذي تَجَسَّدَ فيه الله ، اللهم صل على نفسك التي ظهرت ، وتظهر في صور الكائنات . ألا ترى مع الحق أن هذا الدعاء الصوفي يَحْمُومُ الكافر الأليم ، وخطيئة الوثنية الجاحدة ؟

وما إخالك بعد هذا يَمُنُّ ستخدعه فتنة السراب الخلوب فيما تنغزل به الصوفية من أدعية شعرية أو نثرية ، فإنها إذ تدعو ، أو تصلى ، فإنما تفتري ذلك لرب ليس هو ربك الحق أيها المسلم ، قد يفتنك من الصوفي دعاؤه : « اللهم » غير أن هذا الدعاء يهتف به البوذي واليهودي والبهائي ، وكلُّ يعنى به رب هواه ، وإله أساطيره ! وقد يمدعك من الصوفي قوله : « اللهم صل على محمد » ويقولها أيضاً البهائي ! فمحمد الذي تصلى عليه الصوفية ، ليس هو خاتم النبيين ، وإنما هو ظن ابتدعه ، وسموه : « محمداً » ؛ ليفتنوك به . محمد هو إله الآلهة الصوفية في تجسد بشري ، بل إنك لترى الصوفية في كتبهم لا يسمونه إلا : بـ « الحقيقة المحمدية » يعنون بذلك أن الله حقيقة متعينة أو متجسدة في صورة محمد ! ! ( ٦ : ١١٦ إن يتبعون إلا الظن ، وإن هم إلا يخرصون ) ( ٤٥ : ٢٢ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه <sup>(٢)</sup> ، وأضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة ، فمن يهديه من بعد الله ، أفلا تذكرون ؟ ) هذا حكم الله ، فبأيِّ حكم بعده تؤمنون ؟ !

وإفلك الصوفية أنهم أحباء الله ، وأحباء رسوله ! يفترون ذلك في صوت ناعم رقيق ، فيرَّعشُ جسدك سكرُ الصوت المُعَمَّ بأنوثة الرياء ، وخنوثة النفاق فيصرخ « الدرويش » في وَجْهِ مَنْ يذكُرُه بالحق : « أَوْ مَنْ يقولون ذلك

(١) ص ١٤ المصدر السابق .

(٢) العجب أن ابن عربي يقرر أن الهوى إله حق يجب أن يعبد ، ويستشهد

بهذه الآية ، ويقرر صحة عبادة الهوى !! انظر ص ١٩٤ فصوص الحكم ط الحلبي ج ١

تفترون عليهم أنهم عدو لله؟! « ولكن لا تنس يا صاح أن اليهودية والنصرانية زعمتا هذا ، فكذبهما الله ( ٥ : ٢٠ ) وقالت اليهود والنصارى : نحن أبناء الله ، وأحباؤه . قل : فلم يعذبكم بذنوبكم؟! بل أتم بشر ممن خلق ) ( ٤٧ : ٢٨ ) ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله ، وكرهوا رضوانه ، فأحبط أعمالهم ) والدليل على الحب الصادق لله طاعته وتقواه ، ومتابعة رسوله فيما جاء به ( ٣ : ٣١ ) قل : إن كنتم تحبون الله ، فاتبعوني يُحِبِّبْكُمْ اللهُ ) .

ولقد ذكرت لك دين الصوفية كما هو في كتبهم المقدسة ، فهل تجد فيه بركة من ظنّ ، تميل بك إلى توهم أنهم أحياء الله وأوداء رسوله ؟ إنهم دانوا بأخبارهم وكنهاتهم أرباباً من دون الله ، فكيف تصدق أنهم أحياء الله ورسوله ؟

ودعوى حبههم للرسول وآل بيته دعوى الرجس أنه قداسة ، والإثم الكبير أنه روحانية فضيلة !! وكتلك الفرية افتراء الشيعة أنهم أحياء آل بيت محمد !! أترى الشيعة والصوفية : اتبعوا الرسول ، وجعلوه وحده الأسوة والقدوة الحسنة؟! ما هم ما يحتاجون به لدعواهم سوى العكوف على الأضرحة الزنيمة المفتراة لآل البيت ! سوى تلك القباب التي شيدها معبودة على عظام نخرة ، لاتدرى أهي لحيوان أم إنسان ، أم هي أمشاج من عظام شتى ، لاتدرى أهي لصالح أما طالح ، لمسلم أم يهودى ، فقد شيدها الفاطمية في مصر ؛ لتصرف الناس عن حج بيت الله ، ولتجعل قلوب المسلمين نفسها قبوراً خربة ، ثم سمّتها بأسماء آل البيت ، وأقامت على سداتها وعبادتها الصرفية ! ما لهم من دليل على حبههم لآل البيت سوى عبادة تلك الأصنام بتقريب أستارها وأحجارها ولثم نحاسها وخشبها ، وتعطير أجوانها ، والاستشفاع بأعبائها ، واقتراف الأعياد الوثنية في كل موسم لها . وسل الآمين تلك « الموالد » عن عر بدة الشيطان في باحاتها ، وعن الإثم المهتوك في حاناتها ، وعن حم الشهوات التي تنفجر تحت سود ليلاتها<sup>(١)</sup> ! . وهكذا تكذ الصوفية

---

(١) يصف الجبرتي ما كان يحدث في مولد العففي - وكأنما يصف موالد اليوم =



في سبيل أن تجعل دنيا المسلمين كلها مقبرة ، قفراء إلا ابن الوحشة ، جرداء إلا من  
الرهبنة والفرع ، خاوية إلا من الخطايا تُقْتَرَفُ باسم الإسلام ! تكذ في سبيل أن  
تجعل نفوس المسلمين مقابر ، وغاياتهم المقابر ، وآلهتهم العظام البوالى في المقابر !  
وتحث المسلمين ؛ ليجعلوا الحياة كلها قبراً بانياً إلى غيابات العدم ، وجيف المقابر ! فما  
ينقضى في مصر أسبوع إلا وتمشد الصوفية أساطير شركها ، وعِبَادَ أوثانها عند  
مقبرة يُسَبِّحُونَ بحمد حيفتها ، ويسجدون أذلاء لرمتها ، ويقترفون خطايا الجوسية  
في حَمَائِهَا ، ويحتسون آثام الحجر و«الحشيش» والأجساد التي طرحها الليل على الإثم  
فجوراً ومعصية ! ويسمون لها للناس : « موالد » أو مواسم عبر وذكريات خوالد !  
وما تجتمع جماعة صوفية ، أو تنفض ، إلا ليبحثوا كيف يحتفلون بصنم قبر ،  
أورمة قبر ؟ ! وما يُهَيِّئُ ليل على صوفى ، أو يُفْرِغُه بالنور نهار ، إلا وقلبه مستعبد  
بهوى صنم قبر ، أورمة قبر ! وما يقعد صوفى أو يقوم ، أو يركب أو يمشى إلا  
وينفق مستغنياً بصنم قبر ، أورمة قبر ! قبور قبور ! هذه هي دنيا الصوفية ، لها  
جهاد الصوفية ، ولربما عبادتها ، لها تحيا ، ولها تموت ، وبها تعيش ! وخير ماتمناه  
الصوفية ، هو أن يهلك المسلمون جميعاً ، حتى يكون في كل ساعة « مولد » مقبرة ،  
وعيد رمة ! فليقتل المسلمون أنفسهم ؛ ليمدوا الصوفية بأعياد كثيرة للقبور ، ونذور

---

« ينصبون خياماً كثيرة وصواوين ومطابخ وقهاوى ، ويجتمع العالم الأكبر من  
أخلاق الناس ، وخواصهم وعوامهم ، وفلاحى الأرياف وأرباب الملاهى والملاعب  
والغوازي والبغايا والقرادين والحواة ، فيملثون الصحراء والبستان ، فيطئون القبور  
ويولون ويتغوطون ويزنون ويلوطون ويلعبون ويرقصون ويضربون بالطبول  
والزمرور ليلاً ونهاراً ، ويجتمع لذلك الفقهاء والعلماء ، ويقندى بهم الأكابر من  
الأمراء والتجار والعامّة من غير إنكار ، بل يعتقدون أن ذلك قرينة وعبادة ، ولولم  
يكن ذلك ، لأنكره العلماء ، فضلاً عن كونهم يفعلونه ، فإله يتولى هدايتنا أجمعين »

ص ٢٢٥ ج ١ تاريخ الجبرتي ط ١٣٢٢ هـ

للجحيم ! ما لهم من دليل على جهم للرسول وآل بيته سوى تلك « التواشيح »  
التي يتغزلون بها في العيون الحوالم النعس ، والشفاه الظواهي اللعس ، والأهداب  
المسبلات في إغراء على لهب من الورد يتوهج في الحدود النضر ، تلك هي أدلتهم !  
ويا لها من أدلة ! حياة كلها خطايا ، وقلوب أربابها رمم معبودة ، ونفوس آلهتها  
جيف ، وأفكار كلها للأساطير وحياة ميتة ، ووجود يفزع منه العدم ، ودنيا تخول  
خامد تعصف بها الذلة . فأين الكفاح في سبيل بناء الحياة ؟

إن الله سبحانه وصف لنا نفسه في كتابه الحق بصفاته المقدسة ، وسمى نفسه  
بأسمائه الحسنى ، فوصفه المسلمون ، وسموه بما وصف ، وسمى به نفسه ، فلم يفتروا له  
صفة ، ولم يبتدعوا له اسما ، ولم يخلقوا لصفاته ، ولا لأسمائه معاني غير التي وردت  
في اللغة التي نزل الله بها كتابه ، هذا ؛ لكيلا يفتروا عليه ما لم يتكلم به ،  
أو يصفوه بما لا يحبه ، أو يسموه بما لا يرضاه ، وشرع سبحانه لنا شرعاً هادياً  
كريماً ختم به شرعته ، بلغه رسوله الأمين ، فلم يدخل المسلمون في شرعه سبحانه  
مالم يس منه ، ولم يتهموا شرعه بالقصور أو التقصير ؛ لأن ربه الحكيم الخبير  
خالق الزمان والمكان ، يعلم ما يصلح لكل زمان ومكان ، وقد أخبرهم سبحانه  
أن رسالة محمد ، هي خاتمة الرسالات ، فليس بعده من نبي ولا رسول ، فما جاء به  
صالح للحياة ، حتى تقوم الساعة ، وإلا اتهمنا من نزله بأنه غير عليم ولا خبير ولا  
حكيم . كذلك لم يتهم المسلمون شرع الله بالجمود ، ولا بأنه عقبة كئود تقف في  
طريق سُمُو حضارة الإنسانية ، أو تقدمها . أما الصوفية ، فتجحد بما وصف الله ،  
أو سمي به نفسه ، وتكفر بوحيه ، وتؤمن برب تجزأت ذاته ، فكانت كل شيء .  
تراه العين ، أو يطيف بالظن ، فلتتأجج الصوفية بصلواتها ماشاء ، ولتدوّ بالدعوات  
تحت أقبية الليل في هياكلها العبقة بالبخور الوثني ، فإنما تناجي أصناماً ، وإنما  
تضرع إلى رمم ! .

## دعوة الصوفية الأخلاقية

يزعم بعض الكتّاب أن الصوفية دعوة أخلاقية مثالية ، ويستشهد لذلك بما يلصحه في كتبهم من دعوة إلى الأخلاق الفاضلة ، وبما يفتنه من روعة الجمال في البيان الأدبي عن تلك الدعوة ، وعلى ما في هذا الزعم الغافل من غضون سود من الكذب ، وتجاويد كابية من الباطل ، فإنني أقول : إن الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة كرمٌ مشترك بين الأديان جميعها ، سواء منها ما نزل به وحى من الله ، أو ما افترته الأهواء ، وأفكته الأساطير ، فنش في كتب البوذية والبرهمية ، والزرادشتية والمناوية والغنوصية وإخوان الصفا ، بل فنش حتى في كتب اليهود الوضعية ، وفي كتب أية نخلة<sup>(١)</sup> ضالة ، تجد دعوة تلتهب حماسة إلى التسامى بالخلق ، وإلى تحقيق مثله العليا ، فليست الصوفية - إن صدقنا زعمها - بدعاً في زعمها ، وإنما هي كغيرها من الدعوات الضالة ، شرٌّ ينافق بأنه : برُّ الخير ، ورذيلة ترائى بأنها : روح الفضيلة ، وكفر يمتثال بأنه : إيمان النبوة ، فليست الدعوة الخلقية هي الفيصل بين دين ودين ، أو دعوة ودعوة - فإنها في كل دعوة ، وفي كل دين - وإنما الفيصل بين الأديان والدعوات ، وكونها حقاً أو باطلاً ، خيراً أو شراً هو العقيدة التي تنبعث عنها هذه الدعوة الخلقية ، أو الباعث الذي يكمن وراء السلوك ، والغاية التي توجهه إلى هدفه ، وترجى منه . وقد ذكرت لك دين الصوفية ، أو عقيدتها ، فهل تجدها حقاً ؟ وهل نعتبر ما تدعو إليه من المثل الأخلاقية خيراً ، وإن كانت رائعة البيان فاتنة الصور ، خيرة المظهر ؟ وهل نعتبر ما ينبعث

---

(١) فالبهائية مثلاً تزعم أنها تؤمن بكل الكتب السماوية ، كالنوراة والإنجيل والقرآن ، وتسجل هذا في كتبها ، وتزعم أنها تدعو إلى السلام العالمي ، والإخاء البشري العام ، فهل نحكم بأنها نخلة مؤمنة مسلمة ؟ كلا . فإنها تدين برب تجسد في سيدها ميرزا حسين علي . والصوفية شر منها في معتقداتها الباطلة .

عنها من عمل خيراً في ذاته ، كبيرٍ يقيم ، أو جهادٍ في سبيل مثل أعلى يعطف الإعجاب ، ويُلمهم الفِدَائِيَّةَ ؟ كلا . فالله يقوله لنبيه : ( ٣٩ : ٦٥ ) إنَّ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ) وإن كان عمله خيراً نبيلاً في أعراف السُّلُوكِيِّينَ . هذا ؛ لأن الباعث ، أو النية ، أو العقيدة التي ينبعث عنها هذا العمل ، ليست حقاً ولا خيراً ، فكل ما ينتج عنها من سنوك ، فهو مثلها باطل وشر . أم ترى هذا البطل العربي الذي قاتل مع أصحاب النبي قتالاً ليس كمثلته قتال في الصبر والجِلَادِ والبطولة التي تكافح الموت . لقد قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه في النار؟! هذا ؛ لأنه قاتل حَمِيَّةَ ، لا في سبيل الله ، أو بمعنى آخر : لم تكن لديه العقيدة الخاصة التي تجعل من هذا القتال خيراً ، أو عملاً صالحاً له عند الله ثوابه . وعقيدة الصوفية إيمان بربٍ يتجسد بذاته في حجر أو جيفة ، فغاية الصوفي من عمله رضوان الإله المتجسد في الحجر أو الجيفة ، وبعثه على العمل حب الحجر أو الجيفة ! .

أما عمل المسلم ، ودعوة المسلم الخلقية ، وجهاد المسلم ، فورا هذا كله عقيدة خالصة ، تُوحِّدُ الله توحيداً خالصاً في ربوبيته وإلهيته ، ويوجه ذلك كله غاية سامية مُطَهَّرَةٌ ، هي رضوان الله وحده .

يقولون : اقرأوا ما كتب الصوفية من دعوة إلى التسامى والروحانية ، والتأملات الشاعرة في أسرار الكون ، وسرائر النفس والحياة ، والاستسلام المطلق إلى مُبدع الوجود . وأقول لهم : بل اقرأوا ما كتب الصوفية عن الله ورسله ، واقرأوا ما كتب الصوفية عن معتقدهم . ابتلوا العقائد ، قبل ابتلاء الأخلاق ، يا أسارى الصوفية ! ، فما الخُلُقُ بالنتيجة . والصوفية نفسها تقر أنها دين وعقيدة ، قبل أن تكون دعوة خلقية ، فلتحاسب على دينها واعتقادها قبل محاسبتها على دعوتها الأخلاقية ! وما أحكم وأحسن قول الفضيل بن عياض : « إن العمل إذا كان خالصاً ، ولم يكن صواباً ، لم يُقبَل ، وإذا كان صواباً ، ولم يكن خالصاً

لم يُقبَل ، حتى يكون خالصاً صواباً ، وخالص ما كان لله ، والصواب ما كان على السنة ، وهذا هو المذكور في قوله تعالى : ( ١٨ : ١١٠ ) فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ ، فليعمل عملاً صالحاً ، ولا يشرك بعبادة ربه أحداً<sup>(١)</sup> .

فعلى الذين يعصف بهم الإعجاب بدعوة الصوفية الخلقية ، أن يولوا إعجابهم شِطْرَ كل فرقة حكم الله عليها بالكفر ، ففيها أيضاً الدعوة إلى مثل تلك الأخلاق التي يسحركم البيان عنها في الصوفية ! ، بل في بعضها أروع مما في الصوفية ، اقرأوا هذه الدعوة : « خَفِ اللهُ إِلَهَ آبَائِكَ ، واخدمه بحب ؛ لأن مخافة الله وحدها هي التي تَرَدِّعُ الإنسان عن الذنوب ، وَحَبُّهُ تعالى هو الذي يحث المرء على الخير ، دَرَبَ نَفْسِكَ على الخصال الحميدة ، أَحَبُّ الحَقِيقَةِ والاستقامة زينة النفس ، وتعلق بهما ، كن حازماً في المحافظة على كلمتك . ترفع عن المَوارِبَةِ والتهرب والمراوغة ، أبغض الكسل والخمول » .

دعوة حارة إلى أروع الأخلاق ، وَحَقٌّ يَرِفُّ إِيمَانًا وَقُدْسِيَّةً وَسَلْكًا ! ثم اقرأوا هذه : « إِنَّا نَبْغِي مِنَ الْعَالَمِ الْحَقِيقَةَ الْمَجْرَدَةَ ، وَنَجْنِي الْخَيْرَ وَالطَّيِّبَ وَالْجَمَالَ » دعوى رِيَانَةَ الْجَمَالِ ، وَسَلْكًا لِيَتِمَّ كَانَتْ صَادِقَةً ! وَاقْرَأُوا هَذِهِ : « إِنْ لَمْ تَكُنْ لِنَفْسِكَ ، فَلَمَنْ تَكُونُ ؟ ! وَسَلْكًا إِنْ كُنْتَ لِنَفْسِكَ فَقَطْ ، فَلَمْ تَكُنْ ؟ ! » دعوة إلى الإيثار النبيل والتكافل الرحيم الوُدود . وَاقْرَأُوا هَذِهِ : « فَكَّرْ مَائِيًّا فِي ثَلَاثَةِ أُمُورٍ ، تَنْتَجِبُ إِلَى الْأَبَدِ مِنْ سَيْطَرَةِ الذَّنُوبِ ، اعْلَمْ : أَنَّ فَوْقَكَ عَيْنًا نَازِرَةً ، وَأُذُنًا سَامِعَةً ، وَأَنَّ جَمِيعَ أَعْمَالِكَ مَسْجُودَةٌ فِي كِتَابٍ »<sup>(٢)</sup> قول تظنه إيماناً يتمجد بالصلاة المؤمنة ، قول يوحى بالإيمان بأن الله بكل شيء محيط .

تلك الدعوات الرائعة في تساميتها الغائبي ليس في الصوفية مثلها ، ومع هذا

(١) ص ٧٤ تفسير ابن القيم .

(٢) تلك النصوص عن الفكر اليهودي ترجمة ألفريد بلوز من ص ٢٤ ، ٢٠٠ .

حكم الله سبحانه على أصحاب تلك الدعوات بأنهم عدوه ، وأن عليهم غضبه ولعنته ؛ لأنهم يهود . والعقيدة اليهودية ضلالة ، وباطل . فكل ما انبعث عنها من عمل ، أو قول ، فهو مثاها ضلال وباطل ، وحابط عند الله ، وإن كان يستهدف المثل العليا في أعراف الأخلاقيين .

فإن الدعوة الخلقية كانت وحدها ، هي الميزان الذي تزن به إيمان الإنسان أو كفره ، لحكنا على أولئك اليهود الملعونين بأنهم بررة يتبتلون في المحاريب المقدسة ! لو كانت الدعوة الخلقية وحدها ، هي أساس الحكم على الإنسان بأنه مسلم أو غير مسلم ، لدخل تحت الحكم بالإسلام كل زنديق وملحد وكافر ، فما منهم من أحد إلا ويدعو إلى الأخلاق الفاضلة .

العقيدة الصافية هي ملاك الأمر كله ، وروح الدين كله ، وهي التي تقوم العمل والخلق بالخيرية أو الشرية في نظر الإسلام ، وهي التي لها المقام الأول والاعتبار الأسمى عند الله سبحانه . ثم تمثل ماتمضيه تلك العقيدة الصافية في حياتنا أخلاقاً وسلوكاً ودعوة ، واتباعاً صحيحاً لهدى الله وحده .

ليس المهم ماتمخاق به ، أو تقوله ، أو تعمله ، بل الأهم قبل كل شيء ، ماتعتقده . اذكروا مرة أخرى ، بل اذكروها دائماً ، تلك هي الآية التي يقول رب العالمين فيها لمحمد : (٦٥: ٣٩) لئن أشركت ليحبطن عملك . واثمني طبعاً ، هو العمل الذي يبدو خيراً في ذاته ، وإلا لما كان للتوعد بحبوطه معنى . ولقد أشرك الصوفية إشراكاً خبيثاً ، وأخبت ما فيه أنه يفتن الناس عن حقيقته ، فيظنونه توحيداً صافياً . لقد خدعتك الدعوة الخلقية في الصوفية عن عقيدتها ، فوزنت قولها في الأخلاق بميزانك العاطفي الذي يهتز مع الخديعة ، ويميل ظلاماً مع الهوى . ولكن زينها بميزان الحق والعدل من كتاب الله ، زينها بميزان التوحيد الخالص ، وتمت ترى أنها الفتنة الخائفة ، وأن دعوتها الخلقية ليست إلا شيف رياء يحاول ستر عقيدتها للملحدة . اسمعوا ما يقول ابن عربي عن الله :

يا خالق الأشياء في نفسه أنت لما تخلقه جامع  
تخلق ما لا ينتهى كونه فيك ، فأت الضيق الواسع  
يصف الله بأنه خالق مخلوق . وبأن ذاته هي جميع ذوات أنواع الخلق ، وأنه  
ما زال يخلق في نفسه ما لا ينتهى من أنواع الخلق ، فهو ضيق ؛ باعتباره حقاً ؛ أى  
مجرداً عن النعوت ، وهو واسع باعتباره خلقاً متنوعاً كثيراً لا ينتهى . واسمع إليه  
يقول عن الله : « فذكر - أى الله - أن هويته هي عين الجوارح التي هي عين  
العبد ، فالهوية واحدة ، والجوارح مختلفة ، وكل جارحة علم من علوم الأذواق  
يخصها من عين واحدة تختلف باختلاف الجوارح » . يصف الله بأنه نفس جوارح  
العبيد ، فيد السارق ، ويد القتال ، ويد المرتشى ، ويد المقامر ، ويد المخمور يتناول  
بها الإثم . كل هذه الأيدي ، هي أيدي رب ابن عربي . والعين المختلة والأذن  
السارقة ، والقم المثنى من الحرام ، كل أولئك من جوارح رب ابن عربي .  
والمعارف الحسية التي نستمدّها من اليد والقدم والعين والسمع واللسان . إنما هي  
معارف رب ابن عربي ؛ لأنه عين تلك الجوارح كلها ! ويؤكد هذا بقوله :  
« فلا قرب أقرب من أن تكون هويته عين أعضاء العبد وقواه ، وليس  
العبد سوى هذه الأعضاء والقوى ، فهو - أى الله - حق مشهود في خلق متوهم ،  
فالخلق معقول ، والحق محسوس مشهود عند المؤمنين وأهل الكشف والوجود »  
أرأيت إلى غلواء الزندقة في دين ابن عربي ؟ ! ، إنه يزعم أن الخلق شيء  
معقول ؟ ! أما الله - سبحانه - فشيء محسوس ! ؛ لأنه عين ما ترى عينك ، وتسمع  
أذناك ، أما « الخلق » فصفة ، أو وجه من وجوه الحق سبحانه ! ، ويؤكد ذلك  
مرة أخرى بقوله : « ثم تممها الجامع لكل محمد صلى الله عليه وسلم ؛ بما أخبر به عن  
الحق : بأنه عين السمع والبصر واليد ، والرجل واللسان ، أى : هو عين الحواس »  
و بقوله : « تحققتا بالفهم وبالإخبار الصحيح أنه عين الأشياء ، والأشياء محدودة  
وإن اختلفت حدودها ، فهو محدود بحد كل محدود <sup>(١)</sup> » ربه عين كل شيء !

(١) هذه النصوص كلها عن فصوص الحكم لابن عربي ص ٨٨ ، ١٠٧ وما بعدها =

ولكل شيء ، حَدٌّ يُعْرَفُ بِهِ ، فَكُلُّ تَعْرِيفٍ هُوَ تَعْرِيفٌ لِسَكْنَةِ الذَّاتِ الإِلَهِيَّةِ ، إِذْ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَ ابْنِ عَرَبِيٍّ هُوَ عَيْنُ اللَّهِ !! فَلْيَطَّرْ فِكْرُكَ عِبْرَ الآبَادِ وَالْآنَاتِ وَالْأَزَالِ ، وَلْيَجُلْ خِيَالُكَ فِي شَتَّى الصُّورِ ، الْمُسْتَحِيلِ مِنْهَا وَالْمُمْكِنِ ، فَكُلُّ شَيْءٍ يَرَاهُ فَكْرُكَ ، وَيَلْجِئُهُ خِيَالُكَ ، هُوَ رَبُّ ابْنِ عَرَبِيٍّ . فَكَّرْ فِي الْمَقُولِ ، وَالصَّالِيِيِّنَ ، وَكُلَّ مُسْتَعْمِرِ سَامِ الْعَرَبِ ، وَالْمُسْلِمِينَ حَسَنًا ، أَوْ هَوَانًا ، فَكَّرْ فِي الْجَاهِلِيِّينَ يُجَرِّعُونَ صِحَابَ النَّبِيِّ الْعَذَابَ ، فَكَّرْ فِي الصَّيْهُونِيِّينَ الْيَوْمَ ، وَفِيمَا يَكِيدُونَ بِهِ لِلْإِسْلَامِ ، فَكَّرْ فِي السَّفَاحِينَ الْأَوْغَادِ ، فَكَّرْ فِي أَوْلِيَاكَ جَمِيعًا ، وَسَلْ ابْنَ عَرَبِيٍّ وَأَخْلَاصَهُ عَنْهُمْ ، وَتَمَّتْ تَسْمَعُ مِنْهُمْ : إِنَّهُمْ جَمِيعًا الذَّاتِ الإِلَهِيَّةِ ! أَلَيْسُوا أَشْيَاءَ ؟ وَابْنُ عَرَبِيٍّ يَقُولُ : إِنْ اللَّهُ هُوَ عَيْنُ الْأَشْيَاءِ جَمِيعًا ! أَلَيْسُوا خَلْقًا ؟ وَابْنُ عَرَبِيٍّ يَقُولُ : إِنْ اللَّهُ هُوَ عَيْنُ الْخَلْقِ ؟ أَلَيْسَتْ لَهُمْ جَوَارِحٌ بَاغِيَةٌ مُلَطَّخَةٌ بِالْدَمِ الْبَرِيِّ ؟ ! وَابْنُ عَرَبِيٍّ يَقُولُ : إِنْ اللَّهُ هُوَ عَيْنُ كُلِّ يَدٍ وَقَدَمٍ وَلِسَانٍ ! وَالصُّوفِيَّةُ الْمَعَاوِرَةُ تَعْبُدُ ابْنَ عَرَبِيٍّ ، وَتَدِينُ بِقُدْسِيَّتِهِ ، وَأَتَّخِذُهُمْ أَنْ يَنْبَذُوهُ . أَوْ يَمْلَأُوا عَلَى الْمَلَأِ كُفْرَهُ وَمُرُوقَهُ ؟ ! فَإِنْ فَعَلُوا ، كَانَ آيَةٌ عَلَى أَنَّهُمْ خَرَجُوا مِنْ دِينِهِ .

هذه بِحَاثِمٍ مِنْ عَقِيدَةِ الصُّوفِيَّةِ ، فَهَلْ يَنْفَعُهَا أَنْ تَمْلَأَ الْوُجُودَ بَعْدَ ذَلِكَ بِالذَّعْوَةِ إِلَى الْخَلْقِ الْفَاضِلِ ؟ إِنَّهَا إِذْ تَقُولُ : اتَّقِ اللَّهَ ، فَإِنَّمَا تَعْنِي بِهِ رَبِّهَا الَّذِي هُوَ الصَّخْرُ الْأَصَمُّ وَالْجَبِيْفَةُ الْمُنْتَنَةُ ، تَعْنِي رَبِّهَا الَّذِي هُوَ عَيْنُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَإِذْ تَقُولُ : جَاهِدْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَإِنَّمَا تَعْنِي بِهِ وَهِيَ عِبَادَتُهُ رَبًّا يَتَعَمَّنُ بِذَاتِهِ فِي كُلِّ خَلْقٍ ! اقْرَأُوا

---

== واقْرَأْ هَذَا النَّصَّ : « إِنْ اللَّهُ لَطِيفٌ ، فَمَنْ لَطَنَهُ وَلَطَافَتَهُ أَنَّهُ فِي الشَّيْءِ الْمُسَمَّى كَذَا الْمَحْدُودِ بِكَذَا عَيْنَ ذَلِكَ الشَّيْءِ ، حَتَّى لَا يُقَالُ فِيهِ إِلَّا مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ اسْمُهُ بِالتَّوَابُطِ وَالْإِصْطِلَاحِ يُقَالُ : هَذَا سَمَاءٌ وَأَرْضٌ وَصَخْرَةٌ وَشَجَرٌ وَحَيَوَانٌ وَمَلِكٌ وَرِزْقٌ وَطَعَامٌ وَالْعَيْنُ وَاحِدَةٌ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَفِيهِ » ص ١٨٨ فَصُورُ طِ الْخَلْبِيِّ ، يَعْنِي أَنَّ اللَّهَ هُوَ عَيْنُ كُلِّ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَغَيْرِهَا . فَإِذَا عَرَفْتَ شَيْئًا مِنْهَا بِتَعْرِيفٍ ، فَهَذَا التَّعْرِيفُ صَادِقٌ عَلَى اللَّهِ بِالتَّوَابُطِ يَعْنِي أَنَّهُ هُوَ عَيْنُ تَعْرِيفِ اللَّهِ نَفْسَهُ فِي جِنْسِهِ وَفَصْلِهِ ، فَتَأْمَلُ .



ذلك جيداً ، ثم نبشئى : أما زلتُم أسارى الإعجاب بدعوة الصوفية الخَلْقِيَّة ؟ ! .  
على أن الدعوة الخَلْقِيَّة الصوفية ، هي دعوة إلى الأخلاق السَلْبِيَّة (١) ، بحسب ،  
إذ هي قَائِمَةٌ على الزهد المَانَوِيّ ، فهي - على الزعم بأنها خير ، ودون الثغفات إلى  
معتقدها - لا تصلح لأمة تريد أن تقود الحياة بقوة الحق والعدل إلى الخير العام ،  
وأن تنزع العالم في سلام وأمن . تريد الوثبة الجريئة المقدمة التي تُسَحَّرُ كل  
شيء أذن الله لها فيه في سبيل تحقيق قِيمِهَا الرفيعة النُورِية . تريد الحياة دَقَاقَةَ  
التيار ، زَخَّارَةَ المشاعر بالحَيوية المتدفقة ، المندفعة دائماً إلى الأمام ، جَيَّاشَةَ الليل  
والنهار بالعمل الدائب المنتج المثمر ، والجهاد في سبيل أن تكون كلمة الله هي  
العليا ، إنما تصلح دعوة الصوفية الخَلْقِيَّة - بذلك الاعتبار نفسه - لجماعة تعيش في  
الكهوف ، أو المغاور ، أو على قنن الجبال في الحُسِّ الهامد ، والشعور الخامد ،  
والوجدان الأَصْمُ البليد ، وكل إنسان فيها منطوق على نفسه . لجماعة تنقطع  
أرحامها ، فعاش كل فرد فيها لنفسه ، يسخر ليله ونهاره لنفسه ، دون أن يحول  
عينيه وغاياته عن نفسه وحدها ! فهي أخلاق تطفح بالآثرة الضيقة المنكئمة  
الخائفة ، والفردية التي ترى الدنيا لها وحدها ، وتعمل ؛ ليكون كل شيء لها  
وحدها ! إنها رهبانية تسرى فيها قشعريرة الخوف المذعور من الحياة ، مَرِغَدَةُ  
الْفَرَقِ القَلْبِيِّ من المجتمع . رهبانية تعيش في غيابة التحول الأَسْوَانِ وراء الوجود

(١) يمتاز الإسلام في دعواته الخَلْقِيَّة بأنه يدعو إلى أقوى وأعز الأخلاق الإيجابية  
وإلى أقدس الأخلاق السلبية ، فهو لا يطلب منك ألا تفعل الشر بحسب ، بل يأمرك  
أن تفعل الخير ، فهو يأمر مثلاً بالجهاد والسعى في سبيل الرزق ، وينهى عن الرهبانية  
والسرقة يتجلى لك ذلك في قوله سبحانه : ( ١١٠ : ٣ ) كُتِمَ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ  
تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ) وفي قوله : ( ٢٢ : ٧٧ ) وَاصْلُوا خَيْرَ لِعَالَمٍ  
تَفْلَحُونَ ) وقوله : ( ٣١٠ : ٢٢ ) فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ، وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ  
حِذِّئْ لَكُمْ مِنَ الْمَشْرِكِينَ بِهِ ) بل يتجلى لك ذلك أي جانب الإعجاب وجانب السلب في  
عقيدة التوحيد ( ٤ : ٣٦ ) وَاَعْبُدُوا اللَّهَ ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ) .

الإنسانى ! تَصْلُحُ لجماعة تعيش لعدم الميت ، لا للحياة الشاعرة بذاتها ومَقَومَاتِهَا ، تعيش للوحدة الكائنية الساهمة المحتضرة . لا للجماعة التى يعمل فيها كل إنسان لنفسه ، ولئن معه ، وتجعل الإيثار النبيل شعارها ، وأبتغاء مرضاة الله فَلكَ حياتها وغاياتها وبواعثها . فدعوة الصوفية الأخلاقية . فِرَارًا ذليل من الحياة ، وَجِبِينَ يرتجف من الحياة ، وَتَفَرُّذًا موحش فى تيه الوحدة الداهلة القائمة ، وَقَتْلًا ظلوم لقوى الإنسانية المسكافة فى سبيل تقدم الحياة ، وكفران باغ بما أنعم الله به على الإنسان من قوى ؛ ليعمل باسم الله مايعمله لنفسه ، والجماعة التى يجب أن يشيد صروحها ساهقات عاليات الذرى .

ويزعمون أن الصوفية جاهدت حتى نشرت الإسلام فى بقاع كثيرة ! ، ولقد علمت مادى الصوفية ؟ ! فما نشروا إلا أساطير حقا ، وخرافات بلباء ، وبدعاً بألقاء شوهاء ، مانشروا إلا وثنية تؤله الحجر ، وتعبد الرمم ! مانشروا دينهم إلا فى حماية الغاصب المستعمر ، وطوع هوى الغاصب المستعمر ، فعَدُوُّ الإسلام ، يوقن تماماً أن البدع ، هى الوسيلة التى تصل إلى الخذف دائماً ، لى يقضوا بها على الإسلام وأهله ، فعَلَمًا قديمًا ، ويفعلها حديثًا . وقرأوا تاريخكم إن كنتم تَمْتَرُونَ ، أرونى صوفياً واحداً قاتل فى سبيل الله ؟ ! أرونى صوفياً واحداً جالد الاستعمار ، أو كاخفه ، أو دعا إلى ذلك <sup>(١)</sup> ؟ ! إن كل مَنْ نَسِبَ إليهم

(١) سقط بيت المقدس فى يد الصليبيين عام ٤٩٣ هـ والغزالى الزعيم الصوفى الكبير على قيد الحياة ، فلم يحرك منه هذا الحادث الجلل شعوراً واحداً ، ولم يحرق قلبه بشيء ما عنه فى كتبه . لقد عاش الغزالى بعد ذلك ١٣ عاماً إذ مات ( سنة ٥٠٥ هـ ) فما ذرف دمعة واحدة ، ولا استنفض هممة مسد ؛ ليزود عن الكعبة الأولى ، بينما سواه من الشعراء يقول :

أحل الكفر بالإسلام ضماً      يطول عليه للدين النجيب  
وكم من مسجد ، جعلوه ذباً      على محرابه نصب الصايب  
دم الخنزير فيه لهم خلوف      وخرق انصاحف فيه طيب

مكافحة المستعمر - وهم قلة - لم يكافوه إلا حين تخلى هو عنهم ، فلم يطعمهم السحت من يديه ، ولم يبيع لهم جَمَعَ الفئات من تحت قدميه ، وإلا حين قهرت فيهم عزّة الوطنية ، ذل الصوفية ، قاتلوا حَمِيَّة ، لالدين<sup>(١)</sup> ! ثم أقرأوا ما كتب الزعيم مصطفى كامل في كتابه : المسألة الشرقية : « ومن الأمور المشهورة عن احتلال فرنسا للقيروان ، أن رجلاً فرنسائياً دخل في الإسلام ، وسمى نفسه : سيد أحمد الهادي ، واجتهد في تحصيل الشريعة ، حتى وصل إلى درجة عالية ، وَعَيَّنَ إماماً لمسجد كبير في القيروان ، فلما اقترب الجنود الفرنسية من المدينة استعد أهلها للدفاع عنها ، وجاءوا يسألونه أن يستشير لهم ضريح شيخ في المسجد ، يمتقدون فيه ، فدخل « سيد أحمد » الضريح ، ثم خرج مَهْولاً لهم بما سينزلهم من المصائب ، وقال لهم : بأن الشيخ ينصحكم بالتسليم ؛ لأن وقوع البلاد صار محتماً ، فاتبع القوم البسطاء قوله ، ولم يدافعوا عن القيروان أقل دفاع ، بل دخلها الفرنسيون آمنين<sup>(٢)</sup> »

== أهر هذا الصريح الموجه زعامة الغزالي ؛ كلا . إذ كان عاكفا على كتبه يمرر فيها أن الجملادات تخاطب الأولياء !! ويتحدث عن الصحو والحو . دون أن يقاتل ، أو يدعو حتى غيره إلى قتال !! وابن عربي وابن الفارض الزعيمان الصوفيان الكبيران عاشا في عهد الحروب الصليبية ، فلم نسمع عن واحد منهما أنه شارك في قتال . أو دعا إلى قتال ، أو سجل في شعره أو ثره آهة حمرى على الفواجع التي نزلت بالمسلمين لقد كانوا يقرران للناس أن الله هو عين كل شيء ، فليدع المسلمون الصليبيين ، فما هم إلا الذات الإلهية متجسدة في تلك الصور . هذا حال أكبر زعماء الصوفية وموقفهم من أعداء الله !! فهل كالفوا غاصباً أو طاغياً ؟

(١) سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاقل حمية ، ويقاقل رياء . أى ذلك في سبيل الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا » رواه البخارى ومسلم والترمذى .

(٢) ص ٢١٢ المسألة الشرقية للزعيم مصطفى كامل « نقلا عن ص ١١ من كتاب التصوف في الإسلام للدكتور عمر فروخ » .

الصابع المجرى ، اجتمع زعماء الصوفية ! أتدرى لماذا ؟ ! لقراءة رسالة القشيري  
وامناقشة في كرامات الأولياء. <sup>(١)</sup> ! : « من أجل ذلك يجب ألا نستغرب إذا رأينا  
المستعمرين ، يندقون على الصوفية الجاه والمال ، فرب مَفْوُوسٍ سام ، لم يكن يرضى  
أن يستقبل ذوى القيمة الحقيقية من وجوه البلاد ، ثم تراه يسعى إلى زيارة حلقة  
من حلقات الذكر ، ويقضى هنالك زيارة سياسية تستغرق الساعات . أليس  
التصوف الذى على هذا الشكل يقتل عنصر المقاومة فى الأمم ؟ <sup>(٢)</sup> » ثم إن كل  
من نسبت إليهم الصوفية أنهم جاهدوا فى سبيل الله ، وعملوا على نشر الإسلام ،  
ليسوا صوفيين ، وإنما حشرتهم الصوفية فى زمرتها زوراً وبهتاناً ، وأستاذها فى  
ذلك الشيعة <sup>(٣)</sup> . لقد سمي الصوفية رسول الله صوفياً ، ومثله الخلفاء ، وَكُلُّ بَطْلٍ  
عبرى فذ من المسلمين زعموا أنه صوفى ! ! هذا ؛ ليخدعوا المسلمين بهؤلاء عن  
زعمائهم من طواغيت الصوفية ! وليفتنوا المسلمين بزعمهم أن أولئك القديسين  
الأبطال كانوا بعض أئمة الصوفية ! والتاريخ يذكر أن لقب « صوفى » لم يُبتدع  
إلا فى منتصف القرن الثانى المجرى ، وأن أول من لقب به هو « أبو هاشم  
السكرانى » فأرونى صوفياً واحداً كان له فضل خير على الإسلام ؟ ! .

أجيبوا يامن فتنت الصوفية عن الحق عقولكم ! لا تاتونى يا أسارى الصوفية  
بأقوالهم فى الأخلاق ، ولكن اتونى بمقائدهم ، ثم زنها بالقرآن ، إن كنتم به  
مؤمنين ! لا تقولوا : قال فلان الصوفى : كذا فى الأخلاق ، أو فعل كذا مما هو فى  
مظهره حق وخير ، ولكن قولوا قبل كل شيء : إنه يمتد كذا ، فالصوفية تزعم  
أنها الحقيقة فى الإسلام ، وروح عقيدته . والأخلاق ليست إلا بنت العقيدة ،

(١) الطبقات للشعرانى ط صبيح ج ١ ص ١١

(٢) ماين القوسين من كلام الدكتور فروخ فى كتابه « التصوف فى الإسلام »

(٣) يذكر الشيعة فى كتب طبقاتهم كثيراً من أئمة أهل السنة وينسبون إليهم

أقوالهم أرباباً منها ، كل هذا ليفتنوا المسلمين عن طريق ذكر هؤلاء البررة .

والإسلام قبل كل شيء ، إنما يتلى العقيدة أو النية ، فإن كانت النية ، أو العقيدة كما يحبها الله ، اعتبر ما يصدر عنها من فعل صائب خيراً ، وجازى عنه بالخير ، وإن لم تكن العقيدة خالصة ، فكل عمل يصدر عنها ، فهو هباء ، وإن كان في مظهره أعظم الخير<sup>(١)</sup> . اسمعوا قول الله : ( ٤ : ٤٨ . إن الله لا يغير أن يُشركَ به ، ويغفر ما دونَ ذلك لمن يشاء ) ثم قوله تعالى : ( ٩ : ١٠٢ وأخرون اعترفوا بذنوبهم ، خلطوا عملاً صالحاً ، وآخر سيئاً ، عسى الله أن يتوب عليهم ، إن الله غفور رحيم ) ففي العقيدة لا يقبلها إلا خالصة نقية ، أما في العمل ؟ أقرأوا الآية ؛ لتعرفوا الجواب لقد افترت الصوفية على الله مالم تفتره زندقة من قبل ، فجعلته هو عين خلقه .

أقرأوا هذا الكفر لابن عربي : « فالحق محدودٌ بكل حدٍّ ، وصور العالم لا تنضب ، ولا يحاط بها ، ولا تعلم حدود كل صورة منها إلا على قدر ما حصل لكل عالم من صورته ، فلذلك يُجهلُ حدُّ الحق ، فإنه لا يُعلمُ حدُّه إلا بعلم حد كل صورة<sup>(٢)</sup> » يقول : إنه لا يمكن تعريف الله ، لماذا ؟ لأن الله هو عين كل شيء ، فنحتاج في تعريفه إلى الأخذ بتعريف كل صورة من صور الوجود ؛ إذ هو عينها ، وصور العالم لا تنضب ، ولا تنهاى ، فتعريفه سبحانه ، لا يتناهى تبعاً لذلك ! والصوفية تفتري على نوح أنه لم يحسن أداء رسالته ؛ إذ دعا قومه إلى الشريعة ، ولم يدعهم إلى الحقيقة . دعاهم إلى الظاهر ، لا إلى الباطن ، ثم تحكّم الصوفية على قوم نوح المشركين بأنهم أجابوا دعوة الله بالفعل ، وأنهم فهموا الحق الذي ستره عنهم نوح ، فعملوا بالمستور ، فكانوا من المفلحين ، وتحكّم بأن نوحاً نفسه أثنى عليهم لعبادتهم الأصنام<sup>(٣)</sup> . ثم أقرأوا قول ابن عربي في الباب ١٢٩ من الفتوحات المسكية

(١) كما فعل ذلك الصوفي الكبير الإنجليزي المال والعاطفة ، فبنى داراً كبيرة لعلاج الفقراء ، لقد كان « المندوب السامى الإنجليزي » يذهب إليه في كل عام ليأكل عنده « الفتة » هو ورجال سفارته .

(٢) ص ٧٠ فصوص الحكم ط الحلبي ج ١

(٣) ص ٧٠ وما بعدها فصوص « انظر الفص التوحى »

لا تراقِبُ، فليس في الكون إلا واحد العين ، فهوَ عَيْنُ الوجود  
وَيُسَمَّى في حالة ياله وَيَكْنَى في حالة بالعبيد  
ترى ، هل ستظنون مصرين على أن الصوفية دعوة إلى الأخلاق المثالية ،  
وأنتم تعرفون أن الإصرار على كلمة كفر واحدة تحو من سَجِلِّ الإنسان كل كلمة  
مؤمنة ، والصوفية مصرة على كلماتها الكافرة !! .

## خلاصة دين الصوفية

وتنخص لك دين الصوفية في كلمات قصار . أما في الوجود فيدينون بأن  
المطلق منه عين المقيّد ، أو نفس العينيّ المتقوم بخصائصه في هذا ، أو ذاك من  
الأشياء ذات السكبان المادي ، أو بمعنى آخر : يرون أن الله هو عين خلقه ، وأما في  
الاعتقاد ، فيدينون بأن الكفر والإيمان ، أو الشرك والتوحيد ، اسمان لحقيقة واحدة  
أو مترادفان لهما مدلول واحد ، وأما في الدين ، فيرون السماوى منه عين الوضعيّ ،  
فَمَنْزَلُ الأول ، هو الله ، باعتباره حقيقة مُجَرَّدَة عن النعوت الإيجابية أو السلبية ،  
أو الإضافة ، وواضح الثاني هو الله - وتعالى جَدُّ رَبَّنَا - باعتباره متجسداً في  
صورة بشرية !! وأما في الجزاء الأخرى ، فيلتقى عندهم طرفاه الثواب والعقاب  
فالتعظيم في الفردوس عين العذاب في جهنم . كلاهما عين الآخر في الحقيقة والأثر !!  
وأما في الفكر ، فيدينون بأن الحقيقة عين الخرافة أو الأسطورة ، وبأن الحق  
والباطل ، أو الصواب والخطأ يتحدان في الدلالة ، وكلاهما مقياس صحيح لصاحبه ،  
وأما في الأخلاق ، فيدينون بأن الخير والشر ، أو الفضيلة والرذيلة سواء في الباعث  
والغاية وفي القيمة ، وإن شئت حديثاً أكثر اختصاراً ، فقل : إن خلاصة دين  
الصوفية ، وفكرها وخلقها : لاتقابل ، لاتضاد ، لاتناقض ، إذ الكل ذات واحدة ،  
هي ذات الله سبحانه . أو كما يقول ابن عربي : « ما في الوجود مثل ، فما في الوجود  
ضد ، فإن الوجود حقيقة واحدة ، والشئ لا يصاد نفسه <sup>(١)</sup> »

## خَلْفَ الصَّوْفِيَّةِ كَسَلَفِهِمْ

قد يقول قائل : مالنا ، ولا بن عربي وغيره ، فتلك أمة قد خلت ، ومالها من أثر ! ولسكني أقول لهذا الذي خدعته الصوفية عن سُمِّها ، فسقته إياه بحسبه عسلا مُصَفًى : نحن لانحارب أناسا ، وإنما نحارب ترانا وثنيا ، آمن به سلف الصوفية على أنه الروحانية القدسية في الإسلام ، وعانوا به فسادا في عقائد المسلمين . والصوفية المعاصرة ، تدين بمادان به سلفها كآبن عربي وابن الفارض ، وفي تقديس كهيئة الصوفية لذكراها ، وفي التفتي بشعرها الوثني في نشوة سكرى . في ذلك كله بُرْهَانٌ على أن الصوفية المعاصرة ، امتدادٌ طويل عريض عميق لدين ابن عربي والشعراني ! إنها تتعبد بكل ماخلفت الصوفية السالفة من تراث ، وتقديس ما كتب أبحارها ، وتبشر به على أنه تجليات الروح الإلهي ، وتؤمن به إيمانا عميقا ، يسلب الفكر ، ويختلب البصيرة ، ويهوى بالنفس إلى غَوْرٍ سحيق من الإلحاد ، بل ربما أذنت لك الصوفية في الطعن على كتاب الله ، وتثور وترغى وتزبد إذا مسست كتاب صوفي زنديق بسوء . ولئن أنكرت مرة على طبقات الشعراني مافيهما من خطايا ، لرموك بعمى البصيرة .

كل صوفي هو ابن عربي في زندقته ، وابن الفارض في وثنيته ، والشعراني في خباله وخطاياها . تدبر أورادهم اليوم ، وقصائدهم التي يرقصون بها رواد حانات الذكر ! تدبر نعيمهم في كل لحظة بالهامدين ، نجد دليل ما أقول . ألا تسمع منهم :  
مدد يأهل التصريف ؟ مدد يارئيسة الديوان (١) ؟

(١) تأمل الحجاج قبل الحج وبعده ترمم يطوفون حول الأضرحة في مصر ، كأنما يريدون طمأنة أوثانهم أنهم على العهد مقيمون !! بل تأمل الأسطورة التي يبتدعها سدنة كل صنم ؛ إذ يزعمون أن من زار هذا الوثن ، أو ذاك سبع مرات ماشيا كتب له ثواب حجة !! وزعموا هذا للبدوى في طنطا ، وللدسوقي في دسوق ، ولشبل في الشهداء !!

واستمع إلى أولئك « المَخْمَرِينَ <sup>(١)</sup> » بعد حلقات الذكر ، تجدهم يتسابقون إلى القول بأنهم : « يهود نصارى ، مجوس » والدرراویش يصيحون من الفرحة الطروب : « إكْفَرْ ، اكْفَرْ » يأمُرُنِي !

### فرار الصوفية من النقد

زعم الصوفية أن من ينتقدهم . يُطْرَدُ من رحمة الله ! يهولون بهذا قيذا ظنوماً « للدرراویش » حتى لا يُحْطَمُوا أغلال الصوفية عن أعناقهم وقالوا : « وهذا الفن من الكشف يجب ستره عن أكثر الخلق : لما فيه من العلو ، فَعَوْرُهُ بعيد <sup>(٢)</sup> » ! باطنية منافية ، وربما ترد به الصوفية إذا صعقتها صدمة الحق . وقالوا : « إذا رأيت منتقدا على التصوف . ففر منه فرارك من الأسد ، واهجره <sup>(٣)</sup> » ترى هل يفر الصوفية من هذا النقد العادل ؟ ما أرتضى لهم أن يكونوا تحت سَطْوَةِ هذا الجبن الرَّعْدِيدِ ، ورَهْنِ هذا العجز الدليل !!

وقالوا : « طريق الكشف والشهود ، لا تحتل المجادلة والردّ على قائله ، وحزمانه يعود على المُنْكَرِ <sup>(٤)</sup> » كلّ هذا ؛ ليظللّ ضحايا الصوفية عمى البصائر ،

(١) هم طائفة من الدراویش يجلسون بعد الذكر ، ثم يقارون في إنشاد أزجال أو أشعار يزعمون أنها إلهام ساعتهم ، وما زلت أذكر ذلك الرجل الهرم في قريق « زواية البقلى » وهو يقول عن الأقطاب :

ساعة يجونا عرب ساعة يجونا أعجام  
ساعة يجونا نصارى لابسين زنار  
ساعة يجونا سكارى من حدا الخمار

(٢ ، ٣ ، ٤) ص ٣ ، ٨ رسالة الفناء من مجموعة رسائل ابن عربى طبع الهند ، ص ٨ يقاط لهم شرح الحكم لابن عجيبة .



والقلوب ، محتوماً على سمعهم ، فلا يسمعون من أحد كلمة حتى تجادل باطلاً صوفياً<sup>(١)</sup> !!

أما أنا يا سماحة الشيخ ، فسأظل إن شاء الله - ورعايته أستلهمها وعونه أستمدّه - أثيرها حرباً على الصوفية في تراثها الوثني، ومعتقداتها الفاسدة، وما ينتج عنها سواها من الزياد عن الحق ، ورضا الحق ، ولن يروغنا في صيبل الله منكم وعيد . نعم سأظل - وعلى الله توكلت - أحارب باطل الصوفية بالحق من كتاب الله : فإنها محسوبة على الإسلام ، بل يظن الكثير في أقطابها أنهم مشارق ربانية ، وينابيع نورانية ، ومثل عليا للروحانية ، فحق على كل مسلم تمزيق هذه الأفتعة التي نسجتها تهاويل الأوهام ، وأفانين الأساطير ؛ لكيلا يحتج على دين الله بدين الصوفية ؛ وليؤمن المسلمون أن الخير والهدى والسعادة في الاعتصام بكتاب الله وحده ، والافتداء بخاتم النبيين وحده ، فهو أخلص الخلق توحيداً للرب ، وأهداهم إيماناً به ، وأزكاهم طاعة ، وأشداهم تقاةً ، وأعرفهم بما نزل الله عليه ، وهدهم ، وهدى المسلمين به .

### مزاعم كاذبة

تُزعم الصوفية « أن التصوف صفة لله<sup>(٢)</sup> » ! وأن « من صدق بهذا العلم ،

(١) كان يحضر مجلس الدباغ رجل لا يعتقد فيه أنه ولي كبير !! فكان إذا حضر سكت الدباغ عن أساطيره الصوفية خشية أن يفضحه الرجل أمام تلاميذه، ثم قال لهم : « إذا حضر هذا الرجل فلا تسألوني عن شيء حتى يقوم » ويروي أحد تلاميذه أنهم كانوا إذا سألوا الدباغ وذلك الرجل حاضر وجدوه - أي الدباغ - كما يقول تلميذه : « كأنه رجل آخر لا نعرفه ولا يعرفنا وكأن العلوم التي تبدر منه لم تكن له على بال » ص ٤٣ ج ٢ الإبريز . أعرفت سر سكوت الصوفية أمامك ؟ إنهم يخشون بطش الحق بهم أمام دراويشهم .

(٢) ص ١٤٨ طبقات الصوفية للسلي .

فهو من الخاصة ، وكل من فهمه فهو من خاصة الخاصة ، وكل من عبّر عنه ،  
وتكلم فيه ؛ فهو النجم الذي لا يدرك ، وأن علم التصوف لا يستغنى عنه أحد ، وأن  
نسبته إلى العلوم نسبة الكلّي لها ، ونسبة الشرط الذي لا بد منه لتحصيلها ،  
وأنه لا يوجد تحت أديم السماء أشرف من علم التصوف ، وأنه لن ينقطع ، حتى  
ينقطع الدين<sup>(١)</sup> » كأنما رسول الله ، وأصحابه كانوا من جهالة العوام !  
وأنما ابن عربي والشعراني أعظم مقاماً عند الله من السابقين الأولين !

وأنما العلم الحديث الذي فجر الذرة ، وسخر قواها ، وجعل من الحديد طيراً ،  
كأنما هو غير مُجدٍ في تقدم البشرية ! لأنه ليس تصوفاً !

بل هذا معناه : أن اجاء به المتصوفة أفضل وأعظم مما جاء به خاتم النبيين !  
أليسوا يقولون : « إنه لا يوجد تحت أديم السماء أشرف من هذا العلم ؟ » والرسول  
صلى الله عليه وسلم لم يكن صوفياً ، ولا دعا بدعوة التصوف !

فهل في مقدور صوفي أن يثبت صدق تلك الزعم الكواذب ، والظنون  
الشواحب البواهت ! كما ثبت بالحق الساطع أنها زيفٌ وبهتان ؟ !

### مرّحى بالمحاجة

وهنا ينازعي الإشفاق على شيتك ياسماحة الشيخ ، وعلى نفسك الداوية  
من هجير الأسي ، ولَفَح اللوعة المضنية ، بيد أني أرى من الخير ، أن أصل ما بيني  
وبينك بالإلحاف في رجاء صادق ، هو أن تقرأ ، وأن تقرأ ! ولست بطامع في أن  
ترد على ما كتبت ! ترى أيخلف الشيخ الكبير ظني<sup>(٢)</sup> ؟

(١) ص ٧ ، ٨ كتاب إيقاظ الهمم شرح الحكم لابن عجيبة .

(٢) أعتزني الله على كبير منهم في منزل رجل كريم لا يعرف دين الصوفي الكبير  
الذي كان على بينة من عدة لغات وعدة فلسفات ، ويتزعم طائفة كبيرة لها فروعها  
المنتشرة في كل مكان ، فما هي إلا لحظات قصار ، حتى قهره الله بالحق من آياته ، مما  
اضطره إلى أن يحكم بأن عقيدة السلف هي خير عقيدة . وهذا ديدنهم . فرار جبان ،  
وكذب جبان !!

لِمَ يَحِلُّ خَطْرَ مَنْصِبِكَ بَيْنَكَ ، وَبَيْنَ أَنْ تَشْكُوَ مِنَّا إِلَى النِّيَابَةِ ، فَلَمَّا أَنْ أَيَّاسُكَ  
عَدَلَهَا مِنْ أَنْ تَظْلِمَ لَكَ ، شَكَوتَ إِلَى كُلِّ حَكُومَةٍ سَابِقَةٍ ! فَبَهِلَ بِحَوْلِ بَيْنِكَ ،  
وَبَيْنَ أَنْ تَذُودَ عَنِ الصُّوفِيَّةِ غَائِلَةً سَاهِقَةً مَاهِقَةً ؟ ! إِنْ لِي لِيَخِيلَ إِلَيَّ أَنْ الشَّيْخِ  
السَّكْرِيمِ سِيدَعُونِي إِلَى مَنَازِرَةِ بِشَهْدِهَا الْجَمِّ الْغَفِيرِ مِنْ أَتْبَاعِهِ ، فَمَرِحِي مَرِحِي  
بِهَا ، وَإِنْ كَانَتْ عِنْدَ وُثْنِ الشَّعْرَانِي ! وَإِذَا لَمْ يَنْزِعْ أَحَدُكُمْ إِلَى الرَّدِّ ، فَسَيُؤْمِنُ  
الكَثِيرُونَ أَنَّ الصُّوفِيَّةَ بَاطِلٌ جَبَانٌ لَا يَعْرِ بَدَّ بَسْوَرَتِهِ إِلَّا حِينَ يَغْمُضُ الْحَقُّ عَنْهُ  
عَيْنِيهِ لِحِظَّةٍ ! .

وَأَصْبِحُوا إِلَى قَوْلِ اللَّهِ : ( ٤٠ : ٤١ - ٤٤ ) وَيَأْقُومُ : مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النِّجَاةِ ،  
وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ، تَدْعُونَنِي ؛ لِأَكْفَرَ بِاللَّهِ ، وَأَشْرَكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ،  
وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ، لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ، لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا ،  
وَلَا فِي الْآخِرَةِ ، وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ ، وَأَنْ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ،  
فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ ، وَأَفْوِضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ، إِنْ اللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ )  
فَهَلَا أَفْضَلُكُمْ إِلَى حُجِّي اللَّهِ ، وَعَلَى إِشْرَاقِ الْهُدَى مِنْ كِتَابِهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ، نَسَعِي فِي  
الْوُجُودِ دَعَاةَ إِيمَانٍ وَحَقِّ وَتَوْحِيدٍ وَإِخَاءٍ وَسَلَامٍ ؟ !

### دعوة من الحب إلى الضحايا

أُمَّأَنْتِ أَيَّتُهَا الضَّحَايَا الْمَسْكِينَةُ التَّعْسَةُ ، وَأَنْتِ يَا قَرَابِينَ الشَّهَوَاتِ مِنَ  
الطَّوَاغِيَتِ ، فَلِلْهَوَى الْبَاغِي دِمَاؤُكَ الْمَسْفُوحَةُ ، وَاللَّأْوْثَانِ مِنْكَ التُّسْكُ الْمَلْحِدُ .  
أَيُّهَا الْحَيَارَى فِي ظِلْمَاتِ اللَّيْلِ ، وَغَيَْابَةِ النَّهْيِ ، انظُرُوا ، وَانظُرُوا ، فَصَوِّبِ  
عَيْنَيْكُمْ دَاعِ كَرِيمٍ حَبِيبٍ ، تَنَاقَلَتْ الْبَشَائِرُ عَلَى نُحْيَاهِ ، يَدْعُوكُمْ بِالْحُبِّ : أَنْ  
هَلُمُّوا قَبْلَ أَنْ يَطْوِيَكُمْ النَّهْيُ ، وَتَجْتَاحِكُمْ عَوَاصِفُهُ ، فَبَابُ التَّوْبَةِ مَفْتُوحٌ عَلَى  
مِصْرَاعِيهِ ، وَمَا عَلَى بَابِهِ إِلَّا كُلُّ مَنْ يُرَحِّبُ بِكُمْ . وَمِنْ سَمَوَاتِ الْهُدَى وَالْقُدْسِ  
تَسْمَعُونَ قَوْلَ الرَّحْمَنِ ( ٣٩ : ٥٣ ) قُلْ : يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ،

لا تقتظوا من رحمة الله . إن الله يغفر الذنوبَ جميعا ، إنه هو الغفور الرحيم )  
( ٢٥ : ٧٠ - ٧١ ) إِلَّا مَنْ تَابَ ، وَآمَنَ ، وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا . فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ  
سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ، وَمَنْ تَابَ ، وَعَمِلَ صَالِحًا ، فَإِنَّهُ يَتُوبُ  
إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ) واحذروا ، فإن الله يقول : ( ٤ : ٤٨ ) إِنْ اللَّهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ  
بِهِ ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ) فتعالوا إلى الله ، فما يملك ابن عربي ، أو البدوي  
أن يقبل لكم متابا ، أو يغفر لكم ذنبا ، أو يبدل سيئاتكم حسنات ! أو يعفو  
عن زلة واحدة ! .

أيها التائبون في كهوف الظلمات ! عودوا إلى الحق من هدى الله الحق ،  
ثم انظروا حوالكم حين تديبون إلى الله ، وتعملون بهديه . ألا ترون الإسلام  
رفأف الأولوية في عزة على قمة الوجود الإنساني كله ، وعلى الذرى الساعات من  
كل مناحيه ؟ ! ألا ترون هداة يناسم في رَحْمَةٍ شَرَقَهُ وَغَرَبَهُ ؟ ألا ترون الحياة  
فياضَ الصفاء والبشر والخير ، تنعم بالسلام الوديع الرفيق الآمن ؟ ! ألا ترون  
القلوبَ ينابيع نورة للإخاء والحب والإيثار ؟ ألا ترون لكون كله محارِب  
إيمان ، وحي حق وعدل ، ومغاني سلام كريم ؟ ! لا تعجبوا إذا رأيتم ذلك كله  
فإنه وعد الله العلي الكبير القدير : ( ٢٤ : ٥٥ ) وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ ، وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ ، لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ، كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَلَيُمَكِّنَنَّ  
لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ، وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ، يَعْبُدُونَنِي ، لَا يَشْرِكُونَ  
بِي شَيْئًا ، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ) كل هذا يحققه الله للمسلمين  
إذا هم أخلصوا لله وحده دينهم ، ووعدُ الله لن يتخلف ؛ لأنه الكريم القدير ،  
وقد حقق الله سبحانه وعده لمحمد صلى الله عليه وسلم ، ولأصحاب محمد ، ولكل من  
سلك بالحق سبيل محمد ، وسيحققه لكم إذا اتبعتم سبيله .

دعوة صادقة الحب أيها الحيارى : لا منجاة لكم من آلامكم وأحزانكم ،  
ومن الخوف الذي يعصف بكم ، والقلق الذي تضطرب به مشاعركم ، لا منجاة

لكم من تلك الهموم الساجية إلا إذا لُدتم بحمى الله وحده<sup>(١)</sup> ، تؤمنون به ،  
وتتدبرون آياته ، وتهتدون بهديه ، وتقننون برسوله وحده ( ٨ : ٢٤ )  
الذين آمنوا استجبوا لله ، وللرسول ، إذا دعاكم لما يحبيكم ، واعلموا أن الله يحول  
بين المرء وقلبه ، وأنه إليه تُحشرون ) .

---

(١) لاذ الصوفية بفاروق ، وأفاضوا إليه عبداناً يشكرونه على أن منح شيخهم  
كسوة ، وبين يدي فاروق ، وقف شيخ الصوفية يخطب عابداً شاكراً ، فقال عن  
الكسوة : « إنها يامولاي رمز لما أعطاك الله من مواهب ، وعنوان لفيض من  
فيوضاته سبحانه على قلب فاروق الطاهر تكشف عن مدى طهر وضعه الله فيك ،  
فصفت روحك الطيبة . وإن هذا التكريم للصوفية إنما هو قبس من قلبك النقي  
ينير لنا الطريق ، ويهدينا سواء السبيل ، فبك نستضيء ، ومن هديك نسترشد ،  
ومن روحك العالية نستمد الإلهام والهدى وإني إذ أتشرف بالوقوف بين يديك  
اليوم أقطع على نفسي عهداً وثيقاً أن أكون لجلالتك المخلص الوفي أمدك الله يامولاي  
بروح من عنده ، وألبسك حلة من مجده ، وأيدك بجند من جنده ، وأعانك بعونه  
وكفلك بعين رعايته » اقرأ الصحف الصادرة بتاريخ ٢٥/٣/١٩٤٧ م . فهل يذكر  
الصوفية ؟ ! « بك نستضيء » تقديم الجار والمجرور يفيد قصر استضاءتهم على  
فاروق ؟ فهل يذكرون ؟ « من هديك نسترشد » هكذا ؟ بتقديم الجار والمجرور ؟  
هذا معناه أن الصوفية لم تكن تهتدى بشيء إلا بهدي فاروق !!

## خاتمة

وإني - وقد ناضلت الصوفية بهدى الله - أعرف أن هذا النضال يثير على بغي أحقادهم ، ويقف بي على شفا خطر يدهم بفتنة منهم بجوره ، غير أني أومن بهذه الحكمة الرائعة المؤمنة : « لأن يكون الناس جميعاً عدواً لي في الدنيا ، خير من أن يكون الله وحده خصمي يوم القيامة » وأجل من هذه الآية الكريمة مناراً لي ( ١٣ : ١١٠ حتى إذا استنأس الرسل ، وظنوا أنهم قد كذبوا ، جاءهم نصرنا ، فنزجنا من نساء ، ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين ) هذا وعد الله لرسله ، ووعد لأتباع رسله . فليتدبر الصوفية ! وليشكروا إلى النياحة ما شاءوا ، فلن ترى النياحة فيمن يدها على الجناة جانبا ، ولا في ردّ العدوان عن كل مقدسات الدين والفضيلة ، وقيم الفكر جريمة ! والصوفية بغي وفتنة مجنونة الأحقاد ، غير أنها تختال عذراء طاهرة ألم بها ظن مرتاب ، وملائكية تسلسل الوحي في فجر الحراب !

ولن أضع القلم - وحسبي الله - إلا إذا أضمت الصوفية ، وأدميت ، أو إلا إذا تهدمت أنا ، أو قضيت ! فلن تخشى صولة الحق ، سورة الباطل ، ولكن كل هذا لن يمسّ قلوبنا بحقد ، ولا نفوسنا بضغينة ، بل إنه ليرفع بأيدينا - ومن خلفها قلوبنا تحما - في ضراعة خاشعة إلى الله أن يهب لنا ، وللصوفية الإيمان الحق ، وأن يهديهم سبحانه سبيل الإسلام .

( ٣ : ٨ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة ؛ إنك أنت الوهاب ) .

عبد الرحمن الوكيل

وكيل جماعة أنصار السنة المحمدية

## مراجع الكتاب ومصادره

١٥ خلاص النفوس في الصلوات والطقوس	القرآن الكريم كتب السنة
١٦ مكاتيب عبد البهاء كتب الصوفية	٢ جامع الأصول في أحاديث الرسول
١٧ فصوص الحكم لابن عربي <sup>(١)</sup>	٣ دليل الفالحين شرح رياض الصالحين
١٨ الفتوحات المكية » »	٤ الجامع الصغير للسيوطي كتب تفسير
١٩ مجموعة رسائل ابن عربي طبع الهند	٥ تفسير ابن كثير
٢٠ مواقع النجوم لابن عربي	٦ » ابن القيم
٢١ ذخائر الأعلام » »	٧ » الزمخشري كتب لغة
٢٢ ديوان عمر بن الفارض طبع بيروت	٨ القاموس المحيط
٢٣ شرح الديوان للبوريني والنايلسي	٩ معجم مقاييس اللغة لابن فارس
٢٤ كشف الوجوه الفر للقاشاني	كتب دينية إسلامية وغيرها
٢٥ الإنسان الكامل للجبلي	١٠ مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية
٢٦ تذكرة الأولياء للقطار	١١ مجموعة الرسائل الكبرى » »
٢٧ الطواصين للحلاج	١٢ العلم الشامخ للمقبلي
٢٨ أخبار الحلاج	١٣ حاشية الصاوي على الخريدة
٢٩ اللمع للطوسي	١٤ العهد القديم
٣٠ التعرف لمذهب أهل التصوف للـكـلاباذي	

(١) اعتدنا بأربع نسخ بتحقيق الدكتور عفيفي  
(٢) بشرح القاشاني (٣) بشرح جامي (٤) بشرح بالي افندي

- ٣١ قواعد الصوفية للشعراني  
٣٢ اليواقيت والجواهر »  
٣٣ الكبريت الأحمر »  
٣٤ لطائف المنن »  
٣٥ مطلع خصوص الكلم للقيصري  
٣٦ إحياء علوم الدين للغزالي  
٣٧ مشكاة الأنوار »  
٣٨ قوت القلوب لأبي طالب المكي  
٣٩ جامع الأصول في الأولياء للكشخاني  
٤٠ إيقاظ الهمم بشرح الحكم لابن عجيبة  
٤١ الفتوحات الإلهية » »  
٤٢ جواهر المعاني لعلي بن حرازم  
٤٣ رماح حزب الرحيم لعمر بن سعيد  
٤٤ الإبريز للدباغ  
٤٥ تائية ابن عامر البصري  
٤٦ النفحات الأقدسية لمحمد بهاء الدين  
البيطار  
٤٧ القول الفريد لمحمد دمرداشي  
٤٨ معرفة الحقائق » »  
٤٩ روض القلوب المستطاب لحسن  
رضوان  
٥٠ مفتاح الفلاح لابن عطاء الله  
٥١ المجموعة الدمرداشية
- ٥٢ بلغة المرید للبكري  
٥٣ مجموعة الأحزاب طبع استامبول  
٥٤ رسالة لأحمد عبد المنعم الحلواني  
٥٥ منحة الأصحاب للارطبي  
٥٦ الهبات المتقبسة لمحمد عثمان  
كتب مؤلفة عن الصوفية  
٥٧ ابن الفارض والحب الإلهي للدكتور  
محمد حلمي  
٥٨ الصوفية في الإسلام لنيكلسون  
٥٩ في التصوف الإسلامي »  
٦٠ الإنسان الكامل للدكتور بدوي  
٦١ شطحات الصوفية » »  
٦٢ شميدة العشق الإلهي » »  
٦٣ التصوف الإسلامي لزكي مبارك  
٦٤ التصوف في الإسلام للدكتور فروخ  
٦٥ مشتهى الخارف الجاني لاشنقيطي  
كتب التاريخ والتراجم والطبقات  
٦٦ وفيات الأعيان لابن خلكان  
٦٧ نفع الطيب المقرئ  
٦٨ ميزان الاعتدال للذهبي  
٦٩ لسان الميزان لابن حجر  
٧٠ طبقات الشافعية للسبكي  
٧١ مجائب الآثار للجبرتي



- |    |                              |    |                                  |
|----|------------------------------|----|----------------------------------|
| ٨٤ | الفلسفة الشرقية لغلاب        | ٧٢ | حضارة العرب اغستاف لوبون         |
| ٨٥ | الفلسفة في الشرق لبول ماسون  | ٧٣ | تاريخ العرب العام لسيديو         |
| ٨٦ | المدخل لجوتيه                | ٧٤ | » » » لفيليب حتى                 |
| ٨٧ | عقيدة الشيعة لرونلدسن        | ٧٥ | مصر لأدولف إرمان                 |
| ٨٨ | العقيدة والشريعة لجولد زيهر  | ٧٦ | المصريون المحدثون للمستشرق لين   |
| ٨٩ | مذاهب التفسير »              | ٧٧ | الحرب الصليبية الأولى لحسن حبشى  |
| ٩٠ | الفكر اليهودى جمع دكتور      | ٧٨ | فجر الإسلام لأحمد أمين           |
|    | هرمس                         | ٧٩ | لواقح الأنوار «الطبقات» للشعرانى |
| ٩١ | التراث اليونانى للدكتور بدوى | ٨٠ | الرسالة للقشيري                  |
|    | مراجع عامة                   | ٨١ | طبقات الصوفية للسلمى             |
| ٩٢ | مفتاح السعادة لطاش كبرى زادة | ٨٢ | الكواكب الدرية للدناوى           |
| ٩٣ | الكليات لأبى البقاء          | ٨٣ | طبقات الشاذلية للكوهنى           |
| ٩٤ | التعريفات للجرجانى (١)       |    | كتب فلسفة                        |

(١) ملحوظة : لم نذكر تواريخ طبع هذه الكتب ولا أسماء مؤلفيها كاملة ، إذ ذكرنا ذلك فى متن الكتاب نفسه .

## فهرس

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٣٣	سجود الملائكة لابن الفارض	٣	المقدمة
٣٤	إله ابن عربي	١٤	شكوى ومعدرة
٣٤	تصويبه لعبادة الأصنام	١٤	الأمّل في شيخ الصوفية
٣٨، ٣٥	روية كل شيء	١٥	ضحية للصوفية
٣٥	الرب إنسان كبير	١٦	إباحة الأم والأخت في الصوفية
٣٦	صور العالم هي الله سبحانه	١٦	التجلى في صور النساء
٣٧	رب الصوفية وجود وعدم	١٧	واجب شيخ الصوفية
٣٩	تجسد الإله الصوفي في المرأة	١٨	لماذا أكتب للشيخ؟
٤٠	الإله الصوفي شيء مادي	١٩	دين الصوفية
٤٢	لماذا عبد ابن عربي المرأة؟	١٩	زعمهم أن القرآن شرك
٤٣	فقر الإله الصوفي	٢٠	« الدين شريعة وحقيقة »
٤٣	إله الجلي	٢١	وسيلة المعرفة الصوفية
٤٤	زعمه أنه الرب الأعظم	٢٤	إله ابن الفارض
٤٦	رب الصوفية متناقض في ذاته	٢٥	زعمه أنه هو الله
٤٨	إله الغزالي	٢٦	الصحو والحو عند الصوفية
٤٨	الغزالي يدين بوحدة الوجود	٢٩	ابن الفارض هو المعبود الأكبر
٤٩	تعظيمه للحلاج	٣٠	عبادة الأنوثة وسببها
٥٠	رأى المستشرقين في الغزالي	٣١	محمون ابن الفارض
٥١	خطر وحدة الوجود على الإسلام	٣٢	كل أنثى ذات إلهية
٥٢	دندنة الغزالي بوحدة الوجود	٣٢	العشاق هم الذات الإلهية

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
هتكتُ العورة دينٌ صوفي	١٠٤	طعنه على توحيد المسلمين	٥٤
تطور الصوفيين إلى وحوش	١٠٥	أصنام صغيرة	٥٧
جريمة قوم لوط كرامة صوفية	١٠٦	رأى المستشرقين في التوحيد	٦٥
رمةٌ تتصرف في الوجود	١٠٧	صوفي يهتك عرض دابة	٦٨
التنكر للعقل وللشرع	١٠٨	إيمان الصوفية بكتبهم	٧٠
الولى يعصى ويشرب الخمر	١٠٩	زعمهم أنها أسرار ورموز	٧٠
صوفي يدبر الأمر	١١١	أطوار الوجود الصوفية	٧٣
الكلاب أولياء الصوفية	١١٢	الحقيقة المحمدية	٧٤
طعن المستشرقين على المصريين بسبب الصوفية	١١٤	زعمهم أن محمداً هو الله والرد عليهم	٧٥
الصوفية يقولون للشيء كمن، فيكون	١١٧	محمد يتصرف في أقطار الأرض	٨١
سماع الجمادات والطواف بالملكوت	١٢٠	أشرف صفات الرسول	٨٢
صوفي يضمن الجنة لمن يطعمه	١٢١	آراء المستشرقين في الحقيقة المحمدية	٨٤
الملكوت في بطن صوفي	١٢٢	أكلُ شيء من نور محمد؟	٨٧
الدسوقي يملك الجنة والنار	١٢٣	أكان محمد يعرف القرآن قبل نزوله؟	٨٩
السرقة كرامة صوفية	١٢٤	وحدة الأديان	٩٣
القطب وأعوانه وحقيقته	١٢٤	نفيمهم تعذيب الكفار	٩٤
خاتم الأولياء وتفضيله على	١٢٧	الحكم بنجاة فرعون	٩٥
كل الرسل		كل الأديان الباطلة حق	٩٦
ادعاء كل شيخ أنه الخاتم	١٢٩	الحكم بنجاة إبليس	٩٦
لماذا فضلُ خاتم الأولياء؟	١٣٠	وحدة الأديان عند ابن الفارض	٩٧
الديوان الباطني	١٣١	عبادة الشيوخ وكراماتهم	٩٩
		آراء المستشرقين في التوسل	١٠١
		صوفي يخاطب الجمعة عارياً	١٠٢

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
دعوة الصوفية الأخلاقية	١٦٣	عدد أجساد القطب الكبير	١٣٣
العقيدة هي الفيصل	١٦٣	تقائز الأقطاب	١٣٣
أدعية يهودية	١٦٥	للأقطاب التصرف في كل العوالم	١٣٣
ما رب الصوفية مرة أخرى ؟	١٦٧	دعوى الزهد وأصله	١٣٦
أخلاق الصوفية سلبية	١٦٩	الذكر الصوفي	١٤١
الغزالي وسقوط بيت المقدس	١٧٠	» » بدعة يهودية	١٤٣
لم يكافح الصوفية في سبيل الله	١٧١	كيفية الذكر وصيغته	١٤٤
صور الوجود هي الإله الصوفي	١٧٣	لا يجوز الذكر ببعض أسماء الله	١٤٥
خلاصة دين الصوفية	١٧٤	ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم	١٤٦
خلف الصوفية كسلفهم	١٧٥	عبادة الصوفية	١٤٧
فرار الصوفية من النقد	١٧٦	التيجاني يفضل ورده على القرآن	١٤٨
مزاعم كاذبة	١٧٧	دعاوى الصوفية وأدعيتهم	١٤٨
مرحى بالحاجة	١٧٨	امراة فرعون ورابعة	١٥٢
دعوة حب إلى الضحايا	١٧٩	أنماط من أدعية غير المسلمين	١٥٥
خطبة الصوفية بين يدي فاروق	١٨١	أدعية صوفية	١٥٨
خاتمة	١٨٢	وصف الجبرتي للموالد	١٦٠